مجموع
مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العقيدة

القسم الرابع

المجلد الخامس

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

مجموع

مؤلفات ورسائل وبحوث

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العقيدة

القسم الرابع

المجلد الخامس

رتبه وأعده للطباعة
د. محمد بن عبد الله الطيار

دار التدمرية

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

العقيدة القسم الرابع

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ ـــ ٢٠١١م

مجموع مؤلفات ورسائل وبحوث

عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

أستاذ الدراسات العليا في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

العقيدة

القسم الرابع

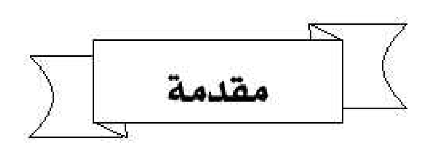
المجلد الخامس

رتبه وأعده للطباعة

د. محمد بن عبد الله الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب
صناعة الصورة باليد
مع بيان أحكام التصوير الفوتوغرافي



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن مما أنعم الله ﷻ به على هذه الأمة ـ أعني: أمة الإسلام ـ أن جعل دينها ديناً كاملاً شاملاً، هذا الدين صالح لكل زمان ومكان بخلاف ما يظنه الظانون المنحرفون، ممن انبهر بالحضارة الغربية المادية الملحدة، الذين يقولون: إن هذا الدين لا يصلح لهذا الوقت؛ لأنه دين رجعي يدعو إلى التخلف وعدم مسايرة العصر، فهم كما يقولون لا يمكن أن يتقدم العالم من حولنا، ويركب الطائرات والسيارات ويصل إلى سطح القمر، ونحن ما زلنا ندعو إلى ركوب البعير والحمير والخيل وغير ذلك من الوسائل البدائية، مما لا يصلح لعالمنا المعاصر، ولا شك أن هؤلاء المنحرفين أبعدوا النجعة عن فهم هذا الدين الذي جاءت رسالته تدعو إلى الأخذ بكل ما يصلح لأفرادها ومجتمعاتها شريطة أن لا يكون الأمر جاءت نصوص الشريعة بالتحذير منه

والنهي عنه، قال تعالى في بيان إنعامه على هذه الأمة بكمال دينها: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

روى البخاري في صحيحه عن طارق بن شهاب قال: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو أنزلت فينا معشر اليهود لاتخذناها عيداً. يعني قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فقال عمر: إني لأعلم حين أُنزلت، وأين أُنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أُنزلت، أُنزلت يوم عرفة ورسول الله ﷺ واقف بعرفة قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا[1]. فانظر إلى قول اليهودي: لو نزلت علينا لاتخذناها عيداً، وذلك كله لأن الآية كما قال ابن كثير في تفسيره: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه، ولا خلف كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة، ولهذا قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه، وبعث به أفضل الرسل الكرام وأنزل به أشرف كتبه[2].

إذاً فلا حاجة إلى الانحراف عن منهج الإسلام، واتباع من يكفر به بحجة أنهم أهل علم وسيادة وريادة فإن دين الإسلام كامل شامل لجميع متطلبات الحياة صغيرها وكبيرها، ولمَّا كانت شريعته هي أكمل الشرائع وأزكاها حذرنا من الانحراف عنها، واتباع سبيل الهالكين بل نهانا عن التشبه

---

(١) في فتح الباري، كتاب الإيمان، باب زيادة الإيمان ونقصانه (١/ ١٠٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (٢/ ١٢).

بهم فقال ﷺ: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**(١).

ولكن هيهات هيهات أبى السواد الأعظم من المسلمين في هذه الفترة إلا سلوك طرائق أهل الغواية والضلال والإفساد من اليهود والنصارى لكي يتحقق فيهم قوله ﷺ: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذّة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: اليهود، والنصارى؟ قال: فمن»**(٢).

فلو نظرت إلى واقع المسلمين اليوم بالعين البصيرة لوقفت على أمور لا يمكنك حصرها سواءً أكانت أموراً عقدية أم خُلقية أم في علاقات الناس فيما بينهم، وغيرها من الأمور التي مُيِّع فيها الدين، وذاب أهله بسببها في أحضان الحضارة الغربية المنحرفة عن منهج الله ورسله.

ومن الأمور التي انحرف فيها المسلمون في هذه الفترة وسلكوا فيها طرائق ملتوية (التماثيل والتصاوير والنقش في الصور) فقد عمت بها البلوى وتعلق الكثير وافتتن بها الفتيات والشباب والشيخ الكبير، كل هذا في غفلة عن نصوص الشريعة الواردة فيها، وما تدل عليه من التحذير والنهي عن ارتكابها.

وقد تقدمت إليّ (مؤسسة مناهج العالمية) بطلب ترغب فيه بالمشاركة في كتابة بحث مطوَّل في موضوع النقش، أو الرسم باليد، وإني لأتقدم بالشكر لهذه المؤسسة، بعد شكر الله تعالى، وذلك لأمرين:

الأول: اهتمام هذه المؤسسة بقضايا الأمة، وبخاصة القضايا العقدية ومنها موضوع بحثنا.

الآخر: ثقتها بي للقيام بإعداد بحث عن هذا الموضوع، وهذا لا شك أنه يدل على الثقة المتبادلة والشعور المتبادل بيننا، فأسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفق القائمين على المؤسسة إلى العلم النافع والعمل الصالح وأن يجمعنا وإياهم في جنته إنه سميع قريب.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) برقم (٥١١٤)، وأبو داود برقم (٤٣١)، وصححه الألباني بمجموع طرقه انظر: الإرواء (٤/ ١٠٩)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٦٧٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٠)، وصححه الألباني في الإرواء (٥/ ١٠٩).

واستجابة لرغبة المؤسسة قمت بإعداد هذا البحث وموضوعاته كالآتي:

أولاً: التعريف بالرسم.

ثانياً: وقفة لا بد منها.

ثالثاً: أنواع التصوير باليد.

رابعاً: النقش وتعريفه.

خامساً: العلاقة بين النقش والرسم.

سادساً: أدلة تحريم التصوير.

سابعاً: ذكر علل تحريم التصوير.

ثامناً: حكم النقش أو الرسم باليد، وهذا يتناول الآتي:

- **أولاً**: حكم الرسم باليد فيما ليس ممتهناً.
- **ثانياً**: حكم الرسم باليد فيما كان ممتهناً.
- **ثالثاً**: حكم الرسم باليد لمقطوع الرأس.
- **رابعاً**: صناعة أو رسم رأس صورة فقط.

تاسعاً: الرسم الكاريكاتوري.

عاشراً: ذكر أقوال أهل العلم في هذا الموضوع.

الحادي عشر: خلاصة موضوع البحث.

وعندما عزم الابن محمد على طباعة هذا البحث ضمن المؤلفات رغب إلي أن ألحق به ما سمعه مني عن رأي شيخنا الشيخ محمد حول التصوير الفوتوغرافي وفهم الطلاب له وبيان ذلك ونزولاً عند رغبته أضفت ذلك لهذه الرسالة لعل الله أن ينفع به.

والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أبو محمد أ. د. عبد الله بن محمد الطيار
الزلفي ص.ب ١٨٨ الرمز ١١٩٣٢
جوال ٠٥٥١٢٣١٠٠
١/ ٧/ ١٤٢٤هـ

أولاً: التعريف بالرسم:

الرسم في اللغة: أثر الشيء، وقيل: بقية الأثر.

وأثر الشيء قد يشاكله في الهيئة، ومن هنا سموا (الروسم) وهي الخشبة التي فيها نقوش يختم بها الأشياء المراد بقاؤها مخفاة لئلا تستعمل[١].

أما تعريف الرسم في الاصطلاح المعاصر فهو: يسمّى بالتصوير المسطح إذا كان معمولاً باليد، ويعبر عنها البعض بالصورة الفنية، وهي: التي يصنعها الإنسان بمقدرته الذاتية مضاهياً بها خلق الله، مظهراً بها مقدرته الفنية وقدرته على المحاكاة والإبداع والمضاهاة، وهذه الصور هي التي يسمى صانعها (بالفنان) لأنه في نظر الناس مبدع قد ضاهى الأصل أو شابه الحقيقة[٢].

ثانياً: وقفة لا بد منها:

مما ينبغي أن ننبه عليه أن الصورة ـ وأعني فيها المرسومة باليد ـ قد تكون لشيء حي ذي روح، كصورة الإنسان، أو الحيوان، أو الطيور، وكل ما فيه روح فهذه هي التي وردت نصوص الشريعة بتحريمها، وجاء الوعيد الشديد لمن فعلها، أما ما ليس فيه روح كصور الأشجار، والأزهار، والأعشاب، أو الشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، أو مصنوعات منزل، أو منارة، أو سفينة، وكل ما شابه ذلك فهذه وردت النصوص بإباحة التقاطها، ولم يرد نص يحرم تصويرها إلا ما ذكر عن بعض السلف كمجاهد وغيره في تحريم الرسم مطلقاً، لكن جمهور السلف على خلافه، وقد سقنا دليل ابن عباس في ذلك[٣].

---

(١) لسان العرب مادة الرسم.

(٢) أحكام التصوير في الشريعة الإسلامية، تأليف عبد الرحمٰن عبد الخالق اليوسف صفحة (٣١).

(٣) انظر الدليل عند بيان الأدلة التي جاءت بتحريم التصوير.

ثالثاً: أنواع التصوير باليد:

المراد به ما كانت اليد هي المباشرة في عملية التصوير، ويكون ذلك بوساطة القلم، أو الفرشة، أو فنجاة، أو منشار، أو نحو ذلك، وهذا النوع ينقسم إلى قسمين:

الأول: التصوير والصورة المسطحة

الثاني: التصوير المجسم؛ أي: ما كان على هيئة إنسان، أو حيوان، أو جماد، وهذا غير معني في بحثنا، ولكن المعني فيه هو القسم الأول (التصوير والصورة المسطحة)، والذي يكون عن طريق نقش الصورة بالألوان والتخطيط، أو نسجها في الثياب ونحو ذلك من كل مرسوم، أو منقوش على السطوح الورقية أو الجدار، أو الثياب كما ذكرنا ذلك سابقاً.

رابعاً: النقش:

النقش في اللغة: نقش ينقش نقشاً، ونقش الشيء: لونه بلونين أو أكثر وزينه، فكأنه نفى عنه معايبه وحسنه[1].

أما في الاصطلاح ولغة الفقهاء فيعرفونه بأنه: تلون الشيء بلونين أو بألوان[2]. أو ما يرسم، أو يطرز من الرسم على الأشياء[3].

وقيل أيضاً في تعريفه: هو تجميل الشيء المسطح، أو غير المسطح بإضافة أشكال تجميلية إليها، سواء أكانت أشكالاً هندسية أم نمنمات أم صوراً أم غير ذلك[4].

ومن خلال التعاريف السابقة يمكننا أن نقول: إن النقش لا يعدو عن كونه رسماً، بل هو أعم منه من جهة التحسين والتجميل، لذا تكون العقوبة فيه أشد، والله أعلم.

---

(١) المنجد في اللغة والأدب والعلوم (ص٣٨١).

(٢) انظر: أحكام التصوير في الفقه الإسلامي لمحمد واصل (ص٦٠).

(٣) معجم لغة الفقهاء (ص٤٨٦).

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٢/ ٩٥).

خامساً: العلاقة بين النقش والرسم والتصوير:

من خلال ما ذكرناه آنفاً يمكننا أن نتعرف على العلاقة بين هذه الثلاثة. فهذه الثلاثة كلها في معنى قد تكون مترادفة إلى حد كبير وإن كان بعضها يكون أوسع من الآخر في بعض الجهات:

فالتصوير مثلاً هو في الحقيقة رسم غير أنه أوسع من جهة أنه قد يكون لما له ظل، وما ليس له ظل بخلاف الرسم، فإنه يكون في الصورة المسطحة وكذلك النقش فهو أيضاً أوسع من الرسم، وذلك من جهة أنه رسم يضاف إليه تحسين وتلوين وتزيين كما ذكرنا ذلك سابقاً.

سادساً: أدلة تحريم التصوير:

جاءت نصوص السنة المستفيضة لتحذر من التصوير وتبين عقوبة من يقوم به، وسنذكر هنا طرفاً من هذه النصوص فمن ذلك:

١ ـ ما رواه البخاري ومسلم عن أبي مسعود ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**»[١].

٢ ـ ولهما أيضاً عن ابن عمر ﵄ قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[٢].

٣ ـ وللبخاري أيضاً عن ابن عباس ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ومن استمع إلى حديث قوم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة عُذِّب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ**»[٣].

٤ ـ عن عائشة ﵂ قالت: لما اشتكى النبي ﷺ ذكر بعض نسائه كنيسة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة انظره في: الفتح (١٠/ ٤٩٦)، ومسلم، اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان انظره في: شرح النووي لمسلم (١٤/ ٧٧).

(٢) البخاري، في الفتح (١٠/ ٣٩٦)، مسلم، النووي (١٤/ ٧٧).

(٣) البخاري، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه انظره في: الفتح (١٣/ ٤٢٧).

يقال لها: «مارية»، وكانت أم سلمة وأم حبيبة أتتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع ﷺ رأسه فقال: **«أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى»**[١].

٥ ـ ولهما أيضاً عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر ما وقد سترت سهوة[٢] لي بقرام[٣] فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال: **«يا عائشة أشد الناسِ عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله»**، فقالت: فقطعناها فجعلنا منها وسادة أو وسادتين.

وفي رواية قالت: دخل رسول الله ﷺ وفي البيت قرام فيه صور فتلون وجهه، ثم تناول الستر فهتكه، وقال: **«من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور»**[٤].

٦ ـ ولهما أيضاً عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير»**[٥].

٧ ـ ولهما أيضاً عن سعيد بن الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها، فقال له: ادن مني، فدنا، ثم قال: ادن مني، فدنا. حتى وضع يده على رأسه، وقال: أنبئك بما سمعت عن رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل مصور في النار يجعل بكل صورة صورها نفساً فتعذبه بها في جهنم»** فإن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له.

وفي رواية للبخاري قال سعيد بن الحسن: كنت عند ابن عباس إذ جاءه

---

(١) انظره في: الفتح (١/ ٦٢٤)، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/ ٣٧٥).
(٢) السهوة: هي الطاقة في الحائط بوضع الشيء فيها.
(٣) القرام: الستر.
(٤) فتح الباري (١٠/ ٣٨٧)، مسلم شرح النووي (١٤/ ٧٥).
(٥) البخاري انظره في: الفتح (١٠/ ٣٨)، مسلم شرح النووي (١٤/ ٧١).

رجل فقال لابن عباس: إني رجل إنما معيشتي من صنعة يدي وإني أصنع هذه التصاوير، فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول: «**من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ بها أبداً**»، فربا الرجل ربوة شديدة فقال: ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح[(١)].

وفي الباب الكثير من الأدلة التي تدل على تحريم التصوير لكن فيما ذكرناه كفاية، والله أعلم.

سابعاً: العلة في تحريم التصوير:

من خلال النصوص الشرعية السابقة يمكننا أن نبين العلة من النهي عن التصوير وهي:

أولاً: مضاهاة خلق الله كما جاء ذلك مصرحاً به في الأحاديث السابقة كقوله تعالى في الحديث القدسي: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي...**»[(٢)] الحديث.

وقوله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً الذين يضاهون بخلق الله**»[(٣)] الحديث، فهنا العلة ظاهرة وهي مشابهة خلق الله ﷻ فتجعله يعني (التصوير) فاسداً في نفسه، وهنا علة أخرى وهي:

ثانياً: أنه وسيلة إلى الوقوع فيما هو أعظم من العلة الأولى، وهي أنه وسيلة للغلو في تعظيم غير الرب ﷻ كما حدث ذلك في قوم نوح عليه السلام من تصويرهم ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً فبعد أن أوحى الشيطان إليهم أن

---

(١) انظره في: الفتح (٤٠/ ٤٨٥)، ومسلم شرح النووي (١٤/ ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب نقض الصور الفتح (١٠/ ٣٩٨)، ومسلم في كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان رقم (٢١١١).

(٣) أخرجه البخاري في اللباس، باب ما وطئ من التصوير حديث رقم (٥٩٥٤)، فتح الباري (١٠/ ٤٠٠)، ومسلم كتاب اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان برقم (٢١٠٧).

ينصبوا لهم أنصاباً ويسموها بأسمائهم دعا إلى تعظيم هذه الأنصاب، ثم عبدوها من دون الله فصارت العلة الثانية أعظم وأكبر من العلة الأولى، وإن كانت العلة الأولى هي التي كانت سبباً في حصول الثانية، ولذا جاءت شريعتنا بسد الذرائع المفضية إلى ما فيه خلل على عقائد البشر، وحرصاً منها على سلامة البشرية من الوقوع فيما يورثهم الشقاوة في الدنيا والآخرة.

ولكن هناك اعتراض قد يبديه البعض وهو أن هاتين العلتين خاصتان بما كان على هيئة يراد بها مشابهة الخالق ﷻ وهو ما كان على هيئة تمثال وصنم ونحوه، مما كان منحوتاً فلا دخل لما كان مرسوماً باليد هنا.

فنقول وبالله التوفيق: قد صحت نصوص السنة بتحريم التصوير لذوات الأرواح كما جاء ذلك مصرحاً به في حديث عائشة رضي الله عنها السابق والشاهد فيه أنه ﷺ غضب غضباً شديداً حينما رأى الستر الذي كان في بيتها رضي الله عنها وكان قد رسم عليه صوراً لذوات الأرواح، فما كان منه ﷺ إلا أنه هتكه بيده وقطعه، وهذا يدل دلالة واضحة على النهي والابتعاد عن هذه الصور متى كان وضعها يشعر بتكريمها، لأن تكريمها يفضي إلى تعظيمها والغلو فيها، وقد جاءت شريعتنا كما ذكرنا بسد منافذ الشرك من جميع أبوابه وطرائقه.

ثالثاً: ومن العلل أيضاً في النهي عن التصوير أن هذه الصور تمنع من دخول الملائكة في المكان الموجودة فيه، دليل ذلك قوله ﷺ: «**إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة**»(١).

رابعاً: ومن ذلك أيضاً أن شريعتنا جاءت بالأمر بالمحافظة على المال وعدم إنفاقه فيما لا فائدة فيه كما فيه إسراف وهو محرم، ولا شك أن التحريم فيه أشد فأي مصلحة حاصلة بهذا التصوير الذي تنفق فيه هذه الأموال الطائلة، وهذا مشاهد، حيث جعلت معارض يستعرض فيها الفنانون قدراتهم على الرسم المحرم، بل وتباع فيه هذه اللوحات بأسعار خيالية لا يصدقها عاقل.

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب التصاوير الفتح (١٠/ ٣٩٤)، ومسلم في اللباس، باب تحريم تصوير صورة الحيوان برقم (٢١٠٦).

خامساً: ومن العلل أيضاً أن التصوير فيه نوع من التشبه باليهود والنصارى، وقد نهينا عن التشبه بهم، دليل ذلك حديث أم سلمه ﵂ حينما ذكرت للرسول ﷺ ما رأته في الكنسية التي بأرض الحبشة، وفيها من الصور فقال ﷺ: «**أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى**»، فمن تشبه بهم في فعلهم هذا فقد جعل نفسه من شرار الخلق عند الله تبارك وتعالى[(١)].

ثامناً: حكم النقش أو الرسم باليد (التصوير والصورة المسطحة):

تكلمت فيما سبق عن تعريف النقش، والرسم، والتصوير، والعلاقة بين هذه الثلاثة غير أنني أنبه على أمر مهم هنا، وهو أنني حينما أتكلم عن الرسم أو النقش باليد لا أعني به التصوير الفوتوغرافي، لأن هذا الأخير ورد فيه خلاف بين العلماء المعاصرين، فشيخنا ابن باز ﵀، وكذا شيخنا صالح الفوزان وغيرهم يرون تحريمه إلا لضرورة أو حاجة، وهذا هو الراجح عندي أيضاً، أما شيخنا محمد الصالح العثيمين ﵀ وشيخنا صالح اللحيدان وغيرهم فيرون جوازه، والخلاف بين القائلين بالجواز والمانعين منه معروف، لكن الذي سنبحثه هنا الرسم باليد، فلم يختلف فيه أحد منهم مع وجود الخلاف عند المتقدمين من الأمة في ذلك.

ونظراً لأن هذا الموضوع (الرسم باليد) مهم جداً، وبخاصة في هذا الوقت الذي يظهر فيه من يقوم به بأنه فنان، ومبدع، ويمجدون اسمه، ويرفعونه في المكانة المرموقة مع أنه عاصٍ لله ورسوله، فإن التصوير من أكبر الكبائر كما دلت على ذلك النصوص الشرعية، وقد ذكر بعض الفقهاء أن

---

(١) ولمعرفة المزيد من العلة في تحريم التصوير انظرها في: حاشية ابن عابدين (١/ ٦٤٧)، أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٥٨٨)، جمع الدرر في أحكام الصور، أحمد بن نصر المصري، أحكام التصوير في الفقه الإسلامي، وهي رسالة ماجستير لمحمد واصل.

المصور لا تقبل شهادته، ونظراً لذلك ستكلم هنا عن الآتي:

١ ـ حكم الرسم أو النقش باليد فيما ليس ممتهناً.

٢ ـ حكم الرسم باليد فيما كان ممتهناً.

٣ ـ حكم رسم مقطوع الرأس.

٤ ـ حكم رسم الرأس فقط.

أولاً: حكم الرسم أو النقش باليد فيما ليس ممتهناً:

المراد به هنا ما كان مرسوماً على الورق كما هو موجود في كتب المدارس، أو المنقوشة على الجدران، أو ما كان منقوشا على اللوحات، أو الرسوم على الستائر وغير ذلك مما لا يداس ولا يمتهن، فهذا النوع من الرسم ذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة، بل هو قول أكثر السلف إلى تحريم هذا لأنه من التصوير المسطح.

وذهب المالكية إلى القول بالكراهية في صناعة الصور المسطحة مطلقاً لكن استثنوا من ذلك ما كان ممتهناً فإنهم يرون عدم الكراهية له.

احتج من قال بالتحريم بالأدلة الواردة في لعن النبي ﷺ للمصورين، وأن المصور يعذب يوم القيامة بأن يكلف بنفخ الروح في كل صورة صورها، قال النووي في شرحه على مسلم: وقال أصحابنا وغيرهم من العلماء: تصوير الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء أصنعه بما يمتهن أم بغيره فصنعته حرام بكل حال، لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى وسواء أكان في ثوب أم بساط أم درهم أم دينار أم فلس أم إناء أم حائط أم غيرها، وأما تصوير صورة الشجر، ورحال الإبل وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام هذا حكم التصوير نفسه(١).

قلت: ومما ينبغي التنبه له أن هناك فرقاً بين من يقوم بالرسم؛ أي:

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٤/٦٩ ـ ٧٠).

مباشرة الرسم بيده، وبين من يأخذ الرسوم ويعلقها على حائط مثلا، أو يشتري الشيء المرسوم عليه ليستعمله، فالأول؛ أي: الذي يقوم بالرسم هذا هو الذي جاءت نصوص الوعيد في حقه، أما الاتخاذ فنوع آخر ولذا قال النووي رحمه الله: «وأما اتخاذ المصوَّر فيه صورة حيوان، فإن كان معلقاً على حائط، أو ثوباً ملبوساً أو عمامة ونحو ذلك مما لا يعد ممتهناً فهو حرام، وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام» فأنت ترى أن النووي يرى أن الرسم مطلقاً سواء أكان الرسام سيرسم ما كان ممتهناً أم غير ممتهن، فإنه حرام لأنه في الحقيقة يباشر الرسم المنهي عنه، أما الاتخاذ فبمعنى آخر فلو اشترى شيئاً فيه صورة حيوان مثلاً أو إنسان وغيره مما له روح فهنا فرق بين ما يكون غير ممتهن وما يكون ممتهناً، فإن كان ممتهناً فقال: إنه ليس بحرام، وإن كان غير ممتهن فإنه حرام، وسيأتي قريباً إن شاء الله بيان حكم ما كان ممتهنا.

قال ابن عابدين رحمه الله في رده على من جوز صناعة ما كان ممتهناً: «وأما الاحتجاج لإباحة صنع الصور المسطحة باستعمال النبي ﷺ الوسادتين اللتين فيهما الصور، واستعمال الصحابة والتابعين لذلك، فإن الاستعمال للصورة حيث جاز لا يعني جواز تصويرها لأن النص ورد بتحريم التصوير ولعن المصور، وهو شيء آخر غير استعمال ما فيه الصور، وقد علل في بعض الروايات بمضاهاة خلق الله والتشبه به وذلك إثم غير متحقق في الاستعمال»[1].

قلت: والذي يظهر لمن كان له بصيرة بدينه بعد سياق الأدلة وأقوال أهل العلم أنه يعلم علماً يقيناً جازماً بتحريم الرسم، والنقش باليد لذوات الأرواح، ولا حجة لمن قال بكراهيته، أو بجوازه لأن الأدلة جاءت بالوعيد والتهديد كما ذكرنا ولذا كان التصوير المسطح كبيرة من كبائر الذنوب كما قال بعض أهل العلم.

(١) حاشية ابن عابدين (١/ ٤٣٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما التصوير نفسه عملاً واستعمالاً فحرام في كل موضع لما روى ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**والذين يضعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال: أحيوا ما خلقتم**». ثم ذكر الأدلة الدالة على تحريم التصوير، إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وإن كانت هذه الزيادة محفوظة[١] عن رسول الله ﷺ فالمراد بها ـ والله أعلم ـ ما رقم من الصور التي لا روح فيها، أو كان يوطأ ويداس من الصور في الثياب كما جاء ذلك مفسراً بالأحاديث الأخرى»[٢].



(١) الزيادة المراد بها هنا هي قوله ﷺ: «**إلا رقماً في ثوب**».

(٢) شرح عمدة الفقه لشيخ الإسلام (٢/٣٧٨ ـ ٣٩٥).

أدلة من قال بالكراهية دون التحريم
مع مناقشة هذه الأدلة

الدليل الأول: عن سهل بن حنيف ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة إلا رقماً في ثوب**»[١] قالوا: وقوله: «**إلا رقماً في ثوب**» جاء في رواية الحديث تفسيره حيث جاء فيها: «قال بسر: ثم اشتكى زيد فعدناه، فإذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال: «**إلا رقماً في ثوب؟**» قالوا: فهذا دليل واضح في جوازه مع الكراهية».

وللإجابة على هذا الاستدلال نقول:

أولاً: لقد ذكرنا فيما سبق أن هناك فرقاً بين مباشرة الرسم باليد، واستعمال المرسوم وذكرنا أن الرسم باليد لذوات الأرواح محرم، وأنه كبيرة من كبائر الذنوب أما اتخاذ المرسوم واستعماله فهو الذي وقع فيه الخلاف بين أهل العلم.

ثانياً: أن الحديث ليس فيه تصريح بأن ما كان مرسوماً على الستر أنه من ذوات الأرواح، ويحتمل أن يكون من غيرها، وإذا تطرق الاحتمال إلى الدليل سقط الاستدلال به.

ثالثاً: قال النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم ويجمع بين الأحاديث بأن المراد باستثناء الرقم في الثوب ما كانت الصورة فيه من غير ذوات

---

(١) أخرجه البخاري كتاب اللباس، باب من كره القعود على التصاوير الفتح (١٠/٤٠٣)، ومسلم كتاب اللباس تحريم تصوير صورة الحيوان برقم (٢١٠٦).

الأرواح، كصورة الشجر، ونحوها[١]، وقال ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري: ويحتمل أن يكون ذلك قبل النهي كما يدل عليه حديث أبي هريرة الذي أخرجه أصحاب السنن[٢].

قال ابن العربي: حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام فتحرم بإجماع، وإن كانت رقماً في ثوب ففيها أربعة أقوال:

الأول: يجوز مطلقاً على ظاهر قوله في حديث الباب: «**إلا رقماً في ثوب**».

الثاني: المنع مطلقاً حتى الرقم.

الثالث: إن كانت الصور باقية الهيئة قائمة الشكل حرم، وإن قطعت الرأس، أو تفرقت الأجزاء جاز، وهذا هو الأصح.

الرابع: إن كان مما يمتهن جاز، وإن كان معلقاً لم يجز[٣].

الدليل الثاني: قوله تعالى في الحديث القدسي: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة**»[٤].

قالوا في الاحتجاج به: بأن الله تعالى لم يخلق هذه الحياة سطوحاً بل اخترعها مجسمة.

من أسباب فهم وفقه الحديث معرفة سبب ذكره، وهذا الحديث ذكره أبو هريرة حينما رأى رجلاً يصور صوراً في دار بالمدينة، وتمام الحديث كالآتي:

روى البخاري في صحيحه قال: حدثنا موسى، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عمارة، حدثنا أبو زرعة قال: دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة فرأى في أعلاها مصوراً يصور، قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «**ومن أظلم من**

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٤/ ٧٣).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٣٩١).
(٣) المرجع السابق.
(٤) أخرجه البخاري كتاب اللباس، باب من كره القعود على التصاوير الفتح (١٠/ ٣٩٨)، ومسلم كتاب اللباس تحريم تصوير صورة الحيوان برقم (٢١١١).

ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة...» الحديث.

فإننا نرى في قوله: «**مصوراً يصور**» إشارة إلى أنه لم يكن ينحت، أو يجعل صنماً مجسماً، وإنما هو يصور صوراً على جدران هذه الدار وحيطانها، وهذه الصور بلا شك صورة مسطحة لا مجسمة، فاستدل أبو هريرة بهذا الحديث على تحريم التصوير باليد لما كان مسطحاً لعموم هذا الحديث، ولغيره من الأدلة الأخرى الدالة على تحريم التصوير لذوات الأرواح، إذاً فهذا الدليل حجة لمن قال بتحريم النقش باليد وكذا الرسم بها لما كان مسطحاً.

الدليل الثالث: ومن الأدلة أيضاً عند من قال بالكراهة دون التحريم حديث عائشة ﵂ وفيه أنه كان في بيتها ستر فيه تماثيل فلما رآه النبي ﷺ هتكه وقال: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**»(١)، قالت: فجعلته وسادة أو وسادتين، وفي رواية: كان يرتفق عليها النبي ﷺ. وفي رواية قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال لي النبي ﷺ: «**حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا**»(٢).

قالوا: وهذا فيه دليل على أن النبي ﷺ استعمل هذه الصور في بيته لأن عائشة ما كان منها إلا أنها جعلته وسادتين لما رأت كراهية النبي ﷺ لوجودها ستراً، ولم ينكر عليها النبي ﷺ ذلك، ولا شك أن الصورة باقية على الوسادتين.

قلت: وللإجابة على هذا الاستدلال **أولاً** نقول: نجيب بما قلناه سابقاً أن هذا من الخلط بين الأمور فهناك فرق بين الرسم واستعمال الرسوم، فالأول كما ذكرنا كبيرة من كبائر الذنوب، ومعصية عظيمة يقوم بها الرسام، أما استعمال الرسوم فهذا كما ذكرنا سابقاً أنه محل خلاف، والصحيح الذي

---

(١) أخرجه البخاري انظر: فتح الباري (١٠/ ٤٠٠)، ومسلم شرح النووي (١٥/ ٧٤ ـ ٧٥).

(٢) أخرجه مسلم انظره في: صحيح مسلم شرح النووي (١٥/ ٧٣).

لا شك فيه تحريم استخدامه وهو قول جمهور أهل العلم، وقد بينا ذلك سابقاً.

ثانياً: أن هذا الحديث احتج به من قال بجواز استعمال الصور إذا كانت ممتهنة كما سنذكره قريباً ـ إن شاء الله ـ أما الاحتجاج به في جواز الرسم باليد، واستعمال الصور المرسومة بها في غير امتهان فهذا لا يدل عليه الدليل، فأنت ترى قولها ﵂: «هتكه» وقولها: «فتغير لونه» وقولها: «أتوب إلى الله» كل هذا فيه إشعار بأن هناك مخالفة لأمور قد حصلت، والمخالفة المقرونة بالغضب وتغير اللون منه دليل على أنها مخالفة عظيمة تستحق التوبة منها، ولذا لم ينكر عليها النبي ﷺ «أتوب إلى الله»، إذ لو كان الأمر هيناً لقال لها: هوني على نفسك ولا حاجة إلى التوبة في ذلك فالأمر إذاً عظيم جداً، وكبيرة من كبائر الذنوب.

قلت: وهناك أدلة أخرى مما احتج بها هؤلاء على جواز النقش، أو الرسم باليد تركتها لأنها لا تخرج عما ذكرناه وكلها أدلة لا تخلو من الردود عليها.



صناعة الصورة على وجه الامتهان

قبل أن نتعرف على أقوال العلماء في حكم هذا النوع من التصوير، نريد أن نتعرف على الامتهان هنا وحده، فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: الامتهان تعريفه في اللغة:

يقال: امتهن الشيء أي: احتقره وابتذله، فقولهم هذه صورة ممتهنة أي: محتقرة مبتذلة، أما حد الامتهان في الصور فيقال: هو ما كان في الأرض أو في بساط مفروش، أو فراش ونحو ذلك، فالفرق بين الممتهن وغير الممتهن أن الأخير ما كان منصوباً، والنصب المنهي عنه أيّ نصب في أي مكان كان سواء أكان هذا المكان مكان تكريم أم مكاناً مهاناً، كالحمام، وغيره بخلاف من قال بجوازه بالأماكن غير المكرمة، كالحمام، والممرات.

وقد ذكر بعض الشافعية أن الصور المهانة ما كانت نحو قصعة، وخوان، وطبق[١].

والذي يظهر لي أن هذا غير ممتهن، بل حد الممتهن ما كان على فراش يداس، أو ما يتكأُ عليه، ومما ذكره أيضاً بعض الشافعية أن من الممتهن الصور التي على النقود، كما ذكر ذلك الرملي حيث قال: «وعندي أن الدنانير الرومية التي عليها الصور من القسم الذي لا ينكر لامتهانها بالإنفاق والمعاملة»[٢].

قلت: وهذا القول غير صحيح، فإن النقود التي عليها صور الملوك

(١) نهاية المحتاج (٦/ ٣٩٦)، وأسنى المطالب (٣/ ٢٢٦).

(٢) نهاية المحتاج (٦/ ٣٦٩)، وأسنى المطالب (٣/ ٢٢٦).

والحكام ما وضع أصحاب هذه الصور عليها إلا من أجل تعظيمهم وتشريفهم فكيف يقال بأنها مهانة، أما استعمال السلف لهذه الدنانير: فهو من أجل الحاجة والضرورة لهذه النقود، ولو وجد غيرها ما استعملوها فإنهم أبعد الناس من الوقوع في ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ.

ثانياً: حكم الرسم باليد لما يعد ممتهناً:

ذكرنا فيما سبق أن هذا لا يجوز بل هو كبيرة من كبائر الذنوب، لكن قد يقول قائل ممن يقوم برسم هذه الصور التي تعد ممتهنة بقياس صناعتها على نسج الحرير لمن يحل له، وذلك بجامع أنه يجوز استعمال كل من المقيس وهي الصورة الممتهنة، والمقيس عليه وهو لبس الحرير لمن يحل له، كذلك يجوز صناعة الصور الممتهنة، لأنه يجوز استعمالها وإبقاؤها داخل البيت على وجه الامتهان لها والابتذال[1].

قلت: هذا استدلال غير صحيح لأمرين:

الأول: أن الأصل في نسج الحرير وصناعته هو الجواز، وذلك لأن النساء يجوز لهن لبسه مطلقاً بخلاف التصوير فالأصل فيه التحريم إلا لضرورة فكيف نقيس ما كان أصله الجواز مع ما كان أصله التحريم؟

الأمر الثاني: أن هذا القياس قياس مع الفارق، لأن العلة مختلفة تماماً بين الأمرين، ومن المعلوم أن القياس لا يكون صحيحاً إلا إذا كانت العلة بين المقيس والمقيس عليه مشتركة بينهما، فأين ذلك هنا؟

فالعلة في التصوير معلومة كما ذكرنا ذلك سابقاً، وهي مضاهاة خلق الله ومشابهة فعل الخالق بالمخلوق، أما هذه العلة فلا توجد أصلاً في نسج الحرير وصناعته.

ومن هنا بطل الاستدلال بالقياس، ولا حجة لمن قال يجوز صناعة الصور لذوات الروح عموماً، بل القول بالتحريم هو الصحيح، وبه قال جمهور

---

(١) انظر استدلالهم بهذا في: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٢/ ١١١).

أهل العلم وهذه جملة من أقوالهم في هذه المسألة قال القرطبي رحمه الله: لعن رسول الله ﷺ المصورين، ولم يستثنِ، وقوله: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» ولم يستثن، إلى أن قال رحمه الله: وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**». يدل على المنع من تصوير أي شيء كان[1].

قلت: لكن استثنت الشريعة ما ليس له روح كما ذكر سابقاً.

ثالثاً: حكم استعمال الصور على وجه الامتهان:

ذكرنا فيما سبق أنه يحرم تصوير ذوات الأرواح مطلقاً على وجه الامتهان، أو على عدم الامتهان لكن هنا مسألة وهي هل يجوز استعمال الصور الممتهنة.

قلت: قد وقع خلاف بين العلماء في هذه المسألة. قال الطحاوي في معاني الآثار: «فذهب ذاهبون إلى كراهية اتخاذ ما فيه صور من الثياب، وما كان يوطأ من ذلك ويمتهن، وكرهوا كونه في البيوت واحتجوا في ذلك بهذه الآثار[2]، وخالفهم في ذلك آخرون، فقالوا: ما كان يوطأ ويمتهن فلا بأس وكرهوا ما سوى ذلك»[3].

قلت: ومن هنا يظهر لنا أن هناك خلافاً وقع بين أهل العلم في استعمال الصور الممتهنة، فمنهم من كرهها، ومنهم من أجازها.

القول الأول: من قال بالجواز.

قال النووي رحمه الله: وإن كان في بساط يداس ومخدة أو وسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام[4]. وذكر أن هذا القول مروي عن جمهور أهل العلم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٧٤).

(٢) قلت: ذكرنا طرفاً من هذه الآثار عند الكلام على أدلة من قال بكراهية الرسم باليد.

(٣) شرح معاني الآثار الطحاوي (٤/ ٢٨٣).

(٤) مسلم بشرح النووي (١٤/ ٧٠).

من الصحابة، والتابعين. وهو قول النووي، ومالك، وأبي حنيفة، والشافعي.

وذكرنا كلام ابن العربي في ذلك حين قال: الرابع «وإن كان مما يمتهن جاز، وإلا لم يجز»[١].

وقال أيضاً في معاني الآثار بعد ذكر الأدلة في جواز استعمال ما يمتهن، قال: «فأما ما كان يوطأ ويمتهن فهو خارج من ذلك، وهذا مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد ـ رحمهم الله تعالى ـ»[٢].

وقال ابن حجر في الفتح: «وأن الذي رخص فيه من ذلك ما يمتهن لا ما كان منصوباً، وقد أخرج ابن أبي شيبة من طريق أيوب عن عكرمة قال: كانوا يقولون في التصاوير والبسط والوسائد التي توطأ ذلٌّ لها، ومن طريق عاصم عن عكرمة قال: كانوا يكرهون ما نصب من التماثيل نصباً، ولا يرون بأساً بما وطئته الأقدام. ومن طريق ابن سيرين عن سالم عن عبد الله، وعكرمة بن خالد، وسعيد بن جبير فرَّقهم أنهم قالوا: لا بأس بالصورة إذا كانت توطأ. ومن طريق عروة أنه كان يتكئ على مرافق فيها تماثيل الطيور والرجال»[٣].

وقال في المنهاج: «ويجوز ما على الأرض وبساط ومخدة ومقطوع الرأس، أو الصورة» قال شارحه في مغني المحتاج: (ويجوز ما) أي: صورة حيوان كائنة (على الأرض وبساط) يوطأ ويداس (ومخدة) يتكأ عليها وآنية تمتهن الصور باستعمالها، كطبق وخوان وقصعة، والضابط في ذلك إن كانت الصورة على شيء مما يهان جاز وإلا فلا[٤].

وقال في حاشية ابن عابدين: «لو كانت الصورة على وسادة ملقاة، أو على بساط مفروش لا يكره لأنها تداس وتوطأ بخلاف ما إذا كانت الوسادة

---

(١) فتح الباري (١٠/٣١٩).
(٢) شرح معاني الآثار (٤/٢٨٥).
(٣) فتح الباري (١٠/٣٨٨ ـ ٣٨٩).
(٤) مغني المحتاج (٣/٢٤٧ ـ ٢٤٨).

منصوبة، أو كانت على الستر لأنها تعظيم لها»[١].

قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: «لا يجوز بقاء هذه التصاوير المشار إليها على حالها بل يجب قطع رأسها، أو طمسها ما لم تكن في بساط ونحوه مما يذل ويمتهن، فإنه لا بأس بتركها على حالها كما تقدم الدليل على ذلك من حديث أبي هريرة وعائشة»[٢].

فهذه أدلة وأقوال من قال بجواز استعمال الصور الممتهنة.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ تعليقاً على هذا القول: هذا المذهب أوسط المذاهب في هذا الباب[٣].

وقال أيضاً: هذا أعدل المذاهب، وأوسطها في هذا الباب، وعليه أكثر العلماء، ومن حمل عليه الآثار لم تتعارض على هذا التأويل، وهو أولى ما اعتقد فيه[٤].

القول الثاني: من قال بكراهية استخدام الصور الممتهنة.

ذهب بعض أهل العلم إلى القول بكراهية استعمال التصاوير الممتهنة، واحتجوا لذلك بعموم الأدلة الواردة في النهي عن التصاوير، كحديث أسامة بن زيد عن النبي ﷺ قال: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة**».

وقول جبريل أيضاً للنبي ﷺ قال: «**إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة**»، وعن أبي الزبير قال: سألت جابراً عن الصور في البيت وعن الرجل يفعل ذلك. فقال: زجر رسول الله ﷺ عن ذلك[٥].

وأجابوا عن حديث عائشة بأن النبي ﷺ هتك الستر، فلا يلزم منه وجود شيء من هذه التصاوير على الوسادتين، بل المعنى المتبادر هو محوها تماماً

(١) حاشية ابن عابدين من (١/ ٦٤٧).
(٢) حكم الإسلام في التصوير لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ.
(٣) الاستذكار (٢٧/ ١٨٠).
(٤) التمهيد (٢٧/ ١٩٩).
(٥) شرح معاني الآثار (١/ ٢٨٣).

وذلك يفهم من قولها: «فهتكه»[(١)]، بل جاء في حديث آخر أن عائشة قالت: اشتريت نمرقة فيها تصاوير، فلما دخل علي رسول الله ﷺ فرآها تغير ثم قال: **«يا عائشة ما هذه؟»**.

فقلت: «نمرقه اشتريتها لك، تقعد عليها»، قال: «**إنا لا ندخل بيتاً فيه تصاوير**»[(٢)].

قالوا: مما لا شك أنه مما يمتهن.

الراجح من القولين:

وبعد عرض أقوال وأدلة الفريقين يظهر لي:

أنه لا بأس باستعمال التصاوير الممتهنة مما توطأ وتداس، لكن هذا خلاف الأولى ولا سيما إذا كانت هذه الصور تمنع من دخول الملائكة على الصحيح لحديث عائشة رضي الله عنها، فمتى استطاع المسلم أن يتجنب ما فيه تصاوير من دخولها في بيته كان هذا هو الأولى والأحسن خروجاً من الخلاف.

رابعاً: صناعة الصور مقطوعة الرأس:

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين: **القول الأول**: وهو قول جمهور أهل العلم من الحنفية، والشافعية، والمالكية، والحنابلة، وغيرهم على أنه يجوز رسم، أو نقش الصورة مقطوعة الرأس.

قال ابن عابدين في حاشيته: «أو مقطوعة الرأس، والوجه، أو لغير ذي روح لا يكره لأنه لا يعبد»[(٣)].

قال ابن عبد البر في الاستذكار: وقد قال قوم: ما قطع رأسه فليس بصورة ورُوي ذلك عن ابن عباس وقالت به طائفة[(٤)].

---

(١) ذكر معنى هذا الكلام ابن عبد البر التمهيد (٢١/ ١٩٨).

(٢) شرح معاني الآثار (٤/ ٨٣).

(٣) حاشية ابن عابدين (١/ ٦٨٤).

(٤) الاستذكار لابن عبد البر (٢٧/ ١٨٠).

قال ابن حجر في الفتح: ونقل الرافعي عن الجمهور أن الصورة إذا قطع رأسها ارتفع المانع.

قلت: وقد استدل الجمهور بأدلة منها، ما رواه أبو داود عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل** ﵇، **فقال لي: أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فمُر برأس التمثال الذي في البيت يُقطع، فيصير كهيئة الشجرة، ومُرْ بالستر فليُقطع، فيجعل منه وسادتين منبوذتين توطأن، ومُرْ بالكلب فليُخرج**» ففعل رسول الله ﷺ، وإذا الكلب لحسن أو حسين كان تحت نضد لهم فأمر به فأُخرج[(١)].

ومن أدلتهم أيضاً، ما جاء عن ابن عباس مرفوعاً عن النبي ﷺ قال: «**الصورة الرأس فإذا قطع الرأس فلا صورة**»[(٢)].

القول الثاني: وهو أنه يحرم الرسم، أو النقش مطلقاً سواء أكان مقطوع الرأس أم لا.

قال القرطبي ﵀ عند قول النبي ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**»: يدل على المنع من تصوير أي شيء كان، وقد قال الله ﷻ: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠][(٣)].

قال في مغني المحتاج: «أو يحرم تصوير حيوان» للحديث الوارد لما فيه من مضاهاة خلق الله. قال المتولي: وسواء أعمل لها رأساً أم لا خلافاً لأبي حنيفة ﵁[(٤)].

واحتج من قال بالتحريم هنا بعموم الأدلة التي وردت في تحريم التصوير مطلقاً، فلم يستثنوا منها شيئاً.

---

(١) الحديث رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٥٠٤).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٩٢١) (٤/ ٥٥٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٢٧٤).

(٤) مغني المحتاج (٣/٢٤٨).

قلت: والصحيح قول من قال بجواز الصورة مقطوعة الرأس لقوة الأدلة الواردة فيها، وبهذا قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في شرح السنة تعليقاً على حديث جبريل المتقدم: الصورة إذا غيرت هيئتها بأن قطع رأسها، أو حلت أوصالها حتى لم يبق منها إلا أثر على شبه صورة فلا بأس[1].

خامساً: صناعة أو رسم رأس صورة فقط:

اختلف الفقهاء هنا أيضاً في حكم رسم أو نقش رأس ذي روح فقط على قولين:

فذهب بعض الشافعية والحنابلة إلى القول بتحريم ذلك احتجاجاً بحديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكذا حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سالف الذكر. قلت: وقد جاء عن أبي هريرة ما يدل أيضاً على ذلك فعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الصورة الرأس فكل شيء ليس له رأس فليس بصورة[2].

وذهب آخرون وهم جمهور أهل العلم إلى القول بجواز صناعة، أو نقش الرأس دون سائر الأعضاء، وعللوا ذلك بأنه إذا قطعت صورة ذوات الأرواح مما لا تبقى حياة الحي بعد ذهابه كصدره أو بطنه، فإن ذلك لا يدخل تحت النهي عن التصوير الوارد في الأحاديث.

قلت: والصحيح في ذلك هو القول بتحريم رسم، أو نقش الرأس فقط لقوة الأدلة الدالة على ذلك وصراحتها في الاستدلال بها، ولأن هذه الأحاديث التي جاءت بقطع الرأس حصرت الصورة المحرمة بوجود الرأس، فوجب حمل الحكم عليها لإناطة الحكم بها دون ذكر الأعضاء الأخرى، قال شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ويشتمل الحديث المذكور أيضاً على أن قطع غير الرأس من الصورة كقطع نصفها الأسفل ونحوه لا يكفي، ولا يبيح استعمالها، ولا يزول به المانع من دخول الملائكة، لأن النبي ﷺ أمر بهتك الصورة ومحوها

(١) شرح السنة (١٢/ ١٣٤).
(٢) شرح معاني الآثار (٤/ ٢٨٧).

وأخبر أنها تمنع من دخول الملائكة، إلا ما امتهن منها، أو قطع رأسه فمن ادعى مسوغاً لبقاء الصورة في البيت غير هذين الأمرين فعليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ولأن النبي ﷺ أخبر أن الصورة إذا قطع رأسها كان باقيها كهيئة الشجرة، وذلك يدل على أن المسوغ لبقائها خروجها عن شكل ذوات الأرواح، ومشابهتها للجماد، والصور إذا قطع أسفلها وبقي رأسها لم تكن بهذه المثابة لبقاء الوجه الذي فيه من بديع الخلقة والتصوير ما ليس في بقية البدن، فلا يجوز قياس غيره عليه عند من عقل عن الله ورسوله.

إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وبهذا يتبين لطالب الحق أن تصوير الرأس، وما يليه من الحيوانات داخل في التحريم والمنع لأن الأحاديث المتقدمة تعمه وليس لأحد أن يستثني من عمومها، إلا ما استثناه الشارع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وكذلك الحيوان إذا قطع رأسه، أو طمس لم يكن من الصور المنهي عنها. قيل لأحمد في الرجل يكتري البيت فيه تصاوير، يحكه؟ قال: نعم، وقيل له: وإن دخل حماماً ورأى صورة حك الرأس؟ قال: نعم، وقال: إذا كان تمثالاً منصوباً يقطع رأسه[(١)]. إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد أومأ أحمد إلى ذلك فإنه سئل عن الستر يكون عليه صورة قال: لا، وما لم يكن له رأس فهو أهون، وإن كان له رأس فلا، وذلك لأن سائر الأعضاء أبعاض الحيوان ففي إبقائها إبقاء لبعض الصورة، لكن لما كان الحيوان لا تبقى فيه حياة بدون رأس، كان بمنزلة الشجر فزال عنه التحريم، وبقيت فيه الكراهية[(٢)].

تاسعاً: الرسم الكاريكاتوري:

تعريفه في نظري: هو رسم يقوم به من يسمى بالفنان بالتعبير عن سخطه لشخص ما ونحو ذلك، فيقوم برسم هذا الشخص بطريقة فيها نوع

(١) رسالة حكم الإسلام في التصوير.

(٢) شرح عمدة الفقه لشيخ الإسلام (٢/ ٣٩٧).

سخرية منه وذلك لإضحاك الآخرين عند رؤيتهم صورة هذا الشخص.

وهذا النوع من الرسم أشد تحريماً في نظري من غيره لأمرين:

الأول: أنه رسم لذي الروح، وقد جاءت الأدلة على تحريم ذلك كما ذكرنا.

ثانياً: أنه فيه نوع سخرية من خلق الله ـ تعالى ـ، وإهانة لهم ولذا كان التحريم فيه أشد.

فإن قال قائل: إن هذه الصورة الكاريكاتورية مشوهة الخلقة، ولا نظير لها في الواقع قلنا هذا تعليل باطل من وجوه:

الأول: أن هذا رسم باليد لذي روح، فإن كانت الصورة لذي روح فلا أثر لما تدعونه من كونها لا نظير لها.

الوجه الثاني: أن الشريعة جاءت ببيان معنى الامتهان، فكون الصورة مشوهة الخلقة لا يكفي في جوازها.

الوجه الثالث: أننا ذكرنا فيما سبق أن الرسم يحرم مطلقاً سواء أكان مما يمتهن أم لا ما دام لذي روح.

عاشراً: أقوال أهل العلم المعاصرين حول هذا الموضوع:

أولاً: رأي اللجنة الدائمة للإفتاء (في المملكة العربية السعودية).

سئلت اللجنة الدائمة عن حكم الإسلام في التصوير؟ فأجابت: الأصل في تصوير كل ما فيه روح من الإنسان، وسائر الحيوانات أنه حرام سواء أكانت مجسمة أم رسوماً على ورقة، أم قماش، أم جدران، أم كانت صورة شمسية لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من النهي عن ذلك، وتوعد فاعله بالعذاب الأليم ولأنها عهد جنسها أنه ذريعة إلى الشرك بالله بالمثول أمامها، والخضوع لها، والتقرب إليها، وإعظامها إعظاماً لا يليق إلا بالله ـ تعالى ـ، ولما فيها من مضاهاة خلق الله، ولما في بعضها من الفتن كصور الممثلات والنساء العاريات، ومن يسمَّين ملكات الجمال وأشباه ذلك.

ومن الأحاديث التي وردت في تحريمها ودلت على أنها من الكبائر

حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول الله ﷺ قال: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[١]. رواه البخاري، ومسلم.

وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**»[٢] رواه البخاري، ومسلم. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله ـ تعالى ـ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو يخلقوا شعيرة**»[٣] رواه البخاري ومسلم. وحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه، وقال: «**يا عائشة أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**»، فقطعناها فجعلنا منه وسادة، أو وسادتين. رواه البخاري ومسلم.

(القرام: الستر. والسهوة: الطاقة النافذة في الحائط).

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ**»[٤] رواه البخاري ومسلم، وحديثه أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً تعذبه في جهنم**»، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فإن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر، وما لا نفس له» رواه البخاري ومسلم، فدل عموم هذه الأحاديث على تحريم تصوير كل ما فيه روح مطلقاً، أما ما لا روح فيه من الشجر، والبحار، والجبال، ونحوها فيجوز تصويرها كما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يعرف عن الصحابة من أنكره عليه، ولما فهم من قوله في

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤)، والبخاري رقم (٥٩٥١، ٥٩٥٧، ٧٥٥٧، ٧٥٥٨)، ومسلم (٢١٠٨)، والنسائي في المجتبى (٨/ ٢١٥).

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٧٥)، والبخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩)، والنسائي في المجتبى (٨/ ٢١٦).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٣٢) ٥٩، ٣٩١، ٤٠١، ٥٧٢، والبخاري برقم (٥٩٥٢، ٧٥٥٠)، ومسلم برقم (٢١١١).

(٤) رواه أحمد (١/ ٢٤١)، والبخاري برقم (٢٢٢٥، ٥٩٦٣) بألفاظ، ومسلم (٢١١٠).

أحاديث الوعيد: «**أحيوا ما خلقتم**» وقوله فيها: «**كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**».

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[(١)].

وسئلت اللجنة أيضاً: هل رسم ذوات الأرواح جائز إذا كانت على شرشف، أو صحن، أو سجاد، أو ما شابه ذلك من الأشياء؟ فأجابت اللجنة: الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد:

فيحرم تصوير ذوات الأرواح سواء أكان على شرشف أم صحن أم سجاد أم غير ذلك، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[(٢)].

وسئلت اللجنة أيضاً: كنا قد بدأنا مشروع مجلة للأطفال المسلمين باسم «أروى» نرفق لكم نسخة منها وجاء من نثق به وبدينه يعترض علينا من جهة رسوم الأشخاص، علماً بأننا تحاشينا في عملنا رسم الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ. ومع هذا جئنا بخطابنا هذا نستفتيكم بشرعية ما أقدمنا عليه راجين الرد السريع على رسالتنا.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد فتصوير ذوات الأرواح مطلقاً حرام، ولو كانت صور غير الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وغير صور الصحابة ﷺ وليس اتخاذها وسيلة للتشويق والإيضاح مبرراً للترخيص فيها.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[(٣)].

وسئلت أيضاً: عن حكم الصيني الموجود عليه تصوير مع العلم أنه يترك ولا يستخدم إلا للضرورة.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٤٥٥، ٤٥٧).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق (ص٤٦٥).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد..

فالأصل التحريم في تصوير ذوات الأرواح للأدلة الواردة في ذلك لكن إذا كانت الصورة مهانة أو مقطعة جاز استعمال ما رسمت عليه كالبساط، ونحوه. وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء[١].

وسئلت أيضاً: عن حكم الرسم على السبورة رسوماً تخطيطية في عملية التعليم مع العلم أن الرسم عبارة عن أشكال حيوانات، ونباتات وحشرات في مادة التاريخ الطبيعي (الأحياء) وقد تكون هذه الرسوم مهمة في مادة التعليم.

فأجابت اللجنة قائلة:

ما كان من ذلك صوراً لذوات الأرواح كالحشرات وسائر الأحياء فلا يجوز ولو كان رسماً على السبورة، والأوراق، ولو كان القصد منه المساعدة على التعليم، لعدم الضرورة إليها لعموم الأدلة وما لم يكن من الأرواح جاز رسمه للتعليم وغيره[٢].

وسئلت أيضاً: ما موقف المسلم من الصور التوضيحية التي في الكتب الدراسية، والكتب العلمية والمجلات الإسلامية النافعة، مع أنه لا بد من وجود هذه الصور للتوضيح وتقريب الفهم؟ فأجابت: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد..

فتصوير ذوات الأرواح حرام مطلقاً لعموم الأحاديث التي وردت في ذلك، وليست ضرورية للتوضيح في الدراسة، بل هي من الأمور الكمالية لزيادة الإيضاح، وهناك غيرها من وسائل الإيضاح يمكن الاستغناء بها عن الصور في تفهيم الطلاب والقراء، وقد مضى على الناس قرون وهم في غنى عنها في التعليم والإيضاح، وصاروا مع ذلك أقوى منا علماً وأكثر تحصيلاً، وما ضرهم ترك الصور في دراستهم ولا نقص من فهمهم لما أرادوا ولا من

---

(١) المرجع السابق (ص٤٦١).

(٢) المرجع السابق (ص٤٧٢).

وقتهم وفلسفتهم في إدراك العلوم وتحصيلها، وعلى هذا لا يجوز لنا أن نرتكب ما حرم الله من التصوير لظننا أنه ضرورة وليس بضرورة لشهادة الواقع بالاستغناء عنه قروناً طويلة[١].

ثانياً: قول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﵀: سُئل عن الرسم فقال:

«الرسم له معنيان أحدهما رسم الصور ذوات الأرواح وهذا جاءت السنة بتحريمه، فلا يجوز الرسم الذي هو رسم ذوات الأرواح، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**كل مصور في النار**»، وقوله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون الذين يضاهون بخلق الله**» ولقوله ﷺ: «**إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» ولأنه ﷺ لعن آكل الربا وموكله ولعن المصور، فدل ذلك على تحريم التصوير، وفسر العلماء ذلك بأنه تصوير ذوات الأرواح من الدواب، والإنسان، والطيور. أما رسم ما لا روح له وهو المعنى الثاني، فهذا لا حرج فيه، كرسم الجبل، والشجر، والطائرة، والسيارة، وأشباه ذلك لا حرج فيه عند أهل العلم، ويستثنى من الرسم المحرم ما تدعو الضرورة إليه، كرسم صور المجرمين حتى يعرفوا ويمسكوا، أو الصورة في حفيظة النفوس التي لا بد منها ولا يستطيع الحصول عليها إلا بذلك، وهكذا ما تدعو الضرورة إلى تصويره لخطورته ولقصد سلامة المسلمين من شره حتى يعرف أو لأسباب أخرى فلا بأس، قال الله ﷻ: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩][٢].

ثالثاً: قول شيخنا محمد الصالح العثيمين ﵀: سئل شيخنا محمد الصالح العثيمين ﵀ سؤالاً جاء فيه: ما معنى جملة «**إلا رقماً في ثوب**» التي وردت في الحديث هل تدل على حل الصور التي في الثوب:

فأجاب ﵀: «إن رأينا في الحديث «**إلا رقماً في ثوب**» من النصوص

(١) المرجع السابق (ص٤١٧).

(٢) فتاوى نور على الدرب (١/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦).

المتشابهة، والقاعدة السليمة: يردُّ إلى المحكم، ولقوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. ويردُّ المتشابه إلى المحكم ولا يبقى فيه إشكال؟ فهذا الحديث: «**إلا رقماً في ثوب**»، يحتمل أنه عام، رقماً: يشمل صورة الحيوان، وصورة الأشجار، وغير ذلك، فإنه محتمل لهذا، فإنه يحمل على النصوص المحكمة التي تبين أن المراد برقم الثوب ما ليس بصورة حيوان، أو إنسان حتى تبقى النصوص متفقة.

ونحن لا نرى ذلك والتفصيل فيما له ظل، وما ليس له ظل، لأن حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صحيح مسلم أنه قال: «يا أبا الهياج ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا صورة إلا طمستها»[1].

وسئل أيضاً رحمه الله سؤالاً جاء فيه:

فضيلة الشيخ يطلب من الطالب في بعض المدارس أن يرسم صورة لذات روح، أو يعطى مثلاً بعض دجاجة، ويقال: أكمل الباقي، وأحياناً يطلب منه أن يقص الصورة ويلزقها على الورق، أو صورة يطلب منه تلوينها فما رأيكم في هذا؟

فأجاب رحمه الله: «الذي أرى في هذا أنه حرام يجب منعه، وأن المسؤولين عن التعليم يلزمهم أداء الأمانة في هذا الباب، ومنع هذه الأشياء، وإذا كانوا يريدون أن يثبتوا ذكاء الطالب بإمكانهم أن يقولوا: اصنع صورة سيارة، أو شجرة، أو ما أشبه ذلك مما يحيط به علمه، ويحصل بذلك على مدى ذكائه وفطنته وتطبيقه للأمور وهذا مما ابتلي به الناس بوساطة الشيطان، وإلا فلا فرق بلا شك في إجادة الرسم والتخطيط بين أن يخطط الإنسان صورة شجرة، أو سيارة... إلى أن قال: والذي أرى أنه يجب على المسؤولين منع هذه الأشياء».

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين جمع فهد السليمان (٢/ ٢٨٤).

التصوير الفوتوغرافي

توطئة:

إن مما تميزت به شريعتنا الغراء أنها صالحة لكل زمان ومكان فليس هناك نازلة في عصر من العصور إلا ولشريعتنا الإسلامية فيه حكم من عصر النبوة إلى هذه العصور المتأخرة زمناً المتقدمة تكنولوجياً وتقنياً وعلمياً، وهذا دليل على شمولية هذه الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

ولما كان التصوير الفوتوغرافي نوعاً من الاكتشافات الحديثة التي لم تكن موجودة ولا معروفة في عهد رسول الله ﷺ ولا في زمن الصحابة الأبرار ﷺ ولا في عهد ازدهار المدارس الفقهية وإنما اكتشف مؤخراً، ومن هنا فلا يمكن الحصول على رأي العلماء السابقين من أئمة الهدى والدين في هذه العصور المتقدمة نظراً لعدم وجوده في تلك الحقبة والمراحل الزمنية. ومن هنا نشأ الخلاف في حكم هذا النوع من التصوير.

ولما كان هذا النوع من التصوير من أكثر أنواع التصوير انتشاراً واستعمالاً في كثير من المجالات وخصوصاً في هذا العصر كان ولا بد من وقفة معه نبين فيه ما يأتي:

١ ـ تعريفه.

٢ ـ نشأته ونشأة الخلاف فيه

٣ ـ حكمه ويتناول الآتي:

١ ـ من قال بجوازه.

٢ ـ من قال بعدم الجواز.

٣ ـ الراجح عندي من القولين.

٤ ـ فتوى الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله فيه مع بيان وجه الخطأ في فهمها.

التصوير الفوتوغرافي

تعريفه:

كلمة التصوير قد سبق الكلام عليها في المبحث الأول. أما كلمة (فوتوغرافي) فهذه الكلمة ليست بعربية لكنها مشتقة من اليونانية ترجمتها (ضوء وأنا أرسم).

ومن هنا يكون التعريف العربي لهذه الكلمة «التصوير الشمسي» أو «التصوير الضوئي».

نشأته:

ذكرنا آنفاً أن هذا النوع من التصوير لم يكن موجوداً ولا معروفاً من قبل وإنما اكتشف في هذه العصور المتأخرة، فقد قيل بأنه اكتشف في عام (١٨٣٩م) على يد رجل انجليزي، ذكر ذلك عدد من الباحثين ممن كتب في هذا المجال.

نشأة الخلاف فيه:

لما كان هذا النوع من التصوير نشأ في هذه العصور المتأخرة وكما ذكرنا في التوطئة نشأ الخلاف بين العلماء، فمنهم من قال بجوازه ومنهم من قال بتحريمه.

فالذين قالوا بالجواز قالوا بأن الآلة التي تسمى (الكاميرا) هي التي تلتقط الصورة التي توجه إليها عن طريق نقل الأضواء الظلال الواقعة على الجسم وطبعها على ألواح بلاستيك شفافة (الشريط) ثم يعاد طبع الصورة على ورق عن طريق تمرير ضوء من خلال هذا اللوح أو الشريط البلاستيكي.

ومن هنا قالوا بأن هذه الصورة ليست صورة فنية يراد بها إثبات مقدرة الفنان أو الرسام أو المصور. وإنما القدرة هنا قدرة الآلة الممثلة في العدسات التي يمر خلالها الظلال والأضواء. فكانت الآلة هنا هي القائمة بالتصوير، ولا يمكن أن يقال بأن الذي اخترع هذه الصورة أو ابتدعها هو الإنسان، ومن هنا أجازها بعض العلماء كما سنذكره إن شاء الله.

لكن الأمر لم ينته بعد ببيان ما استدل به من قال بالجواز بل جاء بعض أهل العلم فجعلوه من جملة التصوير الذي جاءت الشريعة بالنهي عنه فهو لا يعدو عن كونه نوعاً من أنواع التصوير الممنوع، ولذلك فإنه يسمى تصويراً لغة وشرعاً وعرفاً، ومن هنا نشأ الخلاف بين العلماء في القول بالجواز والتحريم.

من قال بالتحريم:

ذهب إلى القول بالتحريم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وكذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان والعلامة الألباني رحمه الله، وبالتحريم أيضاً أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية وغيرهم كثير من أهل العلم المعاصرين.

وقد استدل هؤلاء بأدلة منها:

أولاً: أنه لا يخرج هذا النوع من التصوير عن كونه نوعاً آخر منه، فهو وإن كانت طريقة التصوير مختلفة فإنه لا يخرج عن كونه تصويراً شرعاً وعرفاً.

قال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله: وقد زعم بعض مجيزي التصوير الشمسي أنه نظير ظهور الوجه في المرآة ونحوها من الصقيلات وهذا فاسد فإن ظهور الوجه ونحوها شيء غير مستقر، وإنما يرى بقاء المقابلة، فإذا فقدت المقابلة فُقِدَ ظهور الصورة في المرآة ونحوها، بخلاف الصورة الشمسية فإنها باقية في الأوراق ونحوها مستقرة، فإلحاقها بالصورة المنقوشة باليد أظهر وأوضح وأصح من إلحاقها بظهور الصورة في المرآة ونحوها... إلى أن قال رحمه الله: ومصور الصورة الشمسية مصور لغة وشرعاً وعقلاً[1].

(١) انظر: مجموع فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٨٧).

وقالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه:

التصوير الفوتوغرافي الشمسي من أنواع التصوير المحرم فهو والتصوير عن طريق النسيج والصبغ بالألوان والصور المجسمة سواء في الحكم، والاختلاف في وسيلة التصوير وآلته لا يقتضي اختلافاً في الحكم، وكذا لا أثر للاختلاف فيما يبذل من جهد في التصوير صعوبة وسهولة في الحكم أيضاً وإنما المعتبر الصورة فهي محرمة وإن اختلفت وسيلتها وما بذل فيها من جهد(١).

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

واختلف علماء العصر في التصوير الشمسي، هذا النوع الذي يكون بواسطة الكاميرا فبعضهم قال: إنه ليس بتصوير وإنما هو إمساك الظل وتسامح في ذلك، والبعض من أهل العلم وهم أهل البصيرة والتحقيق على أنه تصوير وأنه لا يجوز وأن حكمه حكم التصوير باليد الفني المعروف، فهذا التصوير لا يجوز لذوات الأرواح إلا لحاجة أو ضرورة كالتابعية أو تصوير الجناة لمعرفتهم واتقاء شرهم أو لقيادة السيارة للحاجة، هذا إذا دعت الحاجة إليه ولم يتيسر له استخراج تابعية أو رخصة إلا بالصورة فنرجح أنه لا حرج عليه للضرورة(٢).

قال الشيخ محمد على الصابوني: أقول: إن التصوير الشمسي (الفوتوغرافي) لا يخرج عن كونه نوعاً من أنواع التصوير، فما يخرج بالآلة يسمى (صورة) والرجل الذي يحترف هذه الحرفة يسمى في اللغة والعرف (مصوراً) فهذا وإن كان لا يشمله النص الصريح لأنه ليس تصويراً باليد وليس فيه مضاهاة لخلق الله إلا أنه لا يخرج عن كونه ضرباً من ضروب التصوير فينبغي أن يقتصر في الإباحة على (حد الضرورة)(٣).

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (١/٤٥٨).

(٢) فتاوى نور على الدرب (٢/٢٠٥).

(٣) حكم الإسلام في التصوير (ص١٥، ١٦).

ثانياً: (ومن الأدلة أيضاً على تحريمه): وجود العلة المانعة من التصوير وهي المضاهاة ومشابهة خلق الله هي أيضاً موجودة في التصوير الفوتوغرافي بل وجودها في هذا النوع من التصوير أكثر وأعظم من وجودها في التصوير باليد فكان التحريم فيها أشد من غيرها.

قال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللهُ: فإن التصوير الشمسي وإن لم يكن مثل المجسد من كل وجه فهو مثله في علة المنع وهي إبراز الصورة في الخارج بالنسبة إلى المنظر[١].

وقال أيضاً: بل الضوئي أشد فتنة من المجسم فإنه يأتي بشكل الأصل أتم وأكمل من غيره[٢].

ثالثاً: ومن الأدلة أيضاً على دخول التصوير الفوتوغرافي فيما يحرم من أنواع التصوير؛ أن هذا النوع من التصوير ما هو إلا تطوير للتصوير اليدوي مما تطورت سائر المهن والصناعات، ومن المعلوم أن الاختلاف في وسيلة التصوير لا يقتضي اختلافاً في الحكم.

قال الأمين الحاج محمد أحمد في رسالته «حكم التصوير في الإسلام»: وما التصوير الفوتوغرافي إلا تطور لمهنة التصوير كما تطورت جميع المهن والصناعات، فالسيارة في الماضي كانت تصنع جميع أجزائها باليد أما الآن فقد حلت المكائن والآلات محل الأيدي، فكذلك الأمر بالنسبة (للكاميرا) فما هي إلا تطور لحرفة التصوير، فالتصوير حرام سواء كان باليد أو بأي آلة من الآلات، فالرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم وقد نهى عن التصوير بصفة عامة ليكون قوله حجة على العالمين إلى يوم يبعثون وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما، وقد سئل عن الباذق[٣]، أمسكر هو؟ فقال: لقد سبق محمد ﷺ الباذق، فما أسكر فهو حرام[٤].

---

(١) مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم (١/ ٤٥٨).
(٢) مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم (١/ ٤٥٩).
(٣) الباذق: نوع من المسكرات وهو فارسي معرب (انظر: الفتح ١٠/ ٦٣).
(٤) البخاري، كتاب الأشربة، باب الباذق رقم (٥٥٩٨).

فنحن نقول: لقد سبق محمد ﷺ تصويركم الفوتوغرافي وغيره وأوتي جوامع الكلم، فهل هذه الصور الفوتوغرافية تسمى صوراً أم لا؟ فإن كانت تسمى صوراً فهذا حرام، وهذا الذي تناوله الوعيد والتهديد السابق، وإن لم تسم صوراً فهذا أمر آخر(١).

رابعاً: ومن الأدلة أيضاً أن القول بتحريم هذا النوع من التصوير أحوط وأبعد عن الوقوع في المحرم، هذا على اعتبار الخلاف الحاصل في هذا النوع، وإلا فالقول بالتحريم أظهر لعموم الأدلة كما ذكرنا طرفاً منها.

هذه بعض أدلة من قال بالتحريم.

القول الثاني: من قال بعدم التحريم:

ذهب إلى القول بجواز هذا النوع من التصوير عدد من العلماء منهم شيخنا محمد الصالح العثيمين رحمه الله، وشيخنا صالح اللحيدان ـ حفظه الله ـ والشيخ عبد الرحمٰن عبد الخالق وغيرهم من أهل العلم المعاصرين.

أدلة من قال بعدم تحريم هذا النوع من التصوير:

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: الصور الفوتوغرافية الذي نرى فيها أن هذه الآلة التي تخرج الصورة فوراً وليس للإنسان أي عمل، نرى أن هذا ليس من باب التصوير وإنما هو من باب نقل صورة صورها الله ﷻ بواسطة هذه الآلة فهي انطباع لا فعل للعبد فيه من حيث التصوير، والأحاديث الواردة إنما هي في التصوير الذي يكون بفعل العبد ويضاهي به خلق الله.

ويتبين لك ذلك جيداً بما لو كتب لك شخص رسالة فصورتها في الآلة الفوتوغرافية فإن هذه الصور التي تخرج ليست هي من فعل الذي أدار الآلة وحركها، فإن هذا الذي حرك الآلة ربما يكون لا يعرف الكتابة أصلاً والناس يعرفون أن هذه كتابة الأول والثاني ليس له أي فعل فيها ولكن إذا صور هذا التصوير الفوتوغرافي لغرض محرم فإنه يكون حراماً تحريم الوسائل(٢).

قلت: وجملة ما استدل به من قال بإباحة التصوير الفوتوغرافي ما يأتي.

---

(١) حكم التصوير في الإسلام (ص١٨).

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد أشرف عبد المقصود (١/ ١٥٢).

أدلة من قال بجواز التصوير الفوتوغرافي

أولاً: أن التصوير الفوتوغرافي ليس تصويراً بالمعنى الذي جاءت نصوص الشرع بالوعيد عليه وبالنهي عنه، فالتصوير بالآلة الفوتوغرافية ليس فيه تشكيل ولا تخطيط ولا تفصيل وإنما هو نقل شكل شكله الله.

والأصل في الأعمال غير التعبدية الحل إلا ما أتى الشرع بتحريمه.

ثانياً: ومن الأدلة أيضاً على عدم التحريم:

ما جاء من الاستثناء في قوله ﷺ: «**إلا رقماً في ثوب**» فقالوا بأن التصوير الشمسي يقاس على جواز الرقم في الثوب.

يقول السايس في كتابه آيات الأحكام: ولعلك تريد بعد ذلك أن تعرف حكم ما يسمى بالتصوير الشمسي أو (الفوتوغرافي) فنقول: يمكنك أن تقول أن حكمها حكم الرقم في الثوب وقد علمت استثناءه نصاً ولك أن تسمي ذلك ليس بتصوير بل حبس للصورة وما مثله إلا كمثل الصورة في المرآة، لا يمكنك أن تقول إن ما في المرآة صورة وإن أحداً صورها والذي تضعه آلة التصوير هي صورة في المرآة، غاية الأمر أن مرآة الفوتوغرافي تثبت[١].

ثالثاً: أن العلة الواردة في النهي عن التصوير هي مضاهاة خلق الله منتفية في هذا النوع من التصوير.

قال الشيخ عبد الرحمٰن عبد الخالق:

لا يزعم الزاعم أن صورة آلة التصوير مضاهاة لخلق الله بل هي انعكاس على الورق أو أي سطح آخر ولا تتدخل القدرة الفنية هنا بكثير أو قليل إلا من

(١) آيات الأحكام للسايس (٤/ ٥٨).

حيث إتقان الفنان وضع الآلة أو توضيحها وإلا فإبراز الصورة إنما هو بفعل المرآة والعدسات والأضواء الساقطة... إلى أن قال:

وهكذا نعلم أن مسألة المضاهاة والعدوان على اسم الله المصور منتفية هنا قطعاً[١].

وهناك أدلة أخرى ذكرها من قال بجواز هذا النوع من التصوير نصفح عن ذكرها مخافة التطويل ولكن خلاصة الأمر هنا أن هناك من أجاز هذا النوع من التصوير بما ذكرناه من آلة وغيرها مما لم نذكره.



(١) حكم التصوير في الإسلام (ص٣٦ ـ ٤٠).

مسألة هامة

هناك أمر لا بد من ذكره وهو أن من قال بجواز هذا النوع من التصوير اشترطوا لجوازه شروطاً منها: أن لا تشتمل الصورة الفوتوغرافية على محرم، وذلك كأن يكون وضع الصورة على حال ينافي الأخلاق والقيم الإسلامية. أو كانت الصورة على وضع ينافي أسس العقيدة الإسلامية وأصولها مثل الصور التي تحمل في طياتها شعاراً كفرياً وأهله أو كان مضمونها سخرية واستهزاء بالدين وأهله، أو كان الهدف منها تعظيم المصور تعظيماً دينياً أو دنيوياً لبعض العلماء أو الزعماء أو غير ذلك من الأسباب التي تجعل الصورة تخرج عن أصلها وحدها المباح إلى ما سوى ذلك من التحريم، ولهذا فإن الصورة لأي غرض من الأغراض المذكورة وما شابهها تكون محرمة.

قال الشيخ عبد الرحمٰن عبد الخالق وهو ممن يرى جواز التصوير الفوتوغرافي: ومن أجل ذلك فنحن نقول: لا يجوز بتاتاً تصوير الزعماء والرؤساء ونصب صورهم في الدوائر والميادين لأن هذا من أعظم دواعي الشرك بالله ﷻ، وهذا بالطبع لا يجوز فعله بقدرة الفنان أو بآلة التصوير فكلا الأمرين غير جائز، لأن العلة في نصب صور الزعماء والرؤساء السياسيين والدينيين باقية... إلى أن قال: والشاهد أن صورة الآلة والصورة المصنوعة بقدرة الفنان والمصور سواء في الحرمة إذا كان القصد منها تعظيم رئيس من الرؤساء أو زعيم من الزعماء ونصب هذه الصورة وتعليقها حرام لأن هذا ذريعة إلى تعظيم غير الله بل هو من تعظيم غير الله ﷻ[1].

---

(١) المرجع السابق للمؤلف.

الراجح عندي من القولين:

هذه المسألة مما عمت به البلوى وأصبحت الصور تدخل البيوت دون رقيب أو حسيب عن طريق الصحف والمجلات والكتب والأشرطة وغيرها، وأصبح لزاماً على الشخص لاستخراج بطاقة أو جواز أو طلب عمل في مؤسسة أو شركة أو دائرة حكومية أن يقع في التصوير، ولذا فالذي يترجح لي أن التصوير بكل أشكاله وأنواعه محرم ولا يجوز إلا ما دعت إليه الضرورة والحاجة.

فالضرورة كالبطاقة والرخصة وغيرها، والحاجة كالتوثيق وإعداد البرنامج الخاص والعام مما يحتاج إليه الناس في حياتهم اليومية.

أما تصوير المرأة فمحرم ولا يجوز، وليس هناك ضرورة ولا حاجة تستدعي ذلك والبطاقات الممغنطة التي تعمل بها بعض الدول الأوروبية كفيلة بحل بطاقة المرأة.

وعلى كل حال فالتصوير بعضه أهون من بعض والنظر إلى الصورة عند التصوير والمصوِّر أشد جرماً من المصَوَّر ـ صاحب الصورة.

وأسأل الله أن يغفر لنا ويتجاوز عنا ما يقع من الزلل في هذا الباب.



جوال الكاميرا

حرصت شريعة الإسلام الغراء كل الحرص على حفظ حرمات الأشخاص وخصوصياتهم من أن تنتهك بأي صورة من الصور، أو شكل من الأشكال، ورتبت على ذلك أموراً كثيرة تحفظ لكل مسلم ومسلمة خصوصياته وكرامته وأسراره؛ فقد جاء النهي صريحاً عن التجسس وتتبع عورات المؤمنين والمؤمنات، وانتهاك الحرمات قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝١٩﴾ [النور: ١٩] فهذه الآية تحذر كل من تسول له نفسه أن يعبث بقيم وأخلاق الآخرين.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢].

وهنا توضح هذه الآية السياج القوي حول حرمات الأشخاص وحقوقهم وحرياتهم، وأنه لا يجوز أن تمس من قريب أو بعيد تحت أي ذريعة أو ستار، فلا يحل الإطلاع على عورات المسلمين أو نشر عيوبهم، أو انتهاك حرماتهم، وكشف أسرارهم، وهذا ما جاءت السنة تؤكد عليه وتوضحه قال ﷺ: «**إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**»[١].

ويتوعد رسولنا ﷺ أولئك الذين يتتبعون عورات الناس ويبحثون عن معايبهم فيقول: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله**

(١) رواه البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٥٦٣).

عورته يفضحه في بيته»[١].

وهكذا يعيش المجتمع المسلم آمناً مطمئناً تصان فيه الأعراض، ويحافظ فيه على الأسرار، ولا تنتهك الحرمات.

والتكنولوجيا الحديثة وجدت لخدمة الإنسان وراحته، وتيسير أمور حياته في مختلف مجالاتها، وكل مخترع حديث له محاسن ومساوىء مثل الهاتف والإنترنت وغيرها، ففيها من المنافع تعريف الناس بما ينفعهم في أمور معاشهم ومعادهم، وفيها نشر العلوم الشرعية وغيرها، وبثها لأكبر شريحة متلقيه، وبالمقابل فيها من المساوىء الكثير حيث استخدمت للإساءة للآخرين، ونشر المعايب، والكذب، والبهتان، ونشر الباطل، وتزيين الشر وتيسيره للناس، وكسر الحواجز التي كانت تمنع الناس وتردعهم عن الوقوع في المحاذير الشرعية.

ومن هذه الأجهزة الحديثة التي اخترعت حديثاً جهاز (الجوال)، وقد أفاد الناس منه كثيراً، وانتفعوا به ويسَّر عليهم كثيراً، وخدمهم لقضاء حوائجهم خدمة كبيرة، لكن هذا النفع سرعان ما تكدر لحرص الأعداء على إفساد حياة الناس وبث الشرور بين المسلمين؛ فاخترعوا في هذا الجهاز (كاميرا صغيرة) تستطيع التصوير دون أن يعلم الطرف الآخر، وهذا الجوال الذي انتشر انتشاراً هائلاً في أوساط الصغار والكبار، الذكور والإناث جاء بسلبياته وإيجابياته، لكن سرعان ما أسيء استخدامه من قبل الكثيرين في تصوير النساء وهن بأكمل صورة وأجملها لا سيما في المناسبات الخاصة والعامة والمدارس والكليات، ثم ما تلبث هذه الصور فترة حتى تنزل بالإنترنت، وتنتشر على مستوى كبير.

إن هذا الاستخدام السيء جعل كثيراً من البيوت والأسر تمنع من تحت يدها من حضور كثير من المناسبات حفاظاً على شرفهم، وصيانة لأعراضهم، وحماية لكرامتهم.

لقد وصل الحال ببعض ضعاف النفوس من تركيب صور بعض الفتيات

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٨٣)، وصححه الألباني في (الصحيحة) (٥٣٣).

مع صورته بطريقة سيئة، وبث هذه الصورة في الإنترنت مما تسبب في انهيار هذه الفتاة لما رأت الصورة، وإصابتها بحالة نفسية حادة أدى إلى فقدان عقلها.

وقد خلَّف هذا الجوال ـ الذي يحمل بين طياته كاميرا ـ آثاراً بليغة منها:

ـ التفريق بين الأزواج، وخراب البيوت.

ـ انصراف الشباب عن الزواج فيمن تنشر صورتها بأي وسيلة من الوسائل لا سيما إذا انتشرت عبر الإنترنت واطلع عليها آلاف الناس.

ـ استعمال العبارات الشائنة، والكلمات التي تخدش الحياء.

ـ إضعاف الوازع الديني عند كثير من الشباب والفتيات حتى وصل الحال باستعمالهم لهذه الصور استعمالاً قبيحاً لا يكاد يخطر على بال.

ـ الاعتداء على الحياة الخاصة للآخرين، وانتهاك حرماتهم وتتبع عوراتهم.

ـ إشاعة الفاحشة بين الناس، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

ـ استخدام هذه الصور استخداماً سيئاً في هدم الأسر والبيوت من باب النكاية بالآخرين، والكيد لهم، والتحدي لمشاعرهم.

وهنا أوصي إخواني وأخواتي فأقول:

إن انتشار هذه الجوالات واستخدامها بهذه الصورة المزرية يحتاج منا ومن كل غيور مخلص لدينه حريص على حماية مجتمعه ووطنه أن نواجه هذا الطوفان، لأن تردي الأخلاق في أي مجتمع هو نذير شؤم بهلاكه.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هُموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولعل أول طريق للتصدي والعلاج:

ـ أن نعلم أولادنا بنين وبنات معنى الطهر والعفاف، وأن نربيهم على الفضيلة ومكارم الأخلاق، ولو أن كل رب أسرة تابع وراقب واجتهد لأوجد

سياجاً آمناً تتمتع به الأسرة ولا يستطيع ـ بحول الله ـ ذئاب البشر اختراق هذا السياج.

ـ وأيضاً الحرص على غرس الأخلاق الفاضلة، وبث معاني التربية الحقة في نفوس النشء بنين وبنات عن طريق الأب والأم، والمعلم والمعلمة، ورسولنا ﷺ يقول: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**».

ـ وأيضاً نوصي أولياء الأمور بعدم فتح الباب لمن تحت أيديهم في شراء هذه الأجهزة وتداولها لأن بداية الشرّ سهلة، لكن نهايته خطيرة، والنار تشتعل من مستصغر الشرر، وعلى قدر تفريط الأبوين بقدر ما تحصل العواقب الوخيمة للأولاد والبنات.

ـ وأيضاً متابعة الأبناء والبنات في مراحل سن المراهقة، وتوجيههم إلى الفضائل، وترك الرذائل، ورسولنا ﷺ يقول: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته**».

ـ وأيضاً التشديد في دخول هذه الأجهزة وبيعها، ووضع الرقابة الصارمة على ذلك، والجزاء الرادع للمخالف.

ـ عدم التساهل مع المحارم في حضور المناسبات العامة إلا بعد التأكد من خلوها من هذه الأجهزة، ووضع رقابة دقيقة عند الأبواب، والقيام بحملات تفتيش مستمرة في المناسبات والمدارس.

ـ منع هذه الأجهزة منعاً باتاً في المدارس والكليات للبنين والبنات.

ـ وضع جزاءات رادعة من قبل الجهات الأمنية لأي فرد يخالف التعليمات أو يسيء للآخرين، وذلك بالغرامة المالية الباهظة، والسجن الطويل، وعدم قبول الشفاعة في مثل هذا الأمر، ولو طُبق ذلك بكل حزم وصرامة لما حصلت هذه الأمور التي تخل بالشرف وتخدش الحياء.

وبهذا تعلم أيها القارىء الكريم أن هذا الجهاز فيه من المحاذير الشرعية أضعاف ما فيه من الإيجابيات، ولذا فالحكم عليه تَبعٌ لاستخدامه، وقد بسطنا حكم التصوير فيما سبق، ويزيد عليه هذا الجوال ما أشرنا إليه من المحاذير الكثيرة.

فليتق الله كل مؤمن ومؤمنة، وليعلم أن كل حركة وسكون مسجلة عليه، وسيكون الحساب عسيراً، وإذا غابت أعين الرقيب من البشر لحظة فعين الله لا تنام.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

فلنحرص جميعاً على ما ينفعنا، ولنبتعد عما فيه ضررنا وضرر مجتمعنا، وهدم أخلاقنا، فسفينة المجتمع تسير بأمان، والويل كل الويل لمن يخرقها أو يحاول إغراقها.

وفقنا الله لكل خير، ويسَّر لنا سبل الاستقامة، ورزقنا الحياء والعفة والكرامة.



فتوى الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ
حول التصوير الشمسي مع بيان وجه الخطأ في فهمها

ذكرنا فيما سبق بعض ما ذكره الشيخ حول التصوير الفوتوغرافي لكن البعض هداهم الله قد أخطأوا في فهم فتواه فقوَّلوا الشيخ ما لم يقله فقالوا بأن التصوير الشمسي مباح مطلقاً دون قيود تقيده، ومن هنا ظهرت صورهم وانتشرت في البيوت والرحلات للذكرى وغيرها مما توسع فيه كل ذلك بناء على ما فهموه حول هذا الموضوع أعني موضوع التصوير الشمسي، وبياناً للحق ودفاعاً عن شيخنا في هذا الأمر سأذكر جملة مما قاله مع بيان مراده رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الجانب المهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: الحالة الثالثة:

أن تلتقط الصور التقاطاً بأشعة معينة بدون أي تعديل أو تحسين من الملتقط فهذا محل خلاف بين العلماء المعاصرين.

فالقول الأول: أنه تصوير، وإذا كان كذلك فإن حركة هذا الفاعل للآلة يعد تصويراً، إذ لولا تحريكه إياها ما انطبعت هذه الصورة على هذه الورقة ونحن متفقون على أن هذه صورة فحركته تعتبر تصويراً فيكون داخلاً في العموم.

القول الثاني: أنها ليست بتصوير، لأن التصوير فعل المصور وهذا الرجل ما صورها في الحقيقة وإنما التقطها بالآلة والتصوير من صنع الله. . .
إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا القول أقرب لأن المصور بهذه الطريقة لا يعتبر مبدعاً ولا مخططاً، ولكن يبقى النظر هل يحل هذا الفعل أم لا؟

والجواب: إذا كان لغرض محرم صار محرماً وإذا كان لغرض مباح

صار مباحاً لأن الوسائل لها أحكام المقاصد، وعلى هذا فلو أن شخصاً صور إنساناً لما يسمونه بالذكرى سواء كانت هذه الذكرى للتمتع بالنظر إليه أو التلذذ به أو من أجل الحنان والشوق إليه فإن ذلك محرم ولا يجوز لما فيه من اقتناء الصور، لأنه لا شك أن هذه صورة ولا أحد ينكر ذلك.

وإذا كان لغرض مباح كما يوجد في التابعية والرخصة والجواز وما أشبه ذلك فهذا يكون مباحاً.

فإذا ذهب الإنسان الذي يحتاج إلى رخصة إلى هذا المصور الذي تخرج منه الصورة فورية بدون عمل ولا تحميض ولا غيره وقال صورني، فصوره فإن هذا المصور لا نقول إنه داخل في الحديث أي حديث الوعيد على التصوير.

أما إذا قال صورني لغرض آخر غير مباح صار من باب الإعانة على الإثم والعدوان[(١)].

وفي سؤال وجه إليه حول حكم تعليق الصور على الجدران قال رحمه الله: تعليق الصور على الجدران لا سيما الكبيرة منها حرام حتى وإن لم يخرج إلا بعض الجسم والرأس، وقصد التعظيم فيها ظاهر وأصل الشرك هو هذا الغلو كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في أصنام قوم نوح التي يعبدونها: إنها كانت أسماء رجال صالحين صوروا صورهم ليتذكروا العبادة ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وفي إجابة أخرى حول اقتناء الصور للذكرى قال: اقتناء الصور للذكرى محرم لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة وهذا يدل على تحريم اقتناء الصور في البيوت والله المستعان[(٢)].

وسئل أيضاً رحمه الله سؤالاً جاء فيه:

سؤال: أصبحت الصورة وسيلة هامة من وسائل الإيضاح في عصرنا الحاضر وخاصة في الصحف والتلفزيون فما الحكم الشرعي في اقتناء الصور

---

(١) القول المفيد في شرح كتاب التوحيد (٢/ ٤٣٩ ـ ٤٤٠).

(٢) فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين (١/ ١٠٣).

لا سيما صور توضح مثلاً المذابح التي يتعرض لها المسلمون في أفغانستان؟

أجاب رَحِمَهُ اللهُ **فقال**: إن اقتناء الصور مطلقاً سواء كانت وسيلة اتخاذها اليد أو الآلة التي تلتقط الصور لا يجوز إلا أن تقتنى لحاجة أو ضرورة. على أن بعض أهل العلم المعاصرين يقولون: إذا كان في حفظها مصلحة وهي دون الحاجة والضرورة فإنه لا بأس بحفظها، لكن كلما ابتعد عن ذلك فهو أفضل، لأن اقتناء الصور في غير ما يمتهن لا يجوز إذ إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة[١].

ومما سئل فيه أيضاً رَحِمَهُ اللهُ سؤالاً عن حكم صور الحيوانات لتعليم الأطفال بداية الحروف فأجاب رَحِمَهُ اللهُ بقوله:

لا بأس من أن يبين للطلبة هذه الحروف بشرط أن يقطع رأسه فيجعله بعيراً بدون رأس[٢].

قلت: فهذه جملة من فتاوى الشيخ حول موضوع التصوير الفوتوغرافي ومن نظر لما ذكره الشيخ يجد أنه رَحِمَهُ اللهُ لم يجعل التصوير مطلقاً بل قيده للحاجة والضرورة، فمتى وجدت الحاجة والضرورة صار التصوير مباحاً وذكر أمثلة لذلك، كالتصوير من أجل الرخص والتابعية وغيرها مما أصبح يمثل حاجة للناس، وكذا التصوير من أجل القبض على المجرمين ممن يسعون في الأرض فساداً كل هذا مما أجازه الشيخ.

أما التصوير من أجل الذكرى أو من أجل تعليق هذه الصورة على الجدران كل هذا مما أفتى الشيخ بعدم جوازه حتى مجرد الاقتناء دون التعليق قال الشيخ بأن الأفضل الابتعاد عنه فكون البعض يخطئ في فهم فتاوى الشيخ وينسب القول له هذا من الظلم وقول على الشيخ بما لم يقله فالفتوى شيء وفهم الفتوى شيء آخر.

وقد تبين لك أخي الكريم أن رأي الشيخ لا يختلف عن غيره في حرمة

---

(١) فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين، إعداد أشرف عبد المقصود (١/١٥٣).

(٢) اللقاء المفتوح، اللقاء الخامس سؤال رقم (٢٨٢).

التصوير لغير غرض شرعي وأن ما يفعله الناس من التصوير للذكرى ويعتمدون على فتوى الشيخ أن هذا خطأ وفهم للفتوى على غير وجهها الشرعي، فحري بطلاب العلم أن يتبينوا الأمر ولا ينقلوا عن أهل العلم إلا بعد التثبت والتحري والفهم الدقيق.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يرفع درجات شيخنا في عليين وأن يجمعنا به ووالدينا إنه سميع مجيب.





الخاتمة

بعد عرض موضوعات البحث ظهر لي ما يلي:

أولاً: أن التصوير باليد وهو ما كانت اليد المباشرة فيه لعملية التصوير بنوعيه ـ أعني التصوير المسطح والتصوير المجسم ـ كلاهما حرام لوجود علة المضاهاة، وغيرها من العلل التي ذكرناها.

ثانياً: أن النقش باليد لا يعدو عن كونه رسماً، بل هو أعم منه من جهة التحسين والتجميل، ولذا كانت عقوبته أشد.

ثالثاً: أن النقش والرسم والتصوير كلها قد تكون مكروهة، وإن كان بعضها قد يكون أوسع من الآخر في بعض الأحيان.

رابعاً: أن هناك وعيداً شديداً لمرتكبي حرمة التصوير، لورود الأدلة الواردة في حقهم.

خامساً: كثرة العلل الواردة في تحريم التصوير، فهي غير مقتصرة على المضاهاة في الخلق فقط كما يظن البعض.

سادساً: أن الرسم باليد أو النقش بها فيما ليس ممتهناً، الصحيح أنه محرم، وهو قول الجمهور من الفقهاء بخلاف من قال بكراهيته.

سابعاً: أن الرسم باليد لما يعد ممتهناً هو كبيرة من كبائر الذنوب.

ثامناً: أن هناك فرقاً بين الرسم لما يعد ممتهناً، واستعمال ما يعد ممتهناً، ففيه خلاف، والصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا بأس باستعمال التصاوير الممتهنة، وإن تجنبها الإنسان فهو أولى.

تاسعاً: أن الصورة إذا كانت مقطوعة الرأس، فالصحيح أنه لا بأس بها.

عاشراً: أنه يحرم رسم، أو نقش الرأس فقط، لقوة الأدلة الدالة على التحريم.

أحد عشر: أن الرسم الكاريكاتوري أشد تحريماً من الرسم العادي لأنه اشتمل على أمرين:

١ ـ مباشرة اليد في الرسم.

٢ ـ السخرية الحاصلة به من خلال الرسوم.

اثنا عشر: أن التصوير الفوتوغرافي لم يكن موجوداً في العصور المتقدمة وإنما اكتشف في العصور المتأخرة.

ثلاثة عشر: أن الذين قالوا بإباحة هذا النوع من التصوير اشترطوا له شروطاً خاصة بأن لا تشتمل الصورة على محرم أو يكون فيها استهزاء في الدين والأخلاق والقيم.

أربعة عشر: تبين لي رجحان تحريم التصوير بكل أشكاله وأنواعه إلا ما دعت إليه الضرورة أو الحاجة مع التأكيد على حرمة تصوير المرأة بكل حال إلا في حال الضرورة القصوى كمرض أو جناية أو إخلال بالأمن أو غير ذلك مما لا بد منه.

خمسة عشر: تبين لنا أن شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ يرى جواز التصوير الفوتوغرافي ويقول أنه ليس تصويراً في واقع الأمر.

ستة عشر: تبين أن شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ يقول أن التصوير الفوتوغرافي يأخذ حكم الغرض منه فإن كان الغرض محرماً كان محرماً وإن كان الغرض منه جائزاً كان جائزاً لأن الوسائل لها أحكام المقاصد.

سبعة عشر: أن التصوير الفوتوغرافي لغير غرض شرعي لا يجوز كمن يصور للذكرى أو يحتفظ بالصورة وهذا ما يراه شيخنا وبهذا يعلم أن رأي الشيخ لا يختلف عن غيره في مآل الصورة وإن كان نفس الفعل يتساهل فيه الشيخ.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد

كتاب

كيفية الزيارة الشرعية للمدينة النبوية



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإنه لا شيء أفسد على الأمة دينها وضيّع كيانها وجعلها غثاءً كغثاء السيل فتكالب عليها أمم الكفر، كالبدع التي تفتك في الأمة فتك الذئب بالغنم وتنخر فيها نخر السوس في الحب وتسري في كيان الأمة سريان النار في الهشيم..

إن البدع التي يموج فيها السواد الأعظم في هذه الأمة وبخاصة في هذه الفترة أدت إلى انتشار الشرك بطريقة لا يصدقها عاقل أبداً. فكم كنت حزيناً عندما سمعت بهذا الرجل الذي جاء من وطنه قاصداً أداء مناسك الحج فإذا به يذهب إلى المدينة النبوية يجلس فيها طوال أيام الحج ومعرضاً عن أداء مناسك الحج، جالساً أمام قبر النبي ﷺ مستغيثاً به مستشفعاً طالباً قضاء

الحوائج منه بل أخذ ينكر على قاصدي مكة لأداء مناسك الحج قائلاً: (الحج هاهنا) يعني الجلوس أمام القبر ثم رجع إلى وطنه دون أن يؤدي مناسك الحج فيا لها من غربة للدين ويا له من شركٍ صراح.

لقد أحدث المسلمون في دينهم من البدع ما انحرف بكثير منهم عن سواء السبيل وعمّى عليهم دينهم الحق الأصيل فما يفتح لهم الشيطان باباً من الضلال إلا ولجوه ولا يزين لهم شيئاً من البدع إلا تبعوه وما زال الخطر يستفحل والشر يتفاقم حتى طمَّ السيل وأليل الليل عن كثير من المسلمين. وما تزال بلادنا ـ ولله الحمد ـ سليمة من كثير من البدع التي تموج بها كثير من بلاد المسلمين وذلك بفضل الله ثم بفضل دعوة التوحيد وتكاتف الولاة والعلماء على السير بقوة حسب المنهج الشرعي وسد أبواب البدع بقدر الإمكان.

ولكن كثيراً ما يقع بعض الوافدين لبلادنا وخصوصا أثناء أداء الحج والعمرة في بعض البدع جهلاً منهم بهذا الأمر وهذا من أسباب كتابة هذه الأسطر أداء للأمانة وبراءة للذمة وقياماً بواجب النصيحة، وقبل أن أشرع في المقصود أحببت أن أوضح أمراً مهماً وهو أن أي عمل لا بد لقبوله من تحقق شرطين أساسيين هما:

شروط قبول الأعمال:

بيَّن الله ﷻ في كتابه أنه لا يقبل أي عمل مما يتقرب به العباد إليه إلا إذا توفر فيه شرطان:

الشرط الأول: من شروط قبول الأعمال.

إخلاص العمل لله وحده لا شريك له لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى**»[1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي (١/ ١٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» (٣/ ١٥١٥).

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]

وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٤].

وقوله ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[١].

الشرط الثاني: أن يكون هذا العمل الذي يقوم به قد شرعه الله أو شرعه رسوله ﷺ بمعنى أنه لا يكون بعبادة مبتدعة.

لقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٢].

ولهذا قال أهل العلم: إن العبادات مبناها على التوقف، وقال بعضهم: الأصل في العبادات الحظر؛ أي: المنع.

قال ابن سعدي رحمه الله:

فمن أخلص أعماله لله متبعاً في ذلك رسول الله ﷺ فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الإخلاص والمتابعة لرسول الله ﷺ أو أحدهما فعمله مردود داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

ومن جمع الأمرين (أي: الإخلاص والمتابعة) فقد دخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

وفي قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

فحديث عمر رضي الله عنه: «**إنما الأعمال بالنيات**» ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة رضي الله عنها: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» ميزان للأعمال الظاهرة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله (٤/٢٢٨٩).

(٢) سبق تخريجه.

فهما حديثان عظيمان يدخل فيهما الدين كله أصوله وفروعه وظاهره وباطنه أقواله وأفعاله[١].

أسأل الله جل وعلا أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما جهلنا وأن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا علينا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتبه أبو محمد
أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
ص.ب. ١٨٨ ـ الزلفي: ١١٩٣٢

(١) بهجة قلوب الأبرار ـ لابن سعدي (ص١٠).

ذكر
بعض فضائل المدينة النبوية

من فضائل المدينة التي يستحضرها كل مسلم عند زيارته لها أنها:

ـ مهبط الوحي المنزل على النبي ﷺ.

ـ أنها دار هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فإليها هاجر وفيها عاش آخر حياته وبها مات وفيها قبر ومنها يبعث.

أنها ملتقى صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار فهي موطن الذين تبوؤا الدار والإيمان.

فيها عقدت رايات الجهاد في سبيل الله تعالى فانطلقت منها كتائب الحق التي تخرج الناس من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد بل قامت بإخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والهداية.

أما الأحاديث التي جاءت في فضلها فهي كثيرة، منها:

١ ـ أن الله جعلها حرماً آمناً كما جعل مكة حرماً آمناً فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن إبراهيم حرّم مكة وإني حرّمت المدينة لا يقطع عضدها ولا يصاد صيدها**»[1].

٢ ـ أن الله سماها طابة وسماها النبي ﷺ طيبة، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الله سمى المدينة طابة**»[2].

وهذان اللفظان مشتقان من الطيب وهما يدلان على الطيب فهما لفظان

---

(١) روا مسلم برقم (١٣٦٢).

(٢) روا مسلم برقم (١٣٨٥).

طيبان أطلقا على بقعة طيبة[١].

٣ ـ ومن فضائل المدينة أن الإيمان يأرز إليها فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[٢].

ومعنى الحديث: أن الإيمان يتجه إليها ويكون فيها والمسلمون يؤموها ويقصدونها يدفعهم إلى ذلك الإيمان ومحبة هذه البقعة المباركة التي حرمها الله عز وجل.

٤ ـ ومن فضائل المدينة وصفها بأنها تأكل القُرى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أمرت بقرية تأكل القرى يقولون لها يثرب وهي المدينة**»[٣].

ومعناه: أن النبي ﷺ أمر بالهجرة إلى هذه القرية يعني المدينة التي من صفاتها أنها تأكل القرى.

ومعنى تأكل القرى قيل بأنها تنتصر عليها وتكون الغلبة لها على القرى، وقيل بأنها تُجلب إليها الغنائم التي تحصل من الجهاد في سبيل الله.

ومن فضائلها: أن النبي ﷺ بين عظم شأنها وخطورة الإحداث فيها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**المدينة حرم بين عَيْر إلى ثور، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**»[٤].

ومن فضائل المدينة: أن النبي ﷺ دعا لها بالبركة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا**»[٥].

---

(١) انظر: رسالة فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها لشيخنا عبد المحسن العباد البدر.
(٢) رواه البخاري (٤/ ٩٣) برقم (١٨٧٦)، ومسلم برقم (١٤٧).
(٣) رواه البخاري (٤/ ٧٨) برقم (١٨٧١)، ومسلم برقم (١٣٨٢).
(٤) رواه مسلم (١٣٧١).
(٥) صحيح البخاري (٦/ ٨٣) برقم (٢٨٨٩).

ومن فضائل المدينة: أن النبي ﷺ حث على الصبر على لأوائها فعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: «**المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدله الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة**»[١].

ومن فضائلها أيضاً أنه لا يدخلها الطاعون والدجال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**على أعتاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**»[٢].

وهناك فضائل أخرى كثيرة نكتفي بما ذكرنا[٣].



---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة رقم الحديث (١٣٦٣).

(٢) البخاري (٤/ ٩٥)، مسلم رقم (١٣٧٩).

(٣) من أراد المزيد من فضائل المدينة فعليه بكتاب: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، الشيخ صالح بن حامد ابن سعيد الرفاعي.

ذكر بعض فضائل
أماكن مخصوصة بالمدينة

اختصت المدينة عن غيرها بأن جعل الله فيها أماكن مخصوصة يزيد أجر التعبد فيها، ومن هذه الأماكن:

أولاً: المسجد النبوي:

جاءت بعض نصوص السنة التي تدل على فضل هذا المسجد وذلك حثاً للهمم على الوصول إليه والتعبد إلى الله تعالى فيه وسنذكر طرفاً من هذه الأحاديث.

١ ـ فمن فضائل المسجد النبوي أن الصلاة فيه تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[1].

٢ ـ ومن فضائل هذا المسجد أنه أحد الثلاثة مساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا**»[2].

٣ ـ ومن فضائل المسجد النبوي أن به الروضة التي هي روضة من رياض الجنة. عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**»[3].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٦٣)، ومسلم برقم (١٣٩٤).
(٢) البخاري (٣/ ٦٣)، مسلم (٢/ ٩٧٦).
(٣) البخاري (٣/ ٧٠)، مسلم برقم (١٣٩١).

وهنا مسألة يسأل عنها البعض وهي هل تشرع الصلاة في الروضة أم في المسجد عموماً وهل تكون الروضة مكاناً للذكر ويشملها «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»؟

والجواب على هذه المسألة أن يقال:

لا شك أن الروضة خصصت بما ذكرناه من أدلة وهذا يدل على فضلها وتميزها عن غيرها. أما عن الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن فيها، فإن كانت الصلاة نافلة فهنا يستحب الصلاة فيها عند الاسطوانة المخلقة وهي الواقفة في ظهر المحراب الذي هو علم على مصلى النبي ﷺ مائلة إلى جهة اليمين ملاصقة له وهي المكتوب عليها (اسطوانة المخلقة) وسميت بذلك لأن الصحابة كانوا يضعون عليها الخلوق وهو نوع من الطيب.

أما دليل تحري الصلاة عند هذه الاسطوانة فما رواه البخاري ومسلم عن يزيد بن أبي عبيد قال: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الاسطوانة التي عند المصحف فقلت: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة قال: «فإني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها»[(١)].

أما صلاة الفريضة وكذا صلاة النافلة إذا كانت مع الإمام كصلاة التراويح والقيام، فإن أداءها في الصفوف الأمامية هو السنة لقوله ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها**»[(٢)] ولقوله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه**»[(٣)].

أما ذكر الله وتلاوة القرآن فيها والدعاء عندها وغيره فهذا إن فعله بالروضة دون حدوث إضرار بأحد عند إرادة الوصول إليها وعدم حصول ضرر لأحد فيها فهذا حسن وإلا فلا.

ومن فضائل مسجد النبي ﷺ أن من جاء إليه ليتعلم فيه أو ليعلم فيه كان

(١) صحيح البخاري (١/ ٥٧٧)، ومسلم برقم (٥٠٩).
(٢) رواه مسلم برقم (٤٤٠).
(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري (٢/ ٧٩، ٨٠)، ومسلم (٤٣٧).

كالمجاهد في سبيل الله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو ليعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره**»[١].

مسجد قباء:

ورد في فضل مسجد قباء بعض الأحاديث التي تدل على شرفه، وسنذكر بعض الأحاديث التي وردت في فضله:

١ ـ أن الصلاة فيه تعدل أجر عمرة.

عن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: «من خرج حتى يأتي هذا المسجد، يعني مسجد قباء، ليصلي فيه كان كعدل عمرة»[٢].

وفي رواية: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة»[٣].

وفي رواية: «من أتى مسجد عمرو بن عوف، مسجد قباء، لا ينزعه إلا الصلاة كان له أجر عمرة»[٤].

٢ ـ ومن فضائله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتيه كل أسبوع. فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي قباء راكباً وماشياً».

وفي رواية: «كان النبي يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً» وفي رواية فيصلي فيه ركعتين[٥].

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٤٤)، صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٩)، صحيح الجامع الصغير (٦٠٦٠).
(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٨٧)، سنن ابن ماجه (١٤١٢)، سنن النسائي (٢/ ٣٧).
(٣) تاريخ المدينة (١/ ٤٠)، سنن ابن ماجه (١٤١٢).
(٤) البخاري في تاريخه (٦/ ٤٤٣)، ابن حبان في الثقات (٥/ ٢٢٩)، صحيح ابن ماجه (١/ ٣٧).
(٥) صحيح البخاري (٣/ ٦٩)، مسلم (١٣٩٩)، سنن أبي داود (٢٠٤٠).

مسألة:

من تطهر في بيته ثم ذهب إلى قباء فصلى هل تشمل الفريضة أم أنها ركعتان خاصتان وهل تتكرر أم أنها مرة واحدة؟ وهل يشمل من تطهر في غير بيته؟ وهل يشمل من تطهر وقت النهي وقصد قباء للصلاة فيه؟

الجواب:

الصحيح أنه تشمله صلاة الفريضة والنافلة لقوله ﷺ في حديث سهل بن حنيف المتقدم وفيه: «... فصلى فيه صلاة»[١]. ولفظ (صلاة) يشمل الفرض والنفل.

أما كونه إذا صلى فيه ركعتين هل تتكرر أم أنها مرة واحدة؟

الثابت عن النبي ﷺ أنه كان يصلي فيه ركعتين[٢] ولم يأت عن النبي ﷺ الزيادة على ذلك لكن إذا زاد الإنسان على الركعتين فلا بأس لعدم ورود النهي عن الزيادة.

وكذا يشمل هذا الفضل من تطهر في غير بيته أو تطهر وقت النهي وصلى فيه لأن من دخل المسجد وقت النهي فعليه أن يصلي ركعتين تحية المسجد وهما يتحقق بهما هذا الفضل.

ولم يرد في السنة ما يدل على فضل مساجد أخرى في المدينة غير هذين المسجدين كما بينا سابقاً فجعل مساجد أخرى كله من البدع المنهي عنها.



(١) سبق تخريجه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

وجوب العمل بالسنة

* أدلة القرآن على وجوب العمل بالسنة.
* تفسير أقوال أهل العلم للآيات الواردة في ذلك.
* أدلة السنة على وجوب العمل بها.
* ذكر الآثار المروية عن السلف في ذلك.
* التحذير من مخالفة السنة.
* الآيات مع بيان تفسيرها.
* تحذير السلف من مخالفة السنة.
* الاعتصام بالسنة نجاة.
* التعريف بالسنة.
* كيف تتعرف على صاحب السنة.

أولاً: وجوب العمل بالسنة

أمر الله عباده المؤمنين عند التنازع في أمر من أمور الدين أن يحيلوه إلى كتابه سبحانه وإلى سنة رسوله ﷺ فقال جل في علاه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وانظر إلى قوله: ﴿وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فكأنه ﷻ جعل ذلك شرطاً من شروط الإيمان به ﷻ بل بين ﷻ أتم البيان أنه لا تتم طاعته ﷻ إلا بتمام طاعة النبي ﷺ فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى إلى أن قال رحمه الله وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ أي: ما عليك منه إن عليك إلا البلاغ فمن اتبعك سعد ونجا وكان لك من الأجر نظير ما تحصل له، ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء»[1].

ومن زعم أنه محب لله ﷻ فقد جعل الله ﷻ محبته مقرونة باتباع واقتفاء آثار النبي ﷺ، فمن زعم أنه محب لله ثم لم يتبع النبي ﷺ فزعمه باطل، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الحسن البصري رحمه الله: زعم قوم محبتهم لله تعالى فابتلاهم الله تعالى بهذه الآية.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: هذه الآية حاكمة لكل من

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٢٨).

ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**فمن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[1].

بل أمر الله بالأخذ بسنته وما يأمر به والانتهاء عما ينهى عنه والأمر في ذلك يقتضي الوجوب قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. أي: مهما أمركم به فافعلوه وما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر.

والأدلة من القرآن مستفيضة في وجوب العمل بسنته ﷺ، أما دلالة السنة على وجوب العمل بها فهي كثيرة أيضاً منها:

١ ـ عن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»[2].

٢ ـ عن أبي نجيح العرباض بن سارية ﷺ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصانا فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»[3].

٣ ـ ومن أدلة وجوب العمل بالسنة ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٣٥٨).
(٢) رواه مسلم (١٣٣٧).
(٣) رواه أبو داود (٤٢٠٧)، والترمذي (٢٦٧٨)، وأحمد (٤/١٢٦ ـ ١٢٧)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه ابن حبان (١٠٢).
(٤) رواه البخاري (٢٢١٢).

وأدلة السنة أيضاً مستفيضة في وجوب العمل بها.

الآثار المروية عن السلف في وجوب العمل بالسنة:

وهكذا فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أن السنة واجب العمل بها وأنه لا غنى عنها بل كانوا يعظمون العمل بها وهذه بعض الآثار التي جاءت عنهم:

ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله.

قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب فقالت: يا أبا عبد الرحمٰن بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله، قالت: إني لأقرأ ما بين اللوحين فما أجده، قال: إن كنت قارئة لقد وجدتيه أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ قالت بلى، قال: فإنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ، قالت: إني لأظن أهلك يفعلون ذلك، فإذا هي فانظري، قال: فدخلت فلم تر شيئاً قال: فقال عبد الله: لو كانت كذلك لم نجامعها[١].

وعن عبد الرحمٰن بن يزيد: أنه رأى محرماً عليه ثيابه، فنهى المحرم فقال: ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي قال فقرأ عليه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢].

عن هشام بن حجير قال: كان طاووس يصلي ركعتين بعد العصر فقال ابن عباس: اتركها، فقال: إنما نهي عنهما أن تتخذ سنة، فقال ابن عباس: قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد العصر، فلا أدري أتعذب عنها أم تؤجر لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦][٣].

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله (ص٣٨٢).
(٢) المرجع السابق (ص٣٨٣).
(٣) مختصر جامع بيان العلم وفضله (ص٣٨٣).

ثانياً: التحذير من مخالفة السنة

حذر الله تعالى عباده المؤمنين من مخالفة نبيه ﷺ وبيَّن خطورة هذا الفعل في كثير من آياته ﷻ قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية:

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله فما وافق ذلك قُبل وما خالف فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر ونفاق وبدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك... انتهى[٢].

ففي هذه الآية تهديد ووعيد لمن خالف ما كان عليه النبي ﷺ سواء

(١) انظر: القول المفيد في شرح كتاب التوحيد، (ص١/٢٥٨ ـ ٢٥٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير (٣/٣٠٦ ـ ٣٠٧).

أكان ذلك بزيادة أم نقص، وقد استدل بهذه الآية كثير من أهل العلم على أنه لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يزيد أو ينقص عما جاءت به نصوص السنة.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الاعتصام:

حكى عياض عن سفيان بن عيينة أنه قال سألت مالكاً عمن أحرم من المدينة وراء الميقات، فقال: هذا مخالف لله ورسوله وأخشى عليه الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقد أمر النبي أن يهل من المواقيت.

وحكى ابن العربي عن الزبير بن بكار قال: سمعت مالك بن أنس وأثاره رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة فقال: وأي فتنة في هذه إنما هي أميال أريدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله ﷺ إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ومن الآيات الدالة على التحذير من مخالفة السنة ووجوب الرجوع إليها قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. فمن خالف حكم رسول الله ﷺ ولم يرض بحكمه ﷺ فقد نفى الله عنه الإيمان.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً وبهذا قال: ﴿لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن

يسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا منازعة[1].

ومن الآيات أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤].

والآيات في التحذير من مخالفة النبي ﷺ كثيرة:

فالحذر الحذر من مخالفة النبي ﷺ فإن من خالف النبي ﷺ وسلف الأمة الذين كانوا متمسكين بهديه ولّاه الله ما تولى كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ولما جاءت نصوص الكتاب والسنة بالوعيد الدنيوي والأخروي لمن خالف هدي النبي ﷺ كان السلف أخوف الناس على أنفسهم من هذه المخالفة بل كانوا يحذرون الناس من التلبس بهذه المعصية أشد التحذير. وسنذكر طرفاً من أقوالهم وتأدبهم مع سنة النبي ﷺ.

١ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد، فلا يمنعها قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه سباً شديداً، ما سمعته سب مثله قط، وقال: أخبرك عن النبي ﷺ وتقول والله لنمنعهن»**[2].

٢ ـ وعن أيوب قال: قال عروة لابن عباس: ألا تتقي الله؟ ترخص في المتعة فقال ابن عباس: سل أمك يا عرية؟ فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلا يفعلا، فقال ابن عباس: والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله نحدثكم عن النبي ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر وعمر، وفي رواية: أنه قال: أراهم

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٠).

(٢) متفق عليه (البخاري برقم ٨٧٣)، ومسلم برقم (٤٤٢).

سيهلكون، أقول: قال رسول الله ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمر[١].

٣ ـ وقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية أحدثه عن رسول الله ﷺ ويخبرني برأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها[٢].

وهكذا فهم صحابة النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أنه لا يجوز لأحد أن يخالف أحاديث النبي ﷺ بل حذر أئمة الهدى من الأخذ بآرائهم وترك أحاديث النبي ﷺ ولذا قالوا جميعاً: إذا رأيتم حديث النبي ﷺ يخالف ما نقول فاضربوا بأقوالنا عرض الحائط وخذوا بحديث النبي ﷺ، وكم كان الواحد منهم يقول القول ثم يبلغه حديث النبي ﷺ فيترك ما يقول ويأخذ بحديث النبي ﷺ، فمن لم يسعه قول النبي ﷺ وما جاء عن سلف الأمة لا وسع الله عليه.



(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله (ص٣٩١).

(٢) نفس المرجع (ص٣٩١).

ثالثاً: الاعتصام بالسنة نجاة

ما أحسن هذه العبارة التي قال الإمام الزهري رحمه الله عن مشايخه حيث قال: كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة.

فالاعتصام بالسنة نجاة من الانزلاق في ظلمات الجهل التي تؤول بصاحبها إلى الكفر أحياناً. ولذا كانت السنة كسفينة نوح من تمسك بها نجا ومن أعرض عنها هلك.

والسنة هي الحصن الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، أمن على نفسه من الكفر والفسوق والعصيان بل أمن على نفسه عذاب الله وسخطه.

والسنة هي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والسنة هي حياة للقلوب وسعادة للأبدان فصاحب السنة أشد فرحاً بها لأنها تدله على خالقه سبحانه فمن عرف السنة حق المعرفة عرف معبوده حق المعرفة ولذا سمي أحمد رحمه الله إمام أهل السنة وذلك لأنه كانت حركاته وسكناته وفق السنة فكان لا يقوم إلا بسنة ولا يمشي إلا بسنة ولا يأكل إلا بسنة ولا يشرب إلا بسنة ولا ينام إلا بسنة أحب السنة فأحبته وملئ قلبه بها فملئ قلوب الخلق محبته. نسأل الله أن يجعلنا من أهلها إنه سميع قريب.



رابعاً: التعريف بالسنة

لقد بينا فيما سبق أهمية السنة وقلنا بأنها المصدر الثاني من مصادر التشريع عند أهل السنة والجماعة.

ولما كانت منزلته عالية أحببنا أن نعرفها لأهلها حتى لا ينخرطوا في أمور تبعدهم عنها فبمعرفة الشيء يظهر لصاحبه.

تعريف السنة في اللغة: السنة في اللغة هي الطريقة والسيرة حسنة كانت أم قبيحة[١].

أما تعريفها في الاصطلاح: هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه علماً وعملاً واعتقاداً أو قولاً وهي السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها، وبهذا قيل: فلان من أهل السنة؛ أي: من أهل الطريقة الصحيحة المستقيمة المحمودة[٢].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والسنة هي الطريقة المسلوكة فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه ﷺ وخلفاؤه الراشدون: من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة العامة[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة لله ورسوله سواء فعله رسول الله ﷺ أو فعل في زمانه أو لم يفعله في زمانه لعدم المقتضي حينئذ لفعله أو وجود المانع منه[٤].

---

(١) لسان العرب لابن منظور، باب النون، فصل السين (١٣/ ٢٢٥).
(٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل (ص١٣).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٠).
(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ١٣١٧).

يتبين لنا من أقوال الأئمة السابقين أن السنة هي اتباع آثار النبي ﷺ التي جاءت إما عن قول وإما عن فعل أو تقرير منه ﷺ فيدخل في ذلك ما كان منها واجباً أو مستحباً وكذلك اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار كما قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[(١)].

كيف تتعرف على صاحب السنة؟

من خلال ما ذكر يمكنك أن تعرف من هم أهل السنة ونوجز لك هذا الأمر بأمور تتعرف من خلالها على صاحب السنة ومن ليس من أهلها.

من هذه الأمور:

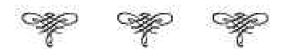
١ ـ إذا رأيت الرجل متمسكاً بالكتاب والسنة متعبداً لله بهما عاضاً على ذلك بالنواجذ فاعلم أنه صاحب سنة.

٢ ـ إذا رأيت الرجل عند التحاكم في شيء ينظر إلى ما جاء في الكتاب والسنة ويرضى بحكمهما فاعلم أنه من أهل السنة.

٣ ـ إذا رأيت الرجل محباً للسنة ومحباً للمتمسكين بها مبغضاً لأهل البدع محارباً لهم فاعلم أنه من أهل السنة.

٤ ـ إذا رأيت الرجل صادقاً في الأقوال والأفعال بالتطبيق الصحيح للكتاب والسنة فاعلم أنه صاحب سنة.

٥ ـ وبالجملة إذا رأيت الرجل مهتدياً بالكتاب والسنة ظاهراً وباطناً فاعلم أنه من أهل السنة. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.



(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٠١)، والترمذي (٥/ ٤٤)، وابن ماجه (١/ ١٥ ـ ١٦).

البدعة وآثارها السيئة

تمهيد.

* نصوص الكتاب في التحذير من البدعة.
* دلالة السنة على التحذير من البدعة.
* ذكر أقوال السلف في التحذير من البدعة.
* أسباب البدع.
* التعريف بالبدعة.
* وسائل الوقاية من البدع.

البدعة وآثارها السيئة

تمهيد:

بينت فيما سبق أهمية السنة ووجوب العمل بها وأنها الأصل الثاني من أصول التشريع وغير ذلك مما هو متعلق بها. لكن لما كان الصراع بين الحق والباطل قائماً بل أخذ الباطل يصد عن الحق بكل ما يملك من قوة ولكن هيهات هيهات قال الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٨]. وقال: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [الإسراء: ٨١]. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الرعد: ١٧]. فالزبد هو الباطل وكل ما يحمله والنافع للناس هو الحق، فالمراد بالحق في قولنا هو السنة وما تحمله من خير وصلاح للعبد بل للأمة بأسرها في الدنيا والآخرة، والمراد بالباطل هو البدعة وما تحمله في طياتها من شر وفساد على الأمة بأسرها.

وسنتكلم في هذا المبحث على ما هو مختص بالبدعة ليحيى من حي عن بينة ويهلك كذلك من هلك عن بينة فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: ما جاءت به نصوص الشريعة في النهي عن البدعة والإحداث في الدين.

لقد حذر الله عباده من الإحداث في الدين بعد أن أكمله لهم فقال في بيان كمال دينه سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن كثير رحمه الله: هذه أكبر نعمة لله على هذه الأمة حيث أكمل الله تعالى دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم ولهذا جعله الله

تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحل الله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق لا كذب فيه ولا خلف[١].

وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسبل هي سبيل أهل الاختلاف الجائرين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع[٢]. وقال أيضاً: فهذه الآية تشمل النهي عن جميع طرق أهل البدع[٣].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال الإمام الشاطبي: هؤلاء هم أصحاب الأهواء والضلالات والبدع من هذه الأمة[٤].

والآيات التي جاءت في التحذير من البدع والنهي عن سلوك طريق أهل البدع كثيرة جداً.

أما السنة فقد جاءت نصوصها صريحة في ذلك نذكر طرفاً منها.

دلالة السنة على النهي عن البدع:

١ ـ حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[٥]، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩١٢).
(٢) الاعتصام (١/ ٧٦).
(٣) المرجع السابق (١/ ٧٨).
(٤) الاعتصام (١/ ١٧٩).
(٥) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).
(٦) رواه مسلم (١٧١٨).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح صحيح مسلم: قال أهل العربية: إن الرد هنا بمعنى المردود ومعناه باطل غير معتد به.

وقال: وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات.

وقال أيضاً: وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به[١].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده فإن معناه من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه[٢].

٢ ـ وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: **«أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»**[٣].

وفي رواية النسائي كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: **«من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»**[٤].

٣ ـ وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»**[٥].

---

(١) شرح النووي لمسلم (١٤/٢٥٧).
(٢) فتح الباري (٥/٣٠٢).
(٣) رواه مسلم (٨٦٧).
(٤) رواه النسائي (٣/١٨٨) برقم (١٥٧٨).
(٥) رواه مسلم (١٠١٧).

قال صاحب تحفة الأحوذي: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» أي: أتى بطريقة مرضية يشهد لها أصل من أصول الدين، «**ومن سن سنة سيئة**»، وفي رواية: «**ومن سن في الإسلام سنة سيئة**» أي: طريقة غير مرضية لا يشهد لها أصل من أصول الدين[١]. انتهى.

والأحاديث كثيرة جداً في النهي عن البدع وما ذكرناه فيه كفاية ولله الحمد. أما ما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم في النهي عن الإحداث في الدين والأمر باتباع سيد المرسلين ﷺ فما جاء عنهم كثير، من ذلك.

ذكر أقوال السلف في التحذير من البدع:

١ ـ ما قاله أبو بكر رضي الله عنه، فقد قال: أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني[٢].

٢ ـ وقال عمر رضي الله عنه: إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا[٣].

٣ ـ وعن ابن مسعود رضي الله عنه: حدث أن ناساً يسبحون بالحصى في المسجد فأتاهم وقد كوّم كل رجل منهم كومة من حصى فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد وهو يقول:

«لقد أحدثتم بدعة ظلماء أو لقد فضلتم أصحاب رسول الله ﷺ علماء اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، كل بدعة ضلالة»[٤].

وما ذكر عنه في مقام شدته على أهل البدع فهو كثير.

٤ ـ وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «أما بعد أوصيك بتقوى الله والاقتصاد

---

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٣٩).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٣٦).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (١/ ١٣٩)، والدارمي (١/ ٤٧).

(٤) أخرجه ابن وضاح في ما جاء في البدع (ص٤٣) رقم (١٢، ١٤).

في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته»[١].

وها هم أئمة الهدى ـ رحمهم الله ـ بعد صحابة النبي ﷺ يحثون على التمسك بالسنة ويحذرون من الركون إلى البدعة.

ما قاله الإمام أحمد رحمه الله:

قال: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدل والخصومات في الدين[٢].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام[٣].

وقال الإمام مالك رحمه الله: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً[٤].

فهذه نصوص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومن بعدهم مليئة بالنهي عن الابتداع في دين الله والنهي عن سلوك أهل الأهواء الذين جاءوا ببدع من تلقاء أنفسهم فتعبدوا إلى الله بها ودعوا الناس إلى التعبد بها وكل هذا ضلال وكفر.

وليعلم هؤلاء المبتدعون أنهم أعظموا على الله الفرية بعملهم هذا فالمبتدع مشرع والتشريع حق لله تعالى. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة (٤/ ٢٠٣)، وصححه الألباني (٣/ ٨٧٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٦).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٥).

أسباب البدع:

ذكر الإمام الشاطبي أسباباً كثيرة كانت سبباً في البدع، سنذكرها مجملة مخافة الإطالة، فمن هذه الأسباب:

١ ـ الجهل فهو أعظم آفة

٢ ـ اتباع الهوى

٣ ـ التعلق بالشبهات

٤ ـ الاعتماد على الفعل المجرد دون الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة.

٥ ـ التقليد والتعصب، فإن أكثر أهل البدع يقلدون آباءهم ومشايخهم ويتعصبون لمذهبهم.

٦ ـ مخالطة أهل الشر ومجالستهم، ولذا حذر السلف من مجالسة أهل الشر من أصحاب الأهواء.

٧ ـ سكوت العلماء وكتم العلم

٨ ـ الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٩ ـ الغلو وهذا من أعظم أسباب انتشار البدع فبه قام الشرك منذ عهد نوح عليه السلام إلى وقتنا هذا.



تعريف البدعة

بعد أن ذكرنا ما جاءت به نصوص الشريعة في التحذير من البدع والإحداث في الدين نريد أن نوضح معنى البدعة التي جاءت نصوص الشرع بالنهي عنها.

معناها في اللغة:

معنى البدعة في اللغة: الحدث في الدين بعد الإكمال؛ أو ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال.

أما في الاصطلاح: فقد عرفها أهل العلم بعدة تعريفات، منها: قال شيخ الإسلام رحمه الله:

البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ: وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب أو استحباب[١].

وقال أيضاً: والبدعة ما خالف الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات[٢].

وقال الشاطبي رحمه الله: البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى.

فتبين من تعريف البدعة أنها شيء اخترع في الدين لم تأت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة بوجوده ولكن قام به المبتدع ويجعله ديناً يتعبد إلى الله تعالى به.

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧ ـ ١٠٨).
(٢) المرجع السابق (١٨/ ٣٤٦).

وسائل الوقاية من البدع

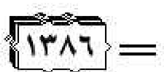
كيف نقي مجتمعاتنا من الوقوع في مستنقعات البدع المذمومة؟ سؤال لا بد من طرحه والإجابة عليه. فنقول من أهم الوسائل التي نقي بها مجتمعنا من هذه البدع:

١ ـ نشر السنة والتعريف بها وبيان فضلها والتمسك بها.

٢ ـ التطبيق العملي للسنة في سلوك الفرد وسلوك المجتمع، فإذا قام الناس جميعاً بذلك أصبح أهل البدعة نشازاً في المجتمع بارزين للناس فعندئذ يجتنبهم الناس، وبمعرفتهم يمكن القضاء عليهم.

٣ ـ القضاء على البدع التي ذكرناها سابقاً.





العلاقة بين التعريف بالسنة والبدعة وموضوع الرسالة

* العلاقة الأولى.
* العلاقة الثانية.
* العلاقة الثالثة.

العلاقة بين التعريف
بالسنة والبدعة وموضوع الرسالة

العلاقة الأولى:

قال عمر ﷺ: لا يعرف الإسلام من لا يعرف من الجاهلية شيئاً، فالجاهلية بما تحمله من بدع كفرية وشركية جاء الإسلام وهدمها وبيَّن مساويها، فلذا عرف الصحابة الإسلام حق المعرفة وعرفوا ما كانوا عليه من جاهلية ظلماء عمياء فكانوا يتحدثون عن ذلك ويتعجبون مما كانوا عليه، ولذا يقول بعضهم للنبي ﷺ: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير.

فمعرفة الناس بالسنة وفضلها والبدعة ومساويها هو في الحقيقة معرفة بالإسلام وما حمله من فضائل والجاهلية وما تحمله من رذائل، فالإسلام جاء بكل معاني الخير الجميلة، فكان من الخير الذي به الاستمساك بهدي النبي ﷺ وعدم الإحداث بعده. . .

وإذا نظرنا إلى واقع السواد الأعظم من المسلمين اليوم لوجدنا أنه قد استحكم فيهم الجهل وأصبح عنواناً لهم (إلا من رحم ربك) جهل بأصول الدين فضلاً عن فروعه فقادهم جهلهم بإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، فأنكروا السنة والاحتجاج بها وأولوا نصوص الكتاب وصرفوها عن ظاهرها، وبذلك اندرست السنة حتى أصبح المتمسكون بها في أوطانهم وعشائرهم معادين محاربين مع إفساح المجال لأهل البدع والضلال.

فكان ولا بد من بيان فضل السنة وبيان حجية الاحتجاج بها وأن إنكارها كفر بالله تعالى، وكان لا بد من بيان البدعة وخطورتها وخطورة العمل بها لكي يتعرف كل مسلم أين هو من دينه وهل هو قائم على سنة أو بدعة.

العلاقة الثانية:

لو نظرنا إلى منهج السلف ـ رضوان الله عليهم ـ حينما يتكلمون عن موضوع البدعة التي يقع فيها بعض الناس يبينون أهمية التمسك بالسنة وفضل العمل بها ويحذرون من البدع وخطورة العمل بها، وهذا أسلوب جيد حيث إذا دخلنا في موضوع البدعة مباشرة قد يكون جانب التأثير فيه ضعف ولكن تحبيب الناس في السنة وتحذيرهم من البدعة ثم الدخول في البدع التي يفعلونها هو أسلوب مهم جداً لكل داعية لأنه بهذا الأسلوب يستطيع الإنسان معرفة البدع سواء منها ما سنتكلم عنها بالنسبة للرسالة أو غيرها من البدع الأخرى؛ لأنه بتعريف السنة والبدعة يستطيع الإنسان التمييز بين كون هذا العمل سنة أم بدعة.

العلاقة الثالثة:

حينما يتعرف المسلم على شروط العبادة ويتعرف أيضاً على القاعدة المعروفة (أن العبادات مبناها على التوقف) فإنه يقف عند كل أمر يريد أن يفعله ويفكر فيه هل هو من الدين في شيء أم لا؟ فإن كان من الدين فبها ونعمت وإلا فلا يجوز الإقدام عليه إطلاقاً.

ولذلك كان ولا بد من التعريف بالسنة والبدعة لكي يكون المسلم على بصيرة من دينه ويتعرف على خطورة ما يقوم به المبتدعون فينجوا بنفسه ويدعو إخوانه للنجاة.




۱۳۹۰

ذكر بعض الشبهات
التي قذفها الشيطان في قلوب أوليائه
مضاهاة للحق وأهله

* الشبهة الأولى والجواب عليها.
* الشبهة الثانية والجواب عليها.
* الشبهة الثالثة والجواب عليها.
* الشبهة الرابعة والجواب عليها.
* الشبهة الخامسة والجواب عليها.

بعض الشبهات
التي قذفها الشيطان في قلوب أوليائه
مضاهاة للحق وأهله

هناك بعض الشبه من الأدلة يستخدمها المروجون للبدع في الدعوة لبدعهم المذمومة سنذكر بعضا منها ثم نجيب عليها بما تيسر:

الشبهة الأولى:

يقول المبتدعون: أما دليلنا على جواز التوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ فقد جاءت به نصوص الكتاب والسنة ثم يذكرون دليلهم على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. والمعنى عندهم؛ أي: يا أيها الذين آمنوا حققوا التقوى وإذا أردتم دعائي اطلبوا إليّ وسيلة لكي أستجيب لكم ولا وسيلة أفضل من النبي عندنا.

الشبهة الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

ثم يذكرون قصة ذكرها ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية.

الشبهة الثالثة:

من السنة: ما رواه الترمذي في جامعه أنه قال: حدثنا محمود بن غيلان، ثنا عثمان بن عمرو، ثنا شعبة بن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوته وإن شئت صبرت فهو خير لك**» قال:

فادعه، فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفعه فيّ**».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه.

وفي بعض الروايات: «**يا محمد إني أتوجه**» إلى آخره[1].

الشبهة الرابعة:

ما رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي ابن حنيف فشكا له ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد أتوجه بك إلى ربك ليقضي لي حاجتي. . . (الحديث).

الشبهة الخامسة:

يروي بعض المبتدعين حديثاً وفيه: «**إذا توسلتم إلى الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**».

فهذا عام في حياته وبعد مماته فيجوز على قولهم واحتجاجهم بهذا المدعى التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ.

الجواب على الشبهة الأولى:

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

أولاً: من الأمور المسلم بها عند أهل السنة والجماعة **أن تفسير كلام رب العالمين له ثلاث طرق:**

---

(١) سيأتي تخريجه عند الجواب على هذه الشبهة إن شاء الله.

الأولى: إما أن يفسر القرآن بالقرآن.

الثانية: وإما أن يفسر القرآن بما جاء عن النبي ﷺ.

الثالثة: وإما أن يفسر بما فهمه سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان فهم أعلم الناس بمراد الله بعد نبيه ﷺ، فمن عدل عن قولهم وخاض في تفسير كلام رب العالمين دون الرجوع إلى هذه الأصول الثلاثة فقد ضل، وكذا قال السلف: كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف. فالذي يريد النجاة في الدنيا من الوقوع في الزيغ وفي الآخرة من عذاب رب العالمين عليه أن لا يتجاوز ما ذكر.

ثانياً: للإجابة عن هذه الآية نذكر كلام شيخ الإسلام رحمه الله فيها، فإن تفسيره لمعنى الوسيلة والتوسل فريد من نوعه لم يسبقه أحد إليه.

قال رحمه الله:

إذا عرف هذا فقد تبين أن لفظ (الوسيلة) و(التوسل) فيه إجمال واشتباه يجب أن يعرف معانيه، ويعطي كل ذي حق حقه فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك.

فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء أكان محرماً أم مكروهاً أو مباحاً، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ.

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا بذلك.

والثاني: لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة لقوله ﷺ: «**سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد**»(١).

فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة. وقوله: «**ومن قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾**»(٢). حلت له الشفاعة فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة. وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة، وأخبر أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله وهو يرجو أن يكون ذلك العبد، وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول وأخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت له الشفاعة يوم القيامة، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم لأن الجزاء من جنس العمل فإن الشفاعة من جنس الدعاء كما قال: «**من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشراً**»(٣).

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ:

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقد فيهم الصلاح.

وحينئذ فلفظ التوسل له معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد به معنى ثالث لم ترد به السنة.

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٥٢)، ومسلم (١/ ٢٨٨).

(٢) رواه البخاري (١/ ١٥٢)، وزيادة: إنك لا تخلف الميعاد، رواها البيهقي (١/ ٤١٠) وصححها ابن باز رَحِمَهُ اللهُ في تحفة الأخيار (ص٣٨).

(٣) رواه مسلم (١/ ٢٨٨).

فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء:

فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته.

والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم.

فهذان جائزان بإجماع المسلمين ومن هذا قول عمر بن الخطاب: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فأسقنا؛ أي: بدعائه وشفاعته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أي: القربة إليه بطاعته، وطاعة رسوله طاعته، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠].

فهذا التوسل الأول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

وأما التوسل بدعائه وشفاعته ـ كما قال عمر ـ فإنه توسل بدعائه لا بذاته ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة فإنه مشروع دائماً.

الخلاصة: فلفظ التوسل يراد به ثلاث معان:

أحدها: التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن من ليس قوله حجة. انتهى المراد[١].

---

(١) التوسل والوسيلة ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/ ١٩٩ ـ ٢٠٢).

فما أجمل كلامه وما أحسنه ففيه شفاء للعليل من علله أسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين.

الجواب على الشبهة الثانية:

وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

هذه الآية احتج بها المبتدعون على جواز بدعتهم في طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته، فتراهم يأتون إلى قبر النبي ﷺ فيقولون: يا رسول الله استغفر لنا أو ادعوا الله أن يغفر لنا ونحو ذلك، بل زعموا أن هذه الآية باقية في الحكم في حياة النبي ﷺ وبعد مماته بل جعلوها من قبيل الناسخ والمنسوخ؛ أي: لم يأت ناسخ لها فينسخها، وهذا جهل مركب بنصوص الكتاب العظيم.

وكما أسلفنا الذكر يجب الرجوع عندما يختلط علينا فهم الآيات ولا نفهم مراد الله منها إلى فهم سلف الأمة لها.

وسنذكر بعض أقوال أهل العلم ممن فسروا هذه الآية لنبين لأهل الأهواء أنه لم يأت في تفسير واحد منهم جواز الذهاب إلى قبر النبي ﷺ وطلب الاستغفار منه.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

يعنى بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف الله صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدوداً ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها ﴿جَآءُوكَ﴾ جاؤوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم ويسأل لهم رسوله ﷺ مثل ذلك وذلك هو معنى قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾.

وأما قوله: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ فإنه يقول: لو كانوا فعلوا ذلك

فتابوا من ذنوبهم ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ يقول: راجعاً لهم ما يكرهون إلى ما يحبون ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)].

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك[(٢)].

وممن أجاب على هذه الآية إجابة مستفيضة العلامة الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي، وسنذكر فيما يلي جانباً من رده على السبكي في هذه الآية.

قال السبكي: الباب الخامس في تقرير كون الزيارة قربة وذلك بالكتاب والسنة والإجماع والقياس.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

قال السبكي: دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم وذلك وإن كان ورد في حال الحياة فهي رتبة له ﷺ لا تنقطع بموته تعظيماً له.

(فإن قلت): المجيء إليه في حال الحياة ليستغفر لهم وبعد الموت ليس

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ٥١٧).

(٢) تفسير ابن سعدي تيسير الكريم الرحمٰن، سورة النساء، الآية: ٦٤ ٢/ ٩٣، المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي.

كذلك (قلت): دلت الآية على تعليق وجدانهم أن الله تواباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول، فأما استغفار الرسول فإنه حاصل لجميع المؤمنين لأن رسول الله ﷺ استغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، إلى آخر ما قاله السبكي.

فأجاب ابن عبد الهادي رحمه الله عليه فقال:

الجواب أن يقال: قوله: وهي قربة بالكتاب والسنة والإجماع والقياس الكلام عليه من وجوه:

الأول: مطالبته بتصحيح دعواه وإلا كانت مجردة عما يثبتها.

الثاني: القربة هي ما جعله الله ورسوله قربة، إما بأمره أو بإخباره أنها قربة وإما بالثناء على فاعلها وإما بجعل الفعل سبباً لثواب يتعلق عليه أو تكفير سيئة ونحو ذلك من الوجوه التي يستدل بها على كون الفعل محبوباً لله.

الثالث: أنه لا يكفي أن يكون الفعل محبوباً له في كونه قربة وإنما يكون قربة إذا لم يستلزم أمراً مبغوضاً مكروهاً له أو تفويت أمر هو أحب إليه من ذلك الفعل، وأما إذا استلزم ذلك فلا يكون قربة.

الرابع: أنه يتقرب إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعين ما نهى عنه وحذر منه الأمة بقوله: «**لا تتخذوا قبري عيدا**»، ومعلوم أن جعل الزيارة من أفضل القرب متلزم لجعل القبر من أجل الأعياد.

الخامس: أما استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية فالكلام فيها في مقامين:

أحدهما: عدم دلالته على مطلوبه.

الثاني: بيان دلالتها على نقيضه وإنما يتبين الأمر بفهم الآية ما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم، ولم يفهم أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته يستغفر لهم، وقد ذم الله تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذ ظلم نفسه وأخبر

أنه من المنافقين فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [المنافقون: ٥].

وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم الظلم ثم لم يجئ إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له... إلى أن قال رحمه الله:

وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقونا إليه (يعني: السلف) علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو في سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المتأخر... إلى أن قال رحمه الله:

أما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه ﷺ صورها بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة... إلى آخر كلامه رحمه الله.

أما قوله ـ أي: السبكي ـ: (وكذلك فهم العلماء العموم من الحالتين) فيقال: من فهم هذا من سلف الأمة وأئمة الإسلام فاذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من الأئمة وأهل الحديث والتفسير أنه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته أو عمل به وأرشد إليه. فدعواك على العلماء بطريق العموم وهذا الفهم دعوى باطلة[1].

ومما استدل به السبكي عند تأويله هذه الآية القصة المشهورة التي يدندن عليها المبتدعون لترويج بدعهم ما رواه أبو الحسن بن علي بن محمد بن

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٤٢٧ ـ ٤٢٩).

علي، حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال حدثني أبي عن أبيه، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه إلى قبر النبي ﷺ وحثا على رأسه ترابه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله عز وجل فما وعينا وكان فيما أنزل الله عز وجل عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ وقد ظلمت نفسي جئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه غفر لك[١].

الجواب على هذه القصة: قال ابن عبد الهادي رحمه الله: إن هذا خبر منكم موضوع وأثر مختلف مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير إليه وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض.

والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدي فإن يكن هو فهو متروك كذاب وإلا فهو مجهول[٢].

الشبهة الثالثة:

حديث الأعمى الذي رواه الترمذي وفيه: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ...»[٣].

الجواب على هذا الحديث:

هذا الحديث مما تعلق فيه المبتدعون المشركون ممن أجاز التوسل بالنبي ﷺ بعد مماته، فقالوا: فلو كان دعاء غير الله شركاً لم يعلم النبي ﷺ الأعمى هذا الدعاء الذي فيه توسل ونداء غير الله.

فنقول: الجواب عليه من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: هذا الحديث مختلف فيه بين الصحة والضعف. وممن ضعفه صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد فقال: ووجه

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥١٩ ـ ٥٢٠)، الصارم المنكي (ص٤٣٠).
(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٤٢٣ ـ ٤٣١).
(٣) سبق تخريجه.

عدم ثبوته أنه قد نص أن أبا جعفر الذي عليه مدار هذا الحديث هو غير الخطمي وإذا كان غيره فهو لا يعرف(١).

أما الذين صححوه فهم شيخ الإسلام رحمه الله في رسالته التوسل والوسيلة، حيث أفاض فيه إفاضة تامة وبين طرقه الصحيح منها والضعيف فليراجع(٢).

وممن صححه أيضاً العلامة الألباني في مشكاة المصابيح حيث قال وإسناده: صحيح، ومن ضعفه من المتأخرين فما أصاب كما لم يصب من استدل به على التوسل بالأشخاص، وإنما هو دليل على التوسل بدعاء الرجل الصالح كما شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة(٣).

الوجه الثاني: أنه على افتراض صحة الحديث فإنه لا يدل على سؤال الغائب ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، ولذا فالحديث فيه التوسل بالنبي ﷺ إلى الله في الدعاء؛ أي: بدعاء النبي ﷺ الذي علمه إياه. فهذا الصحابي لم يطلب من النبي ﷺ إلا ما يقدر عليه وهو طلب الدعاء له فهذا لا إنكار فيه وإن كان هذا الصحابي توجه إلى الله من غير سؤال منه نفسه فهو لم يسأل منه، وإنما سأل من الله به.

فالخلاصة أنه توسل بدعاء النبي ﷺ(٤).

الشبهة الرابعة:

الجواب عليها من جنس سابقتها إلا أن هذه الشبهة قد تكون دليلاً لمن قال بجواز التوسل بالنبي ﷺ بعد موته، والجواب عليها أن يقال:

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٢٤٤).

(٢) التوسل والوسيلة (ص٩٢ ـ ١٠٠).

(٣) مشكاة المصابيح (٧٦٩٢).

(٤) انظر كلام شيخ الإسلام عليه في رسالته: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٩٢ ـ ١٠٠)، وكذا كلام صاحب كتاب الصارم المنكي فإن فيهما كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أولاً: أنها رواية مختلف فيها بين الصحة والضعف.

ثانياً: على افتراض صحتها فإنها ليس فيها دليل على دعاء الميت والغائب، غاية ما فيها أنه توجه إلى الله بنبيه ﷺ بدعائه.

ثالثاً: أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبي ﷺ داعياً له ولا شفيعاً فيه فقد علمنا أن أكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعاً بعد موته كما كان يشرع في حياته فتراهم عند حالة الجدب إذا كانوا في الاستسقاء لا يأتون قبره ولا يتوسلون إلى الله به بل كانوا يعدلون إلى غيره ممن هو حي بينهم كما فعل عمر ومعاوية بن أبي سفيان.

رابعاً: حديث الأعمى حجة لعمر وعامة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي ﷺ ودعائه لا بذاته، وقال في الدعاء: «**قل اللهم فشفعه فيّ**»، وإذا قدر أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل بذاته لا بشفاعته ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعض وترك سائره المتضمن للتوسل بشفاعته كان ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الموافق لسنة الرسول ﷺ وكان المخالف لعمر محجوجاً بسنة رسوله ﷺ وكان الحديث الذي رواه عن النبي ﷺ حجة عليه لا له[(١)].

الشبهة الخامسة:

في التوسل بجاه النبي ﷺ.

الجواب عليها ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال:

وروى بعض الجهال عن النبي ﷺ أنه قال:... وذكر الحديث ثم قال: وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث مع أن جاهه عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين إلى أن قال رحمه الله:

---

(١) انظر: التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام (ص٩٥ ـ ١٠٠).

ولكن جاه المخلوق عند الخالق تعالى ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه(١).

فالحاصل أن هذا الحديث موضوع وكذب وافتراء على النبي ﷺ.

فسؤال الله بجاه النبي ﷺ لم يعرف عن السلف وأنكره العلماء المحققون وعدّوه من الأمور البدعية في الدين ولا ينبغي لأحد أن يسأل الله إلا بجاه النبي ﷺ وأحاديث سؤال الله بالمخلوقين أو بجاههم ومنزلتهم واهية وموضوعة ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها أو اعتمد عليها إذ أن سؤال الله بسبب لا يناسب إجابة الدعاء فلا يحلف على الله بمخلوق ولا يسأله بجاه مخلوق أو بذاته أو بمنزلته وإنما يسأل الله بالأسباب التي تناسب إجابة الدعاء كسؤال الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وبالعمل الصالح قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦](٢).



(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص١٢٩ ـ ١٣٠).

(٢) تنبيه زائر المدينة على المشروع والممنوع من الزيارة للشيخ صالح السدلان (ص٥٠).

البدع التي أحدثها المحدثون عند زيارتهم المدينة النبوية

أولاً: مفاهيم يجب أن تصحح.

ثانياً: البدع التي أحدثها الناس.

١ ـ البدع الشركية.

٢ ـ بدع الشرك الأكبر.

٣ ـ بدع الشرك الأصغر.

٤ ـ البدع المحرمة.

٥ ـ البدع المكانية (بدع المساجد).

٦ ـ البدع المكانية في غير المساجد.

أولاً: مفاهيم يجب أن تصحح

قبل الشروع في بيان ما أحدثه الناس من بدع عند زيارتهم المدينة النبوية هناك بعض المفاهيم الخاطئة التي يجب أن تصحح وهي:

أولاً: بعض الناس يعتقد أن زيارة المسجد النبوي لها علاقة شرعية بالحج وهذا الاعتقاد خطأ لأن زيارة المسجد النبوي لا علاقة لها بالحج إطلاقاً فلا هي شرط من شروط الحج ولا ركن من أركانه ولا واجب من واجباته بل الحج ينتهي بطواف الوداع ولكن إن تيسر للإنسان الذهاب إلى المدينة بنية الصلاة في المسجد النبوي فلا بأس بذلك بل فعله حسن.

ثانياً: بعض الناس يذهب يمكث في المدينة النبوية غالب وقته، فإذا صلى بالحرم المكي مثلاً تراه يصلي فرائض معدودة ثم يرجع إلى المسجد النبوي فيمكث فيه ما شاء الله، والأولى أن يمكث في المسجد الحرام أكثر أيامه لأن الصلاة فيه أعظم أجراً ما دام ذلك في استطاعته وإمكانه.

ثالثاً: ما جاء من أحاديث تربط بين الحج وزيارة المسجد النبوي أو طلب زيارة قبر النبي ﷺ كلها أحاديث ضعيفة جداً بل أكثرها موضوع فهي لا تخلو من ضعف شديد أو وضع (أي) كذب على النبي ﷺ كما قال ذلك أئمة الحفاظ.

رابعاً: من المفاهيم الخاطئة أن النساء يعتقدن حقهن في زيارة قبر النبي ﷺ فهن في ظنهن شقائق الرجال حتى في زيارته وهذا خطأ إذ ليس لهن زيارة قبره ﷺ إطلاقاً.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين

عليها المساجد والسرج»[١].

خامساً: الثابت عن النبي ﷺ في فضل الروضة «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»[٢]. هذا الحديث رواه البخاري ومسلم.

أما الرواية الثانية: «**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**» فهي رواية معلولة غير صحيحة، لا يجوز الاحتجاج بها لأنها منكرة بهذا اللفظ[٣].

سادساً: جميع الأحاديث التي يروج لها المبتدعون في زيارة قبر النبي ﷺ وفضل زيارة قبره ﷺ كلها أحاديث غير صحيحة ولم يروها أحد من أهل الكتب المعتبرة كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن وأصحاب المسانيد كلهم لم يرووها بل أشاروا إلى ضعفها وإلى وضعها، فمن هذه الأحاديث مثلاً:

«**من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي**».

«**من حج فلم يزرني فقد جفاني**»، «**من حج فلم يزرني فقد جفاني ومن زارني فقد وجبت له شفاعتي**»، «**من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني**».

كل هذه الأحاديث وغيرها ضعيفة أو موضوع.

فليتنبه المسلم مما يروج له أهل البدع من القبوريين ومن على شاكلتهم.



(١) رواه النسائي (٤/ ٩٤)، وأبو داود (٣/ ٢١٨)، وابن ماجه (١/ ٥٠٢).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٧٢).

ثانياً: البدع التي أحدثها الناس عند زيارتهم المدينة النبوية

تمهيد:

إذا تأمل المرء فيما أحدثه المحدثون ووقع فيه المنحرفون عن منهاج النبوة والرسالة في البدع التي أحدثت عند زيارة المدينة النبوية وجد أن هذه البدع تحمل في طياتها الشرك الأكبر بعينه الذي يخرج صاحبه من الملة ويجعله خالداً مخلداً في النار، فكم تسكب العبرات والزفرات عند قبر النبي ﷺ وعند قبور شهداء أُحد ويطلب منهم كشف الكربات ودفع الضرر ورفع الملمات.

وإذا تأمل المرء أيضاً هذه البدع وجدها تحمل في طياتها الشرك الأصغر وخلاصة الأمر أن يقال: إن المخالفات التي وقع فيها المبتدعون عند زيارتهم المدينة النبوية تنقسم إلى قسمين:

١ ـ بدع شركية.

٢ ـ بدع محرمة.

أولاً: بدع الشرك الأكبر:

قبل أن نبدأ في بيان بدع الشرك الأكبر نريد أن نوضح معنى الشرك الأكبر:

- **تعريف الشرك الأكبر:**

الشرك الأكبر هو صرف أي شيء من أنواع العبادة لغير الله ﷻ، كأن يدعو غير الله أو يذبح لغير الله أو ينذر لغير الله، أو يتقرب لأصحاب القبور

أو الجن أو الشياطين بشيء من أنواع العبادات، أو يخاف الموتى أن يضروه، أو يرجو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات وغير ذلك من أنواع العبادة التي تصرف لله تعالى(١).

من خلال هذا التعريف يظهر لنا أن البدع التي وقع فيها المنحرفون عند زيارتهم قبر النبي ﷺ وغيره كقبر شهداء أُحد هو من جنس الشرك الأكبر، فمن هذه البدع:

١ ـ يقصد الكثير من الناس زيارة قبر النبي ﷺ لطلب الحاجات وتفريج الكربات ودفع المضرات ورفع الملمات فيقول: يا رسول الله أسألك أن ترد عليَّ حاجتي أو تشفي لي مريضي أو ترفع عني ما أصابني من ضر أو يقول: يا رسول الله انصرني أو أغثني أو ارزقني أو أنا في حسبك وغيرها من الأقوال التي هي حق محض لله تعالى كلها شرك أكبر مخرج من الملة.

٢ ـ بعض الناس يذهب إلى قبر النبي ﷺ لطلب الوسيلة وجعله واسطة بينه وبين ربه ﷻ في قبول دعائه، وهذا هو عين شرك أهل الجاهلية؛ أي: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لصاحبه إن مات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

٣ ـ وكذلك يحدث عند قبور شهداء أُحد مثل ما يحدث عند قبر النبي ﷺ، فبعض الناس يستغيث بهم ويطلب منهم الحاجات كما يقول بعضهم عند زيارته لقبر حمزة عم النبي ﷺ: (نعوذ بك من النار) وغيرها من الأقوال الكفرية كمن يقول: (مدد يا حمزة) أو: (مدد يا عباس) أو: أنا في حسبك يا حمزة وما شابه ذلك، وكل هذا من الشرك الأكبر.

ثانياً: بدع الشرك الأصغر:

ما هو الشرك الأصغر؟

الشرك الأصغر عرّفه العلامة ابن سعدي رحمه الله تعريفاً جامعاً فقال: الشرك

(١) انظر: كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان (ص١١).

الأصغر هو: كل وسيلة وذريعة يتوسل بها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[١].

وبهذا التعريف ينضبط حد الشرك الأكبر فإن الوسائل إذا كانت تؤدي إلى الشرك الأكبر صارت شركاً أصغر وإن لم يأت تسميتها في نصوص الشارع شركاً بخلاف قول جمهور أهل العلم فإنهم يرون أن الشرك الأصغر ما جاءت نصوص الشرع تسميته شركاً ولم يبلغ حد الشرك الأكبر.

والذي يظهر والله أعلم أن تفسير ابن سعدي للشرك الأصغر هو الأضبط.

• من أنواع بدع الشرك الأصغر:

بعض الناس يقصد زيارة قبر النبي ﷺ وذلك توسلاً إلى الله به في دعائه فيقول عند قبر النبي ﷺ: «اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ أو أتوسل إليك بالعباس عم النبي ﷺ أو بحمزة وغيرهم من شهداء أُحد فهذا شرك أصغر»[٢].

بعض الناس يتوجه إلى قبر النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله ادعوا الله لي أن يشفيني أو يرد عليّ عافيتي وما شابه ذلك فهذا من الشرك الأصغر.

وبناء على ما ذكرناه فإن ما يظنه الناس أن الدعاء عند القبور مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد القبر لذلك، فإن هذا من المنكرات إجماعاً ولم ينازع في ذلك أحد من أهل العلم. فهذا أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة المسلمين بل جاءت النصوص تنهى عن ذلك أشد النهي.

فهذا عليّ بن الحسين رضي الله عنهما رأى رجلاً يجيء إلى فرجة عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو فيها فقال: لا تفعل ثم قال: ألا أحدثك حديثاً سمعته عن

---

(١) انظر تعريف ابن سعدي للشرك الأصغر في: القول السديد (ص٢٤، وص٤٥)، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٥١٧).

(٢) انظر في ذلك: حقيقة التوسل بالنبي ﷺ (شبهات وردود) للمؤلف.

أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً وصلوا وسلموا عليّ حيثما كنتم فسيبلغني سلامكم وصلاتكم»**[1].

ومن بدع الشرك الأصغر قراءة القرآن عند قبر النبي ﷺ أو قصد الصلاة عند قبره.

ومنه أيضاً ما يقوم به البعض من الطواف حول قبره وهذا من البدع المحدثة التي لم يشرعها الله لعباده بل هي وسيلة للشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لصاحبه إذا مات عليه.

وبالجملة فعل أي طاعة عند قبره ﷺ هي في الحقيقة وسيلة إلى الشرك الأكبر.

- **البدع المحرمة:**

البدع المحرمة هي التي لم تصل إلى درجة الشرك الأصغر ولكنها محرمة لكونها ابتداعاً في دين الله. ولما كان كل بدعة في دين الله ضلالة كانت جميع البدع محرمة سواء ما كان منها شركاً أو لم يكن شركاً، وهي كثيرة جداً، ومنها:

١ ـ بعض الزائرين يستقبل قبر النبي ﷺ ويترك استقبال القبلة وهذه بدعة مذمومة محرمة، فإن كان استقباله مصحوباً بعبادة ما فإنه يصير شركاً أصغر، أما مجرد الاستقبال ظناً منه أن استقبال القبر أفضل فهذا بدعة محرمة.

٢ ـ بعض الزائرين لقبر النبي ﷺ يرفعون أصواتهم وهذا فيه شيء من سوء الأدب مع رسول الله ﷺ بل قد يكون فيه إحباط للعمل فرفع الصوت عند النبي ﷺ منهي عنه في حياته وبعد مماته.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ﴾. . .[الحجرات: ٢].

٣ ـ بعض الزائرين يقف طويلاً عند قبر النبي ﷺ ويأتي بأدعية غير مشروعة مما يؤدي إلى التزاحم وأذية الآخرين وهذا أيضاً من البدع المحرمة.

---

(١) رواه أبو داود.

٤ ـ بعض الزائرين يقوم بأداء الركعتين بعد السلام على النبي ﷺ وهذا أيضاً من البدع.

٥ ـ ما تقوم به النساء من زغاريد عند الروضة أو إرادة زيارة قبره ﷺ.

٦ ـ التماس الدعاء بعد الذهاب إلى قبره ﷺ والسلام عليه.

٧، كتابة الرسائل ثم رميها على القبر، إرسال العرائض مع الحجاج والزوار إلى النبي ﷺ ويحملهم السلام إليه.

٨ ـ بعض الناس يتمسحون على أبواب المسجد النبوي وكذا شبابيكه بغية حصول البركة بل يحلف بعضهم فيقول: (وحق الذي وضعت يدي على شباكه) فجمع بين الشرك وذلك بالحلف بغير الله والبدعة المحرمة وهي التمسح بالجدران والشبابيك.

٩ ـ ربط الخيوط ونحوها على شبابيك المسجد النبوي تبركاً.

١٠ ـ أخذ بعض الحصى من أمام المسجد النبوي وحملها إلى بلده وذلك للتبرك بها.

١١ ـ أن بعض الزائرين يقصدون القبر كلما دخلوا المسجد أو خرجوا منه فلا يدخل إلا بالتسليم على النبي ﷺ ولا يخرج إلا بالتسليم عليه.

١٢ ـ بعض الناس يقصدون قبر النبي ﷺ للسلام عليه دبر كل صلاة.

١٣ ـ بعض الناس يحرص على صلاة الفريضة في الروضة ويترك الصفوف الأولى مع وجود المتسع فيها ومن المعلوم أن أجر الصلاة في الصفوف الأولى أفضل من الصلاة في الروضة.

١٤ ـ بعض الناس يحرص على الصلاة في المسجد القديم ويعرض عن الصفوف الأولى وهذا أيضاً مخالف للسنة وبدعة في دين الله، إذ الأفضل كما ذكرنا الصلاة في الصفوف الأولى.

١٥ ـ بعض الناس يقطع من شعره ثم يرمي به في اتجاه القبر.

١٦ ـ بعض الناس يقصد زيارة قبر النبي ﷺ قبل الصلاة في مسجده.

١٧ ـ قصد الاغتسال عند إرادة زيارة قبر النبي ﷺ.

١٨ ـ ومنها تقسيم الزيارة إلى النبي ﷺ بالزيارة الأولى والثانية والثالثة والرابعة، وإلى غير ذلك مع إيراد دعاء خاص في كل زيارة.

والمراد بالزيارة الأولى عندهم إلقاء السلام على النبي ﷺ من قرب والزيارة الثانية أن يقف عند الجانب الأيمن من القبر؛ أي: عند الرأس ثم يسلم مرة أخرى، ولهم في ذلك أدعية مبتدعة.

أما الزيارة الثالثة أن يستقبل القبر ويجعل القبلة خلفه، ثم يسلم على النبي ﷺ ثم يثني عليه ويدعو، كل هذا من البدع والخرافات.

أما الزيارة الرابعة فهي السلام على النبي ﷺ من البعد.

١٩ ـ تخصيص الصلاة عند اسطوانة التوبة حيث يزعمون أن الصلاة عندها مقبولة.

٢٠ ـ استحباب الصيام يوم الأربعاء والخميس والجمعة في المدينة حيث لم يرد فيها نص صريح صحيح عن النبي ﷺ.

٢١ ـ استحباب الصلاة يوم الأربعاء عند اسطوانة التوبة (أي: اسطوانة أبي لبابة)، وليلة الخميس ونهاره عند الاسطوانة التي تقع أمام اسطوانة التوبة، وليلة الجمعة ونهارها عند الاسطوانة التي تقع بجانب محراب النبي ﷺ.

٢٢ ـ استحباب الصلاة عند مقام جبريل وهو المقام الذي كان استأذن فيه الرسول ﷺ بالدخول.

٢٣ ـ استحباب صلاة الركعتين للزيارة؛ أي: عند زيارة قبره ﷺ.

٢٤ ـ وضع بعض الناس يده على صدره حال وقوفه أمام قبره ﷺ كهيئة المصلي. فهذا لم يفعله صحابة النبي ﷺ في حياته أو بعد موته.

ولو شرع لكانوا أسبق الناس إليه.

ما أحدثه المحدثون عند زيارتهم مسجد قباء:

من المعروف لدى المسلمين أن مسجد قباء شرعت زيارته للصلاة فيه وبين النبي ﷺ فضله بأن الصلاة فيه كأجر عمرة، فعن أسيد بن ظهير

الأنصاري ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**صلاة في مسجد قباء كعمرة**»[١].

غير أنه لا يجوز إحداث بدع أخرى غير الصلاة فيه لنيل أجر العمرة ولكن أبى المبتدعون إلا الخروج ببدعهم في هذا المسجد ومنها:

ـ التمسح بجدران المسجد رجاء البركة.

ـ التصوير التذكاري عنده.

ـ بعض الناس يكتب بأصبعه على الجدران بعض الكلمات رجاء الرجوع إليه مرة أخرى.



(١) رواه ابن ماجه (١٤١١)، والترمذي (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦)، وابن أبي شيبة رقم (١٢٥٧٠).

ما أحدثه المحدثون عند زيارتهم بقيع الغرقد

لا شك أن زيارة البقيع أمر مشروع ولكن بصفة معينة حددها الشارع الحكيم.

فالقاصد للبقيع لا يخرج إلا بنية التذكر للآخرة والموت وما هو وسيلة لزهده في الدنيا، قال ﷺ: **«زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»**.

وكذلك يقصد بزيارته الدعاء لأهل البقيع والترحم عليهم والاستغفار لهم. أما كون الإنسان يذهب فيأتي بأشياء غير مشروعة بل هي ممنوعة فهذا لا ينبغي.

ومما يحصل عند البقيع من هذه البدع:

- الصلاة داخل المقبرة فهو بدعة محرمة، بل ورد النهي عن ذلك، قال ﷺ: **«لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها»**.

- أخذ الأتربة منها تبركاً.

- رمي الرسائل عليها وطلب الحاجات من أصحاب القبور.

- رمي الحبوب والنقود ورش العطور على القبور.

- رسم الخطوط على أرض المقبرة مع الاعتقاد أن بكل خط قبر لنفسه أو من يحبه أو لأحد من أقربائه.

- بعض الناس يجمع التراب على شكل قبر صغير ويقصد به أنه يكون لنفسه أو لمن يريد.

- بيع الحبوب عندها.

ـ تزوير الناس من قبل أشخاص مقيمين بالمدينة مع تعريفهم كل قبر وتوزيع الخرائط عندها مع قراءة الكتب المليئة بالشركيات والكفريات.

ـ التكبير، وقراءة القرآن عندها.

ـ دفن الأموال عندها مع قراءة القرآن عند الدفن.

ـ الجلوس عندها مع البكاء والصريخ والدعاء بالويل والثبور.

ـ ولعل من ذهب إليها يجد الكثير من البدع التي تحصل عندها. فقد جمعت البدع عندها من كل شر أعلاه.

ـ فجمعت الشرك الأكبر من الاستغاثة بأهل البقيع وسؤالهم ودعائهم وطلب الحوائج منهم.

ـ والشرك الأصغر من قراءة القرآن عندهم والصلاة وتحري الدعاء عندها وغير ذلك من الشرك الأصغر الذي بيناه سابقاً، والله المستعان.



البدع المكانية

لم يكتف المنحرفون من أهل البدع بما أحدثوه في المسجد النبوي من بدع بل اخترعوا أماكن أخرى قصدوها للتعبد عندها، فالذي ينبغي معرفته أن بعض الزائرين إلى المدينة يحرص على زيارة أماكن لا تشرع زيارتها، فإن الله تعالى لم يأذن لنا إلا بزيارة المسجد النبوي فقط، أما مسجد قباء وبقيع الغرقد فهما تبع للمسجد النبوي بمعنى أنه لا تشد لهما الرحال، ولكن إذا ذهب الإنسان إلى المدينة جاز له الصلاة في قباء والذهاب إلى بقيع الغرقد وذلك للاستغفار والدعاء لأهله من الصحابة وغيرهم. أما كون الإنسان يقصد بزيارته المصحوبة بشد الرحال قباء أو البقيع فهذا منهي عنه.

وعلى ذلك فالأماكن التي تشرع زيارتها هي: المسجد النبوي، أما مسجد قباء، وبقيع الغرقد فهما تبع لها.

فمن زاد على ذلك فقد تعدى وأساء وظلم.

وهذه جملة من البدع المكانية وما يحدث بها من البدع:

١ ـ مسجد الجمعة:

(ويسمى مسجد الوادي) أو باسم (مسجد عاتكة) (أو مسجد القبيب).

وهذا المسجد يقال: إن النبي ﷺ عندما وصل قباء مهاجراً أقام فيه عدة أيام ثم خرج فيها ضحى يوم الجمعة إلى المدينة فأدركته صلاة الجمعة، هو ومن معه فصلى فيه الجمعة فكانت أول جمعة يصليها النبي ﷺ.

فخصصه الناس بالزيارة إليه تبركاً أو للصلاة فيه وهذا لم يشرعه الله ولا رسوله ولا سلف الأمة إذ لو كان خيراً لسبقونا إليه.

ومن البدع التي أحدثت لهذا المسجد أن الناس يذهبون للصلاة فيه.

أن الناس يحضرون إليه ليلة الجمعة ويصلون فيه الجمعة ويعتقدون أن الصلاة فيه أفضل من غيره.

أن بعض الناس يأخذ الصور التذكارية عنده.

٢ ـ مسجد ذي الحليفة أو الميقات:

ويسميه بعض الناس مسجد الشجرة.

وهذا المسجد يعتقد زائروه أن النبي ﷺ عند خروجه إلى مكة المكرمة للعمرة أو الحج كان ينزل تحت شجرة في ناحية المسجد يصلي ثم يهل للعمرة أو الحج.

فاختيار هذا المسجد للتعبد بدعة.

ومن البدع المقامة عنده أن بعض الناس يطوف بالساحة الداخلية ثم يأخذ عندها الصور.

٣ ـ مسجد بني معاوية:

وهذا المسجد ينسب إلى بني معاوية بن عوف ويسمى باسمهم ويسمى أيضاً باسم (مسجد الإجابة).

وسبب تسميته بذلك أنهم يزعمون أن النبي ﷺ صلى فيه الركعتين ثم سأل الله تعالى أموراً معينة فاستجاب الله له ولذا يتحرى بعض المنحرفين المبتدعين الصلاة فيه ثم الدعاء عنده لأن الدعاء عنده على زعمهم مستجاب وهذا لا شك ضلال مبين.

٤ ـ المساجد السبعة:

هي عبارة عن سبعة مساجد صغيرة تقع في الجهة الغربية من جبل سلع عند جزء من الخندق الذي حفره النبي ﷺ وأصحابه في غزوة الخندق.

هذه المساجد يعتقد الناس أنها مواقع مرابطة الجيش في تلك الغزوة وقد سمي كل مسجد باسم من رابط في هذه الغزوة.

وهذه المساجد على النحو التالي هي:

١ ـ مسجد الفتح، وهذا المسجد يقول المبتدعون إن النبي ﷺ ضربت له فيه قبة.

٢ ـ مسجد سلمان الفارسي حيث يعتقدون أن سلمان كان يصلي فيه في غزوة الأحزاب.

٣ ـ مسجد أبي بكر الصديق.

٤ ـ مسجد عمر بن الخطاب.

٥ ـ مسجد علي بن أبي طالب.

٦ ـ مسجد فاطمة.

٧ ـ مسجد عثمان رضي الله عنه.

وهذه المساجد يحضر إليها الناس ويصلون بكل مسجد ركعتين اعتقاداً منهم أن الصلاة في هذه المساجد أفضل من غيرها.

فإذا أتموا الصلاة فيها قاموا بأخذ الأتربة تبركاً بها ثم يأخذون الصور التذكارية بل ويعتقدون أن الحج والعمرة والزيارة لا تتم إلا بذلك.

٥ ـ مسجد الغمامة ويسمى (مسجد المصلى):

الموقع: يقع هذا المسجد في الجهة الغربية الجنوبية لمسجد رسول الله ﷺ.

معتقد زواره: يعتقد زواره من أهل البدع المخالفين لنبي الهدى ﷺ أن هذا المكان آخر المواضع التي صلى بها رسول الله ﷺ صلاة العيد، ويسمى بالغمامة لما يقال من أن غمامة حجبت الشمس عن رسول الله ﷺ عند صلاته. ومن ثم يقوم الزوار بالصلاة فيه اعتقاداً منهم بأفضلية الصلاة فيه ثم يتبركون بجدرانه ويتمسحون بها.

وبجوار هذا المسجد مساجد أخرى وهذه المساجد هي مسجد عمر ومسجد علي ومسجد فاطمة ويقوم الزوار بالصلاة في كل مسجد منها ركعتين ويتمسحون بها ويعتقدون أيضاً أن الصلاة فيها أفضل من غيرها.

٦ ـ مسجد القبلتين:

الموقع: يقع هذا المسجد في الجهة الغربية من مسجد رسول الله ﷺ ويبعد عنه خمسة كيلو مترات تقريباً.

سبب التسمية: ينسب هذا المسجد لبني حرام من بني سلمة. ويزعم المبتدعون أن النبي ﷺ كان قد صلى فيه ستة أو سبعة أشهر ينتظر أمر ربه في القبلة فنزلت آية تحويل القبلة فتحول النبي ﷺ في الصلاة واستقبل القبلة.

ويعتقد البعض في هذا المسجد أن سبب تسميته بهذا أن الصحابة صلوا فيه صلاة واحدة إلى القبلتين، وذلك أنه لما كانت القبلة إلى بيت المقدس وكان الصحابة يصلون آنذاك صلاة العصر جاءهم الأمر من رسول الله ﷺ بتحويل القبلة إلى البيت الحرام فتحولوا وهم يصلون من أجل ذلك سمي بمسجد القبلتين.

أهم البدع عنده:

أولاً: قصد الناس زيارته بغرض التعبد فيه وهذا لا شك بدعة لا تجوز.

ثانياً: أن البعض من الناس بداخله يصلي متجهاً تجاه بيت المقدس ركعتين ثم يصلي ركعتين أخريين تجاه البيت الحرام، فانظر إلى تلاعب الشيطان بهؤلاء وصدق ربنا ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

ثالثاً: بعد الفراغ من الصلاة يقومون بأخذ الصور التذكارية التي حرمها الله تعالى فجمعوا بين المحرم والشرك الأصغر وهو الرياء والبدعة بتخصيص الصلاة فيه والدعاء عنده ونحوه.

٧ ـ مسجد أبي ذر الغفاري:

الموقع: يقع في الجهة الشمالية من المسجد النبوي.

القاصدون له: أغلبهم ليسوا من مبتدعي أهل السنة بل من الروافض وذلك لأن أبا ذر ناصر علياً وأيده ضد من عاداه ولذا يقصدون قبره ويدعون عنده.

٨ ـ مسجد الراية:

القاصدون له: أغلب من يزوره من البرلوية.

المعتقد: يعتقد من يزوره أن هذا المكان هو الذي رفع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

٩ ـ مسجد الفضيخ (مسجد النخل):

تنبيه: هذا في الحقيقة ليس بمسجد حيث لا تقام الصلاة فيها ولا يرفع منه أذان ولكن جعله المبتدعون مسجداً يقصدونه للصلاة فيه.

الموقع: يقع في الجهة الشرقية من مسجد قباء.

المعتقد: يعتقد زواره أن هذا موضع رد الشمس لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فصلى صلاة العصر حينما فاته الوقت بسبب نوم النبي ﷺ في حجره فلما فرغ علي من الصلاة انقضت الشمس انقضاض الكوكب.

ولذا يقول المبتدعون فإذا دخلت مسجد الفضيخ فصل فيه ركعتين اطلب حوائجك من الله تعالى فإن الدعاء به مستجاب.

١٠ ـ مسجد العريض:

تنبيه: في الحقيقة أنه ليس بمسجد بل هو ضريح حيث وضع بجانب القبة المهدومة منارة مسجد، وذلك لأن بناء الأضرحة محرم في شريعتنا فقام المسؤولون وفقهم الله بهدمه وبناء منارة مسجد مكانه وذلك قطعاً لدابر الشرك، ولكن أبى المنحرفون إلا الشرك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

التعريف به: هو مشهور بهذا الاسم (مسجد العريض) ونسبه المبتدعون إلى علي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

القاصدون: يقصده المبتدعون من الصوفية وعباد القبور ويتوافدون إليه للاستغاثة وسؤاله من دون الله وطلب الشفاعة منه مع رمي الرسائل المكتوب فيها حوائجهم المرشوشة بالعطور.

١١ ـ مسجد العريش:

الموقع: يقع المسجد بجانب مقبرة شهداء بدر.

المعتقد: يعتقد قاصدوه أن النبي ﷺ صلى فيه؛ أي: في هذا الموضع في أثناء معركة بدر، ولذا يعتقدون أن الصلاة فيه لها فضل عند الله بل والدعاء فيه مستجاب ولهم في ذلك دعاء خاص به.

١٢ ـ مسجد المباهلة:

المعتقد: يعتقد زواره أن هذا المكان الذي حضر فيه رسول الله ﷺ مع علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين ليتباهل مع نصارى نجران.

ولذا يقصدونه بالصلاة فيه والدعاء عنده فإن الصلاة عنده مقبولة ولها فضل وكذا الدعاء.

١٣ ـ مسجد الشهداء:

الموقع: يقع بجانب مقبرة الشهداء.

ويعتقد زواره أن لهذا المسجد فضلاً ولذا تراهم يصلون فيه ويتبركون به.



البدع المكانية
في غير المساجد

لم يكتف المبتدعون المنحرفون في الاقتصار على ما ابتدعوه سابقاً بل قاموا فزادوا على ذلك من البدع المكانية بغية الزيادة في الأجر وما لهم بذلك من أجر إذ الأجر مقرون باتباع النبي ﷺ فمن خالف هديه فلا أجر له بل عليه من السيئات بقدر بدعته، فمن هذه البدع:

١ ـ جبل أُحد:

لا شك أن جبل أُحد يحبه الله ويحبه النبي ﷺ ونحبه نحن لمحبة الله ورسوله ولكن هل يقصده المسلم بالزيارة والتبرك فهذا لا يجوز وليس من هدي سلفنا الصالح.

البدعة المقامة عنده: يوجد بهذا الجبل غار يصعد إليه الزوار ثم يقومون بفعل الآتي:

١ ـ التبرك بهذا الغار إذ يلتمسون به البركة حيث كان مأوى للنبي ﷺ في أُحد.

٢ ـ يعتقد زواره أن النبي دخل به في معركة أُحد ولذا يقومون بقراءة الفاتحة عنده ويطيبونه بالعطور.

٣ ـ أسفله حجر كبير يسميه زواره الطاقية إذ يعتقدون أن هذا الحجر هو طاقية النبي ﷺ.

٤ ـ يقوم زواره بقطع غصون الأشجار وورقها وأخذه تبركاً.

٢ ـ جبل الرماة:

هذا الجبل هو الذي جعل عليه النبي ﷺ الرماة في غزوة أُحد والقاصدون له من الزوار يقومون بعمل الآتي:

ـ يتبركون به.

ـ يقومون بأخذ الأتربة منه تبركاً.

ـ يقومون بكتابة الأسماء عليه.

ـ يقومون بوضع الصور تحت الحجر.

ـ يقومون بجمع الحجر والتراب على شكل جبل صغير اعتقاداً منهم بعودة من يفعل ذلك مرة أخرى.

ـ يقومون برسم الخطوط فوق الجبل ورفع الأيادي بالدعاء.

ـ يقومون حال دعائهم متجهين إلى القبور لا باتجاه القبلة.

ـ يقومون بقراءة القرآن والصلاة فوق الجبل.

ـ يقومون بترديد التواشيح والأناشيد عنده.

ـ فما أكثر البدع وما أكثر أهلها وقانا الله وإياكم من شر ذلك.

ومن المزارات الأخرى:

ـ زيارة شهداء بدر وبخاصة يوم (٩/٢٧) من كل عام.

ـ إحداث البدع عند زيارة شهداء أُحد.

ـ زيارة قبر عبد الله بن عبد المطلب والد النبي ﷺ.

ـ زيارة قبر حمزة رضي الله عنه.

زيارة الحسن والحسين.

زيارة بئر عثمان حيث يعتقد زوارها أن بها البركة وهي منسوبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه.

وكل هذه المزارات عندهم لها أفضلية خاصة من حيث الزيارة والدعاء عندها والصلاة كذلك.

٣ ـ مشربية أم إبراهيم:

المبتدعون من زواره يعتقدون أنها حجارة أم إبراهيم ابن النبي ﷺ؛ أي: مارية القبطية رضي الله عنها، وهذه المشربية أيضاً يقولون بأنها كانت مسكناً للنبي ﷺ ومصلاه.

ولذلك تراهم يصلون فيها ركعتين تبركاً بها ثم يدعون بدعاء خاص بهذا المكان.



الطريقة الشرعية لزيارة المدينة النبوية

تمهيد.

بيان الطريقة الصحيحة لقاصدي المدينة النبوية.

الطريقة الشرعية
لزيارة المدينة النبوية

تمهيد:

نختم هذه الرسالة ببيان الطريقة المرضية لقاصدي المدينة النبوية وكيف يقوم المسلم بتأدية هذه الزيارة بطريقة شرعية خالية من البدع المحدثة التي أحدثها المحدثون. فنقول وبالله التوفيق:

ذكرنا فيما سبق شروط قبول العبادة وذكرنا أن الله لا يقبل الأعمال إلا إذا توفر فيها شرطان:

الأول: الإخلاص لله. **والثاني**: أن يكون العمل وفق هدي النبي ﷺ بمعنى آخر؛ أي: أن يكون العمل مشروعاً؛ أي: جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

فطرق الوصول إلى الله تعالى ومرضاته كثيرة لكن أفضلها وأصحها هو ما توفر فيه الشرطان، فمتى اجتمع الشرطان صحت العبادة ومتى فقد الشرطان بطلت العبادة.

وسنذكر فيما يلي الطريقة الشرعية التي رضيها الله لعباده عند قصدهم المدينة النبوية.



بيان الطريقة الصحيحة
لقاصدي المدينة النبوية

أولاً: إذا أردت زيارة مدينة النبي ﷺ فاقصد بزيارتك وجه الله تعالى والدار الآخرة وليكن الإخلاص في زيارتك هو الأساس ودعك من الرياء والسمعة فإنهما محبطان للعمل.

ثانياً: أن تكون زيارتك لقصد المسجد النبوي.

وذلك للصلاة فيه والتعبد لله تعالى بسائر الطاعات فيه، ولا يكن قصدك زيارة قبر النبي ﷺ.

ثالثاً: إذا عزمت على الرحيل فاختر صحبة طيبة تكن لك رفقة في الطريق فإن هذا كان من هدي النبي ﷺ في سفره وترحاله بل جاء الأثر بذلك فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ما سار راكب من الليل وحده**»[1].

رابعاً: إذا أتيت مسجد النبي ﷺ فأته بسكينة ووقار ثم قدم رجلك اليمنى قائلاً دعاء دخول المسجد وهو: «**بسم الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك**».

خامساً: إذا دخلت المسجد فيستحب لك أن تأتي الروضة الشريفة فتصلي فيها ركعتين تحية المسجد ولكن يشترط عدم المزاحمة وإيذاء الآخرين، فإن لم تتمكن من تأدية الركعتين بالروضة فصل في المسجد في أي مكان شئت.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٩٦) وأخرجه الترمذي برقم (١٦٧٣) ومعنى الوحدة؛ أي: الانفراد في السفر.

سادساً: إذا فرغت من الصلاة فقم متجهاً إلى الحجرة الشريفة التي بها قبر النبي ﷺ فاستدبر القبلة واستقبل القبر ثم قف أمام النافذة الدائرية اليسرى ثم سلم على النبي ﷺ قائلاً السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد أشهد أنك رسول الله حقاً قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده فجزاك عن أمتك أفضل ما جزى نبياً عن أمته.

سابعاً: إذا انتهيت من السلام على النبي ﷺ تأخر إلى جهة اليمين قليلاً؛ أي: قدر ذراع ثم سلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه بما تستحضره من الألفاظ من غير تكلف.

ثامناً: إذا انتهيت من السلام على أبي بكر انتقل عن يمينه قدر ذراع أيضاً ثم سلم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وليكن تسليمك عليه من غير تكلف.

تاسعاً: إذا انتهيت من ذلك كله فادخل المسجد وأكثر فيه الصلوات من الفرائض والنوافل فإن الصلاة فيه عظيمة الأجر لقول النبي ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**».

عاشراً: يمكنك التنويع في العبادة فإذا صليت ما بدا لك وأحسست بفتور فأكثر من الذكر وقراءة القرآن وحضور حلق العلم.

الحادي عشر: يسن لك زيارة مسجد قباء والصلاة فيه لما ذكرناه من أدلة في سنية الصلاة فيه ويمكن أن تأتي إليه راكباً أو ماشياً كما تحب فالأمر في ذلك واسع والحمد لله.

الثاني عشر: يسن لك أيضاً زيارة البقيع وشهداء أُحد وغيرها من قبور السلف والدعاء لهم بالمغفرة وليكن قصدك نفعهم بالدعاء وتحصيل أجر الزيارة دون قصد التبرك بهم.

الثالث عشر: إذا وصلت البقيع أو شهداء أُحد أو غيرها من قبور السلف فإياك والغلو ويكفيك في ذلك ما جاء عن النبي ﷺ في زيارتهم فقد كان يقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية**» ثم ادع لهم بما شئت أدعية خالية من الشرك والبدع، تقول: اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عنهم وأكرم نزلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم جازهم بالحسنات إحساناً وبالسيئات عفواً منك وغفراناً، وغيرها من الأدعية الصحيحة.

الرابع عشر: احذر البدع سالفة الذكر وإياك ومحدثات الأمور.

فواقع كثير من المسلمين الآن أنهم يؤزرون بزيارتهم ولا يؤجرون لما يحدثونه من البدع العظيمة التي تصل إلى حد الشرك أحياناً وعلى كل مؤمن صادق ناصح لنفسه ولأمته أن يبتعد عن هذه المحدثات وأن يعلم الناس أمر دينهم بكل رفق وسهولة اتباعاً لهديه ﷺ في هذا الباب.



كتاب
كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف



المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

كتب عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى عامل له فقال: «أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة رسوله ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السُنَّة فإنها لك بإذن الله عصمة، واعلم أن الناس لم يحدثوا بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها، فإن السُنَّة إنما سنَّها من علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم السابقون، عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم كانوا على

كشف الأمور أقوى، وبفضل فيه لو كان أحرى، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه فقد سبقتموهم إليه، ولئن قلت إنما أحدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، لقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محصر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمع عنهم آخرون فغلوا، إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»[١].

قلت: هذا كلام خليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وصدق والله فيما قاله، فإنه لا شيء أفسد على الأمة دينها وضيّع كيانها، وجعلها غُثاءً كغثاء السيل فتكالب عليها أمم الكفر، كالبدع التي تفتك في الأمة فتك الذئب بالغنم، وتنخر فيها نخر السوس في الحب، وتسري في كيان الأمة سريان النار في الهشيم.

إن البدع التي يموج فيها السواد الأعظم في هذه الأمة وبخاصة في هذه الفترة أدت إلى انتشار الشرك بطريقة لا يصدقها عاقل أبداً.

فكم كنت حزيناً عندما سمعت بهذا الرجل الذي جاء من وطنه قاصداً أداء مناسك الحج، فإذا به يذهب إلى المدينة النبوية يجلس فيها طوال أيام الحج معرضاً عن أداء مناسك الحج، جالساً أمام قبر النبي ﷺ مستغيثاً به، مستشفعاً، طالباً قضاء الحوائج منه، بل أخذ يُنكر على قاصدي مكة لأداء مناسك الحج قائلاً: الحج ها هنا، يعنى «الجلوس أمام القبر»، ثم رجع إلى وطنه دون أن يؤدي مناسكه، فيا لها من غربة للدين.

لقد أحدث المسلمون في دينهم من البدع ـ ما الله به عليم ـ ما انحرف بكثير منهم عن سواء السبيل وعمّى عليهم دينهم الحق الأصيل، فما يفتح لهم الشيطان باباً من الضلال إلا ولجوه، ولا يزين لهم شيئاً من البدع إلا تبعوه، وما زال الخطر يستفحل والشر يتفاقم حتى طمَّ السيل وأليل الليل عن كثير من المسلمين.

وما تزال بلادنا ـ ولله الحمد ـ سليمةً من كثير من البدع التي تموج بها

---

(١) البدع لابن وضاح (٣٠، ٣١)، الحلية لأبي نعيم (٥/ ٣٩)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٩).

كثير من بلاد المسلمين، وذلك بفضل الله أولاً، ثم بفضل دعوة التوحيد، وتكاتف الولاة والعلماء على السير بقوة حسب المنهج الشرعي، وسد أبواب البدع بقدر الإمكان.

ولما كانت السُنَّة من الدين بمكان حيث تمثل الأصل الثاني من أصول التشريع، والإحداث في الدين يضاهيها ويدرس معالمها، كما قال أبو إدريس الخولاني: «وما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله بها عنهم سنة» كان حقاً على كل مسلم معتصم بدين الله، محبٍ للكتاب والسُنَّة، سواء كان عالماً أو طالب علم أن يحث الناس على التمسك بالسُنَّة، ويحذرهم من الإحداث في الدين، ونظراً لأهمية هذا الأمر كتبت هذه الأسطر أداءً للأمانة، وقياماً بواجب النصيحة «فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف». أسأل الله جل وعلا أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما جهلنا، وأن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا علينا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتبه أبو محمد
أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
ص.ب: ١٨٨ ـ الزلفي: ١١٩٣٢

كل خير في اتباع من سلف

شروط قبول الأعمال

بيَّن الله ﷻ في كتابه أنه لا يقبل من الأعمال مما يتقرب به العباد إليه إلا إذا توفر فيه شرطان:

الشرط الأول: إخلاص العمل لله وحده لا شريك له:

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٤].

وقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»[(٢)].

الشرط الثاني: أن يكون هذا العمل قد شرعه الله أو شرعه رسوله ﷺ:

بمعنى أن لا يكون بعبادة مبتدعة، لقوله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٣)].

ولهذا قال أهل العلم: إن العبادات مبناها على التوقف.

وقال بعضهم: الأصل في العبادات الحظر؛ أي: المنع.

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (١)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» (٣٥٣٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في ملة غير الله (٤/ ٢٢٨٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٤٩٩)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣٢٤٢).

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أخلص أعماله لله، متبعاً في ذلك رسول الله ﷺ فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الإخلاص والمتابعة لرسول الله ﷺ أو أحدهما فعمله مردود داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]. ومن جمع الأمرين ـ أي: الإخلاص والمتابعة ـ فقد دخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

وفي قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

فحديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» ميزان للأعمال الظاهرة. فهما حديثان عظيمان يدخل فيهما الدين كله، أصوله وفروعه، وظاهره وباطنه، أقواله وأفعاله»[1].



(١) بهجة قلوب الأبرار لابن سعدي (ص١٠).

التعريف بالسُنَّة

تعريف السُنَّة في اللغة: السُنَّة في اللغة هي الطريقة والسيرة، حسنة كانت أم قبيحة[١].

أما تعريفها في الاصطلاح: فهي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه علماً، وعملاً، واعتقاداً، وقولاً، وهي السُنَّة التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها، ويذم من خالفها، وبهذا قيل: فلان من أهل السُنَّة؛ أي: من أهل الطريقة الصحيحة المستقيمة المحمودة[٢].

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: والسُنَّة هي الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه ﷺ وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات، والأعمال، والأقوال، وهذه هي السُنَّة العامة[٣]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُنَّة هي ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة لله ورسوله، سواء فعله رسول الله ﷺ، أو فعل في زمانه، أو لم يفعل في زمانه لعدم المقتضي حينئذ لفعله أو وجود المانع منه»[٤].

ويتبين لنا من أقوال الأئمة السابقين أن السُنَّة هي اتباع آثار النبي ﷺ التي جاءت إما عن قول، وإما عن فعل أو تقرير منه ﷺ، فيدخل في ذلك ما كان منها واجباً، أو مستحباً، وكذلك اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، كما قال ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...»**[٥].

---

(١) لسان العرب لابن منظور، باب النون، فصل السين (١٣/ ٢٢٥).

(٢) مباحث في عقيدة أهل السُنَّة والجماعة، للدكتور ناصر العقل (ص١٣).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٠).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/ ١٣١٧).

(٥) رواه أبو داود (٤/ ٢٠١)، والترمذي (٥/ ٤٤)، وابن ماجه (١/ ١٥ ـ ١٦).

وجوب العمل بالسُنَّة

أولاً: الأدلة من القرآن مع تفسيرها:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى عباده المؤمنين عند التنازع أن يحيلوا الأمر إليه وإلى رسوله ﷺ، يعني إلى شريعته ومنهاجه، وجعل ذلك شرطاً من شروط الإيمان به ﷻ، بل لقد بيَّن ﷻ أتمَّ البيان أنه لا تتم طاعته ﷻ إلا بتمام طاعة نبيه ﷺ فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ أي: ما عليك منه، إن عليك إلا البلاغ، فمن اتبعك سعد ونجا، وكان لك من الأجر نظير ما حصل له، ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء»[١].

٢ ـ من زعم أنه محب لله ﷻ فقد جعل الله ﷻ محبته مقرونة باتباع واقتفاء آثار النبي ﷺ، فمن ادَّعى أنه محب لله ثم لم يتبع النبي ﷺ فدعواه باطلة، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٢٨).



قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ وغيره من السلف: «زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾»[١].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «هذه الآية حاكمة لكل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**[٢]»[٣].

٣ ـ وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. ؛ أي: مهما أمَرَكم به فافعلوه، وما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير أو ينهى عن شر. قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ على حكم الشيء كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله»[٤].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩]: ففي هذه الآية أمر الله عباده المؤمنين أن يقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، فدل ذلك على أن السُنَّة يجب اتباعها في كل ما تأمر به وتنهى عنه، فمن زعم أن السُنَّة لا تحرم شيئاً وأنه لا يجب اتباعها في تحليل نبيه وتحريمه فهو ضال مضل لأن السُنَّة قرينة القرآن، فهي تفسر معانيه،

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأقضية الباطلة ورد محدثات الأمور (٣٢٤٣).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٨).

(٤) تفسير ابن سعدي (ص٨٥٠).

وتوضح مبانيه، وتفصل ما أجمل، وترشد الناس لتطبيق العبادات على الوجه الأكمل.

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]: في هذه الآية أيضاً بيان لمهمة أخرى من مهمات النبي ﷺ وهي أنه يحل لهم الطيبات من المأكل والمشرب، والملبس وغير ذلك، ويرشدهم إلى ما ليس بطيب، بل هو خبيث لما يحصل منه من ضرر على الإنسان في الدنيا والآخرة، وجاءت السُنَّة ببيان ذلك، فأحلت أشياء لم تكن موجودة في كتاب الله، وحرمت أشياء لم تكن موجودة في كتاب الله، ومن هنا كان الأخذ بها واجباً فيما تحل وتحرم.

٦ ـ وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]: بين الله تعالى للمؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة رسوله ﷺ، وما يقوم به من أعمال ومن ذلك أمرهم بتلاوة كتابه، والمقصود منه كيفية التلاوة من قبله ﷺ حتى تكون تلك الكيفية مطابقة للوحي المنزل، كما قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

ومن وظائف هذا الرسول أيضاً أنه يزكي نفوسهم من كل ما علق بها من أمور الشرك، وسيئ الأخلاق، إلى نور التوحيد وأجمل الأخلاق، قال تعالى: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن وظائفه أيضاً أنه يعلمهم الكتاب المنزل عليه، وهذا أمر زائد على التلاوة، فلا تكفي التلاوة المجردة عن الفهم، بل لا بد من فهم معاني الكتاب المنزل، ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال أيضاً: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ [النحل: ٦٤] فكان النبي ﷺ يعلم أصحابه القرآن ثم مع العلم يعلمهم العمل.

فعن عطاء عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: «حدثنا الذين كانوا

يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[(١)].

ومن وظائفه ﷺ أيضاً والتي بُعث بها: أنه يعلمهم الحكمة، وهذا هو موضع الشاهد من الآية، والحكمة هنا هي السُنَّة باتفاق علماء المسلمين وجمهور المفسرين.

ويدل على ذلك قوله تعالى لنساء نبيه ﷺ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٤]. ومن هنا تبين لنا أن من مهامه ﷺ بنص الكتاب المنزل عليه أنه يعلم أصحابه السُنَّة.

٧ ـ وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: «أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الأصول والفروع، وأحكام الشرع، وأحكام المعاد، وسائر الصفات وغيرها.

ولم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتنشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح، وتنفسح له كل الإنفساح، وتقبله كل القبول. ولم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضاً حتى يضاف إليه مقابلة حكمه بالرضا والتسليم، وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض..»، إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعند هذا يُعلم أن الرب تبارك وتعالى أقسم على انتفاء إيمان أكثر الخلق، وعند الامتحان تعلم هل هذه الأمور الثلاثة موجودة في قلب أكثر من يدعي الإسلام أم لا؟

٨ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [النساء: ٣٦]: هذه الآية وإن جاءت في أخص شيء

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٨)، تفسير الطبري (١/ ٨٠).

من خصوصيات الإنسان وهو الزواج، فهي عامة في كل أمر إذا حكم فيه رب الأرباب سبحانه أو حكم فيه رسوله ﷺ بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار له مع حكم الله أو حكم رسوله ﷺ»[١].

قلت: وهكذا جميع الآيات التي يأمر الله تعالى فيها بطاعته ويثني طاعته بطاعة رسوله ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: ٥٦]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وقوله أيضاً: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٣]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، كلها ترشد وتدل على وجوب طاعة النبي ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه.

ثانياً: الأدلة من السُنَّة:

أما دلالة السُنَّة على وجوب العمل بها فهي كثيرة أيضاً، منها:

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم»**[٢].

٢ ـ وعن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ**

---

(١) الضوء المنير على التفسير لابن القيم (٢/ ٢٥٤).
(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنَّة، باب الاقتداء بسنن النبي ﷺ (٦٧٤٤)، ومسلم، كتاب الحج، باب الحج مرة في العمر (٢٣٨٠).

كَانَ عَبْداً حَبَشِيّاً فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلافاً كثيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»(١).

٣ ـ وأيضاً ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ أَبَى قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»**(٢).

وفي رواية لابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «**والذي نفسي بيده لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله كشراد البعير**»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى أن يدخل الجنة؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**». قال ابن حبان في تعليقه على هذا الحديث: «طاعة رسول الله ﷺ هي الانقياد لسنته، مع رفض قول كل من قال شيئاً في دين الله جل وعلا بخلاف سنته دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة»(٣).

٤ ومن الأدلة أيضاً على وجوب طاعته ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ، بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلا فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِياً فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنْ الْمَأْدُبَةِ وَمَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُنَّة، باب الاقتداء بسنن النبي ﷺ (٦٧٣٧).

(٣) رواه ابن حبان عن أبي سعيد الخدري(١/ ١٥٣)، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد(١٠/ ٨٠) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

يَدْخُلْ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّداً ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّداً ﷺ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ»[١].

٥ ـ ومن الأدلة أيضاً ما رواه أحمد وأبو داود وغيرهم عن أبي رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئاً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ»**[٢].

٦ ـ وعن المقداد بن معدي كرب عن النبي ﷺ قال: **«أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَاناً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ...»**[٣].

زاد ابن حبان: **«أَلا وَإِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِك»**[٤].

فانظر إلى وصف النبي ﷺ لرافضي السُنَّة، فقد وصفهم بالشبع والجلوس على الملذات، وقعدوا عن طلب العلم، ولم يبذلوا فيه أي جهد، ولهذا لا يستغرب منهم أن يقولوا مثل هذا القول، ويترفعوا عن قبول السُنَّة والاحتجاج بها، ولو أنهم بذلوا شيئاً من الجهد، واطلعوا على العلم، وفقهوا كتاب الله لعلموا أن كتاب الله تعالى يأمر بطاعة نبيه ﷺ، واتباع سنته.

والأدلة من السُنَّة كثيرة تدل على وجوب العمل بها نكتفي بما ذكرناه.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٦٧٣٨).

(٢) رواه أبو داود، وصححه الألباني في سنن أبي داود (٤/ ٢٠٠) رقم (٤٦٠٥).

(٣) رواه أحمد، وصححه الألباني في المشكاة برقم (١٦٣).

(٤) رواه ابن حبان، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٧١) رقم (٢٨٧٠).

ثالثاً: ذكر الآثار المروية عن السلف في وجوب العمل بالسُنَّة:

لقد فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أن السُنَّة يجب العمل بها، وأنه لا غنى عنها، بل كانوا يعظمون العمل بها، وهذه بعض الآثار التي جاءت عنهم:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: وَمَا لِي لا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحَيْ الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ. فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ قَالَ اللهُ عز وجل وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شيئاً مِنْ هَذَا عَلَى امْرَأَتِكَ الآنَ قَالَ: اذْهَبِي فَانْظُرِي قَالَ: فَدَخَلَتْ عَلَى امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ فَلَمْ تَرَ شيئاً فَجَاءَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ شيئاً فَقَالَ: أَمَا لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ نُجَامِعْهَا»[١].

وعن عبد الرحمٰن بن يزيد: أنه رأى مُحرماً عليه ثيابه فنهاه، فقال ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي، قال فقرأ عليه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧][٢].

وعن هشام بن حجير قال: كان طاووس يصلي ركعتين بعد العصر، فقال ابن عباس: اتركها، فقال: إنما نُهي عنهما أن تتخذ سنة، فقال ابن عباس:

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (٤٥٠٧)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة (٣٩٦٦).

(٢) مختصر جامع بيان العلم وفضله (ص٣٨٣).

قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد العصر، فلا أدري أتعذب عنها أم تؤجر لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦][١].



(١) المرجع السابق (ص٣٨٣).

التحذير من مخالفة السُّنَّة

أولاً: بيان الآيات التي جاءت في التحذير من مخالفة السُنَّة وتفسيرها:

حذَّر الله تعالى عباده المؤمنين من مخالفة نبيه ﷺ، وبيَّن خطورة هذا الفعل في كثير من آياته، ومن هذه الآيات:

١ - قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك»[١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله، ومنهاجه، وطريقته، وسنته، وشريعته، فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق ذلك قُبل، وما خالف فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[٢].

أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ

(١) انظر القول المفيد في: شرح كتاب التوحيد (١/ ٢٥٩، ٢٥٨).

(٢) سبق تخريجه (ص١٣٦٩).

فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا بقتلٍ، أو حدٍ، أو حبسٍ، أو نحو ذلك...» انتهى[١].

قلت: ففي هذه الآية تهديد ووعيد لمن خالف ما كان عليه النبي ﷺ سواء أكان ذلك بزيادة أم نقص، وقد استدل بهذه الآية كثير من أهل العلم على أنه لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يزيد أو ينقص عما جاءت به نصوص السُّنَّة.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه الاعتصام: «حكى عياض عن سفيان بن عيينة أنه قال: سألت مالكاً عمن أحرم من المدينة وراء الميقات، فقال: هذا مخالف لله ورسوله، وأخشى عليه الفتنة في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وقد أمر النبي ﷺ أن يهل من المواقيت».

وحكى ابن العربي عن الزبير بن بكار قال: سمعت مالك بن أنس وقد أثاره رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ، فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة، فقال: وأي فتنة في هذه إنما هي أميال أريدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سُبقت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله ﷺ، إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»[٢].

٢ ـ ومن الآيات الدالة على التحذير من مخالفة السُّنَّة ووجوب الرجوع إليها قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٠٧، ٣٠٦).

(٢) أخرجه الخطيب في الفقيه والمتفقه (١/١٤٦)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/٣٢٦)، البيهقي في المدخل للسنن الكبرى رقم (٢٣٦).

فمن لم يرض بحكم رسول الله ﷺ وخالفه فقد نفى الله عنه الإيمان.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً، وبهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، يسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا منازعة[1].

٣ ـ ومن الآيات أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦][2].

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤]. والآيات في التحذير من مخالفة النبي ﷺ كثيرة جداً.

فالحذر الحذر من مخالفة النبي ﷺ، فإن من خالف النبي ﷺ وسلف الأمة الذين كانوا متمسكين بهديه ولاه الله ما تولى، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ثانياً: دلالة السُنَّة في التحذير من مخالفتها:

أما دلالة السُنَّة في التحذير من مخالفتها فهي كثيرة قد سبق ذكر طرفٍ منها عند ذكر أدلة وجوب العمل بالسُنَّة نكتفي بما أوردناه فيها.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٠).

(٢) مختصر جامع بيان العلم وفضله (ص٣٨٣).

ثالثاً: آثار السلف في التحذير من مخالفة السُنَّة:

ولما جاءت نصوص الكتاب والسُنَّة بالوعيد الدنيوي والأخروي لمن خالف هدي النبي ﷺ كان السلف أخوف الناس على أنفسهم من هذه المخالفة، بل كانوا يحذرون الناس من التلبس بهذه المعصية أشد التحذير.

وسنذكر طرفاً من أقوالهم وتأدبهم مع سنة النبي ﷺ، ومن ذلك: ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةُ أَحَدِكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلا يَمْنَعْهَا**»[1]، وفي رواية لمسلم: «**فَقَالَ بِلالُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ فَسَبَّهُ سَبّاً سَيِّئاً مَا سَمِعْتُهُ سَبَّهُ مِثْلَهُ قَطُّ وَقَالَ: أُخْبِرُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُ وَاللهِ لَنَمْنَعُهُنَّ**»[2].

وعن أيوب قال: قال عروة لابن عباس: ألا تتقي الله؟ ترخص في المتعة، فقال ابن عباس: سل أمك يا عرية؟ فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلا يفعلا، فقال ابن عباس: والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله، نحدثكم عن النبي ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر وعمر، وفي رواية: أنه قال: أراهم سيهلكون، أقول: قال رسول الله ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمر»[3].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «من يعذرني من معاوية أحدثه عن رسول الله ﷺ ويخبرني برأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها»[4].

قال أبو بكر الآجري رحمه الله: «ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلاً يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء، فعارض إنسان جاهل، فقال: لا أقبل إلا ما كان في كتاب الله عز وجل، قيل له: أنت رجل سوء، وأنت ممن حذرناك النبي ﷺ، وحذر منك العلماء.

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد (٤٨٣٧)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد (٦٦٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد (٦٦٧).

(٣) مختصر جامع بيان العلم وفضله (ص٣٩١).

(٤) المرجع السابق.

وقيل له: يا جاهل إن الله ﷻ أنزل فرائضه جملة، وأمر نبيه ﷺ أن يبين للناس ما أنزل إليه، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فأقام الله عز وجل وعلا نبيه ﷺ مقام البيان عنه، وأمر الخلق بطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأمرهم بالانتهاء عما نهاهم عنه، وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

ثم حذرهم أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ، فقال ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. ثم فرض ﷻ على الخلق طاعته في نيف وثلاثين موضعاً في كتابه.

وقيل لهذا المعارض لسنن الرسول ﷺ: يا جاهل، قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] أين تجد في كتاب الله ﷻ أن الفجر ركعتان، وأن الظهر أربع، وأن العصر أربع، وأن المغرب ثلاث، وأن العشاء أربع؟ وأين تجد أحكام الصلاة ومواقيتها، وما يصلحها وما يبطلها، إلا من سنن النبي ﷺ؟ ومثلها الزكاة، أين تجد في كتاب الله ﷻ من مائتي درهم خمسة دراهم، ومن عشرين ديناراً نصف دينار، ومن أربعين شاة شاة، ومن خمس من الإبل شاة، ومن جميع أحكام الزكاة، أين تجدها في كتاب الله ﷻ؟

وكذلك جميع فرائض الله ﷻ، التي فرضها الله جل وعلا في كتابه، لا يعلم حكم فيها، إلا بسنن الرسول ﷺ. هذا قول علماء المسلمين، من قال غير هذا خرج عن ملة الإسلام، ودخل في ملة الملحدين، نعوذ بالله تعالى من الضلالة بعد الهدى»[1]. وهكذا فهم صحابة النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أنه لا يجوز لأحدٍ أن يخالف أحاديث النبي ﷺ.

بل حذر أئمة الهدى من الأخذ بآرائهم وترك أحاديث النبي ﷺ، فقالوا

(١) الشريعة للآجري (ص٤٩، ٥٠).

جميعاً: إذا رأيتم حديث النبي ﷺ يخالف ما نقول فاضربوا بأقوالنا عرض الحائط وخذوا بحديث النبي ﷺ، وكم كان الواحد منهم يقول القول ثم يبلغه حديث النبي ﷺ فيترك ما يقول ويأخذ بحديث النبي ﷺ.

فمن لم يسعه قول النبي ﷺ وما جاء عن سلف الأمة فلا وسَّع الله عليه.



الاعتصام بالسُنَّة نجاة

ما أحسن هذه العبارة التي قالها الإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ عن مشايخه حيث قال: «كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسُنَّة نجاة»(١). فالاعتصام بالسُنَّة نجاة من الانزلاق في ظلمات الجهل التي تؤول بصاحبها إلى الكفر أحياناً، لذا كانت السُنَّة كسفينة نوح من تمسك بها نجا، ومن أعرض عنها هلك.

فالسُنَّة هي الحصن الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، أمن على نفسه من الكفر والفسوق والعصيان بل أمن على نفسه عذاب الله وسخطه.

والسُنَّة هي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والسُنَّة هي حياة للقلوب، وسعادة للأبدان، فصاحب السُنَّة أشد فرحاً بها لأنها تدله على خالقه ﷻ، فمن عرف السُنَّة حق المعرفة عرف معبوده حق المعرفة، ولذا سُمِّي الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إمام أهل السُنَّة لأنه كانت حركاته وسكناته وفق السُنَّة، فكان لا يقوم إلا بسنة، ولا يمشي إلا بسنة، ولا يأكل إلا بسنة، ولا يشرب إلا بسنة، ولا ينام إلا بسنة، أحب السُنَّة فأحبته، وملئ قلبه بها فملئ الله قلوب الخلق بمحبته.

وقل مثل ذلك في إمام أهل السنة في عصرنا وهو شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ الذي كان ملتزماً بالسنة في كل أحواله، أحب السنة، وعمل بها، فأحبه الخلق وإن يلتقوا به أو يتعلموا على يديه. نسأل الله أن يجعلنا من أهلها إنه سميع قريب.

---

(١) سنن الدارمي (١/ ٤٥).

السُّنَّة ومكانتها في التشريع

من نظر إلى أحوال المسلمين اليوم في تحكيمهم لسُنَّة النبي ﷺ يجد أنهم أقصوها عن كثيرٍ من القضايا الهامة التي يجب التحاكم فيها بالسُنَّة، فالسُّنَّة النبوية بالنسبة للأحكام أصل في التشريع. إذا حكمت بشيء فهي حكم رباني لا يجوز لأحد أن يرده، ولا أن يناقش فيه إذا ثبت وروده عن النبي ﷺ، بل عليه أن يتبعه ويعمل بما يدل عليه، ويهتدي بهديه، ويسترشد بما وجه الناس إليه؛ لأنه رسول من عند الله يبلغ شرعه ويطبقه في أمته، وعلى نفسه، وعلى أسرته في قوله وعمله، فلا يخرج شيء من ذلك عن شرع الله تعالى.

فالحاصل أن السُنَّة جاءت حاكمة في كثير من أصول الشريعة في العبادات، والمعاملات، والحدود، والأخلاق، وغير ذلك.

فإذا نظرنا في جانب العبادات فقد جاءت السُنَّة لتبين صفة الصلاة، وعدد ركعات الفرائض، وما يقال وما يفعل في هذه الصلوات.

وفي الزكاة جاءت السُنَّة لتبيِّن المقادير الواجب إخراجها في كل صنف تجب فيه الزكاة ومتى يخرجها.

وفي الصيام جاءت السُنَّة لتبين ما يفسده وما لا يفسده، وما يجب فيه وما لا يجب.

وفي الحج جاءت ببيان أركانه وواجباته، وما يسن فيه حتى قال ﷺ في شأنه: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»[1]. وهكذا في جميع العبادات.

وفي المعاملات أيضاً جاءت السُنَّة لتبين البيوع وأحكامها؛ فبينت البيوع المحرمة، والبيوع المباحة.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٧/ ١٢٦١).

وهكذا في جميع ما يحتاج إليه المسلم من حياته إلى مماته.

وفي الحدود جاءت السُنَّة لتبين متى يقام الحد، وما هي شروط إقامة الحد، وكيف ينفذ الحد، فانظر مثلاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾.. .[المائدة: ٣٨]، فما هو حد السرقة؟ ونصابها التي يعتبر؟ وكيف تقطع اليد؟ فجاءت السُنَّة تبين أن اليد لا تقطع في أقل من ربع دينار، وأنها لا تقطع من المرفق، ولا الكتف، بل من الرسغ، وقل مثل هذا في الجلد، والرجم، فهناك أحكام كثيرة لم تعرف إلا عن طريق السُنَّة.

إذاً فالسُنَّة لها مكانتها في التشريع الإسلامي، فما بال أقوام ممن ينتسبون إلى الإسلام يقولون: يكفينا كتاب الله نعمل بما جاء فيه بحجة أن السُنَّة دونت بعد وفاته ﷺ بزمن طويل، وقد شابها ودخل فيها الكثير من الزيف، فهؤلاء الطاعنون في السُنَّة هم في الحقيقة أذناب لأعداء الإسلام، وغالباً ما تكون وراءهم أيدٍ خفية تحركهم وتدفعهم إلى هذا الافتراء الذي يقصدون من وراءه تشكيك المسلمين في دينهم، وهدم لبناته لبنة لبنة، فاليوم يهدمون السُنَّة، وغداً يطعنون في القرآن.

إن واجب المسلمين اليوم وبخاصة في هذه الأزمنة المتأخرة التي تجرأ فيها أعداء الإسلام على شخص نبينا الكريم محمد ﷺ، وأصبحوا يستهزؤن به صباح مساء عبر رسومات مسيئة في صحف سيارة، أن يحكموا سنته في جميع شؤون حياتهم، وبالتالي يكونوا قد قاموا بنصرة نبيهم ﷺ، وإلا فما تجرأ أعداء الإسلام على النبي ﷺ إلا بسبب الوهن والضعف في المسلمين، وتركهم كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

كيف تتعرف على صاحب السُنَّة؟

من خلال ما ذكرناه سابقاً يمكن للمسلم أن يعرف من هم أهل السُنَّة.

هناك أمور يتعرف من خلالها على صاحب السُنَّة ومن ليس من أهلها. ومن هذه الأمور:

١ ـ إذا رأيت الرجل متمسكاً بالكتاب والسُنَّة، متعبدا لله بهما، عاضاً على ذلك بالنواجذ فاعلم أنه صاحب سنة.

٢ ـ إذا رأيت الرجل عند التحاكم في شيء ينظر إلى ما جاء في الكتاب والسُنَّة ويرضى بحكمهما فاعلم أنه من أهل السُنَّة.

٣ ـ إذا رأيت الرجل محباً للسُنَّة، ومحباً للمتمسكين بها، مبغضاً لأهل البدع، محارباً لهم فاعلم أنه من أهل السُنَّة.

٤ ـ إذا رأيت الرجل صادقاً في الأقوال والأفعال بالتطبيق الصحيح للكتاب والسُنَّة فاعلم أنه صاحب سُنَّة.

٥ ـ وبالجملة إذا رأيت الرجل مهتدياً بالكتاب والسُنَّة ظاهراً وباطناً فاعلم أنه من أهل السُنَّة. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.



وكل شر في ابتداع من خلف

تمهيد

بيَّنت فيما سبق أهمية السُنَّة ووجوب العمل بها وأنها الأصل الثاني من أصول التشريع، لكن لما كان الصراع بين الحق والباطل قائماً وأخذ الباطل يصد عن الحق بكل ما يملك من قوة ولكن هيهات هيهات، قال الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾ [الأنفال: ٨].

وقال: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [الإسراء: ٨١]. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الرعد: ١٧].

فالزبد هو الباطل وكل ما يحمله، والنافع للناس هو الحق، وهو الوحي الذي نزل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ، ومن الحق الذي جاء به جبريل عليه السلام السُنَّة وما تحمله من خير وصلاح للعبد، بل للأمة بأسرها في الدنيا والآخرة.

والمراد بالباطل الذي جاءت نصوص الكتاب والسُنَّة بالنهي عنه هو كل ما يصد عن الله وعن طريقه ومنه البدعة وذلك لما تحمله في طياتها من شر وفساد على الأمة بأسرها.

وسنتكلم في هذا المبحث على ما هو مختص بالبدعة ليحيى من حيّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، فنقول وبالله التوفيق:

تعريف البدعة:

معناها في اللغة: البدعة في اللغة الحدث في الدين بعد الإكمال؛ أو ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال[١].

أما في الاصطلاح: فقد عرفها أهل العلم بعدة تعريفات، منها: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب أو استحباب»[٢]، وقال أيضاً: «والبدعة ما خالف الكتاب والسُنَّة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات»[٣].

وقال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله»[٤].

فتبين من تعريف البدعة أنها شيء اخترع في الدين لم تأت نصوص الكتاب والسُنَّة وإجماع سلف الأمة بوجوده ولكن قام به المبتدع وجعله ديناً يتعبد إلى الله تعالى به.

أنواع البدع:

النوع الأول: **بدعة قولية اعتقادية**؛ كمقالات الفرق الضالة كالجهمية، والمعتزلة، والرافضة، والخوارج، والحلولية، وغيرهم.

النوع الثاني: **بدعة في العبادات**؛ وهي إما أن تكون بدعة حقيقية، وهي التي ليس لها دليل من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، كأن يتقرب إلى الله تعالى بالرهبانية، ويترك الزواج مع وجود الأسباب الداعية إليه، وفقد المانع، أو بتعذيب النفس بأنواع من العذاب الشنيع، والتمثيل الفظيع على جهة استعجال الموت لنيل الدرجات، وكذلك

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٨/ ٧)، القاموس المحيط للفيروزآبادي (٣/ ٤٠٣)، النهاية لابن الأثير (١/ ١٠٧).

(٢) الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤٢).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/ ٣٤٦).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ٣٦).

إحداث عبادة ليس لها أصل في الشرع، كأن يحدث صلاة غير مشروعة، وذلك بأن يصلي صلاة بركوعين وسجود واحد، أو يصلي الصبح ثلاث ركعات، والمغرب ركعتين، أو يطوف بقبر الميت كالأضرحة، أو يصوم الليل ويفطر النهار، فهذه بدعة حقيقية لأنها لا دليل عليها من الشرع، ومنها أيضاً جعل أعياد لم يرد به الشرع كعيد الحب، وعيد الأم، والمولد النبوي، وغير ذلك من الأعياد التي لم يرد بها دليل، كل ذلك بدعة حقيقية لا دليل عليها إطلاقاً.

النوع الثالث: البدعة الإضافية؛ وهي التي لها من جهة المعنى أصل قائم، أما من جهة الكيفية والأحوال والتفاصيل فلم يقم عليها دليل مع أنها محتاجة إليه ومثل ذلك ما يكون في صفة أداء العبادة بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، ومن أمثلة ذلك:

١ ـ الصلاة والسلام على النبي ﷺ عقب الأذان مع رفع الصوت بها في مكبرات الصوت، وجعلها من ألفاظ الأذان، فإن الصلاة والسلام على النبي ﷺ مشروعتان باعتبار ذاتها، ولكنها بدعة باعتبار ما عرض لها من الجهر، وجعلها بمنزلة ألفاظ الأذان.

٢ ـ التأذين للعيدين والكسوفين، فالأذان باعتبار أنه قربة مشروع، وباعتبار كونه للعيدين والكسوفين فإنه يكون بدعة.

٣ ـ الاستغفار عقب الصلاة جماعة، وكذا الإتيان بالأذكار بعد الصلوات على هيئة الاجتماع ورفع الصوت بذلك فهذا أيضاً بدعة.

٤ ـ تخصيص يوم لم يخصه الشارع بصوم، أو ليلة لم يخصها الشارع بقيام، فالصوم في ذاته مشروع، وتخصيصه بيوم مخصوص لم يخصه الشارع به بدعة، ومثال ذلك: تخصيص النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام.

خطورة البدع:

قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، لما كانت البدعة تعد تشريعاً جديداً في الدين كان خطرها على المبتدع وعلى الأمة عظيماً، ومن خطورتها ما يلي:

١ ـ عمل المبتدع مردود؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**(١).

٢ ـ التوبة عنه محجوبة ما دام مصراً على معصيته؛ لذلك يُخشى عليه من سوء الخاتمة، قال ﷺ: «**إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته**»(٢).

٣ ـ لا يرد الحوض ولا يحظى بشفاعة النبي ﷺ؛ قال ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(٣)، وفي رواية: «**إِنَّهُمْ مِنِّي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**»(٤).

٤ ـ عليه إثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة؛ قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥]، وقال ﷺ: «**وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(٥).

٥ ـ أن صاحب البدعة مستحق للَّعنة؛ قال ﷺ: «**فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثاً أَوْ آوَى مُحْدِثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٦).

٦ ـ البدعة قول على الله بغير علم؛ إن البدعة في حقيقتها قول على الله

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٥٥).

(٢) رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، بلفظ: «أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة»، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٣٨٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ١٥٤) رقم (١٦٢٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب الحوض (٦٠٩٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفته (٤٢٥٠).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ (٦٥٢٨).

(٥) سبق تخريجه (ص١٣٨٠).

(٦) رواه مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها (٢٤٣٣).

بغير علم، وكذب على الله ﷻ وعلى رسوله ﷺ، وهذا من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، بل هي أعظم من الشرك بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]. ففي هذه الآية بدأ النهي الإلٰهي عن هذه الأمور المذكورة من الأدنى إلى الأعلى، فكان القول على الله بغير علم هو من أعلى درجات المنهيات لأنه بمثابة التشريع، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأما القول على الله بلا علم فهو أشد المحرمات تحريماً وأعظمها إثماً، فإنه يتضمن الكذب على الله ونسبته إلى ما يليق به، وتغيير دينه، وتبديله، ونفي ما أثبته، وإثبات ما نفاه...»، إلى أن قال رحمه الله: «فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم، ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد»[1].

٧ ـ الابتداع اتهام لمقام النبوة؛ قال الإمام مالك رحمه الله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.. [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً»[2].

إن المبتدع بلسان حاله يتهم الرسول ﷺ بالخيانة في أداء الأمانة والرسالة لأنه يُحدث في العبادات، والاعتقادات، والأقوال، والأعمال ما لم يعتقد أنه قربة إلى الله تعالى، ولو كان كذلك لأخبرنا به النبي ﷺ لأنه ما ترك خيراً إلا دلنا عليه، ولا شراً إلا حذرنا منه.

٨ ـ البدعة اتهام لمقام الصحابة؛ فالمبتدع لا يكتفي بكذبه على الله تعالى

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٧٢).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٨).

ورسوله ﷺ، بل يتطاول على الصحب الكرام وذلك من وجوه عديدة منها:

* أنه ببدعته تلك يستلزم تجهيله للصحابة الكرام، واتهامهم بالغفلة لأنه استدرك أمراً غفلوا عنه وجهلوه.

* أنه ببدعته تلك يعتقد أنه أفضل من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وهو بالتالي يصادم النصوص الصريحة التي تفضلهم على غيرهم، قال ﷺ: **«خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** قَالَ: عِمْرَانُ فَلا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاثاً **ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْماً يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ»**[(١)]، وقال ﷺ: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»**[(٢)].

٩ ـ المبتدع ببدعته يضاد الشريعة؛ إن البدع في الحقيقة مضاهاة للشريعة، ومتهمة لها، إذ هي استدراك على الشرع بالزيادة أو النقصان، أو تغيير للأصل الصحيح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «البدعة أحب إلى الشيطان لمناقضتها الدين، ودفعها لما بعث الله به رسوله ﷺ...»[(٣)].

١٠ ـ البدعة فساد في الدين والقلب؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الشرائع أغذية القلوب، فمتى غُذيت القلوب بالبدع لم يبق فيها فضل للسنن، فتكون بمنزلة من اغتذى بالطعام الخبيث»[(٤)].

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «صاحب البدعة لا تأمنه على دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إلى صاحب بدعة أورثه الله العمى في قلبه»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٣٧٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله عنهم (٤٦٠٣).

(٢) سبق تخريجه (ص١٤٤٨).

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٢٢٣).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٠٧).

(٥) الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٥٩).

١١ ـ البدعة شر من المعصية؛ المذنب ضرره على نفسه، أما المبتدع فضرره على نفسه وعلى غيره، وفتنة المبتدع في أصل الدين، بخلاف المذنب ففتنته في الشهوة، والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصدهم عنه، والمذنب ليس كذلك، والمبتدع قادح في الرب وكماله والمذنب ليس كذلك، والمبتدع مناقض لما جاء عن الرسول ﷺ، والعاصي ليس كذلك، والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاص ليس كذلك. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «أئمة البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب، ولهذا أمر النبي ﷺ بقتل الخوارج، ونهى عن قتال الولاة الظلمة»[١].

١٢ ـ البدعة طريق التفرق والاختلاف المذموم؛ إذا نظرنا إلى ما هو حاصل في الأمة اليوم من اختلاف على مستوى الأفراد والمجتماعات إنما هو ناشىء عن البدع التي أدت بهم إلى هذا الطريق المذموم، طريق التفرق والاختلاف، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾... [الأنعام: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.. .[الأنعام: ١٥٣]، فالصراط المستقيم هو القرآن، والإسلام، والفطرة، والسبل هي البدع، قال مجاهد: السبل: البدع، والشبهات[٢]. ومن نتيجة هذه البدع ما نراه الآن من استحلال الأمة دماء بعضها بعضاً، قال أبو قلابة: «ما ابتدع الرجل بدعة إلا استحل السيف»[٣].

متى وأين ظهرت البدع؟

أجاب عن هذا السؤال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافاً كثيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا**

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٢٨٤).
(٢) تفسير الطبري (٨/ ٨٨).
(٣) الشريعة للآجري (ص٦٢).

بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»(١).

وأول بدعة ظهرت بدعة القدر، وبدعة الإرجاء، وبدعة التشيع والخوارج، هذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون، وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحدثت الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف، وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهكذا كلما تأخر الوقت زادت البدع وتنوعت.

وعن أماكن ظهورها:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب النبي ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحَرَمَانِ، والعِرَاقَانِ، والشام، ومنها خرج القرآن والحديث، والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار بدع أصولها غير المدينة النبوية، فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر، والاعتزال، والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، أما التجهم فإنما ظهر في ناحية خراسان وهو شر البدع، وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ظهرت بدعة الحرورية، وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور البدع وإن كان بها من هو مضمر لذلك فكان عندهم مهاناً مذموماً ما إذا كان بها قوم من القدرية وغيرهم، ولكن كانوا مقهورين ذليلين، بخلاف التشيع والإرجاء بالكوفة، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنصب بالشام، فإنه كان ظاهراً، وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال في المدينة: «**لا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ**»(٢)، ولم يزل العلم

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في المشكاة (ج١ رقم ١٦٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب لا يدخل المدينة الدجال (١٧٤٦).

والإيمان بها ظاهراً إلى زمن أصحاب مالك، وهو من أهل القرن الرابع، فأما العصور الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة بدعة ظاهرة البتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة كما خرج من سائر الأمصار»[1].

أسباب البدع:

ذكر الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أسباباً كثيرة كانت سبباً في ظهور البدع وانتشارها، سنذكرها مجملة مخافة الإطالة، ومن هذه الأسباب:

١ ـ الجهل فهو أعظم آفة.

٢ ـ اتباع الهوى.

٣ ـ التعلق بالشبهات.

٤ ـ الاعتماد على الفعل المجرد دون الرجوع إلى نصوص الكتاب والسُنَّة.

٥ ـ التقليد والتعصب، فإن أكثر أهل البدع يقلدون آباءهم ومشايخهم ويتعصبون لمذهبهم.

٦ ـ مخالطة أهل الشر ومجالستهم، ولذا حذر السلف من مجالسة أهل الشر من أصحاب الأهواء.

٧ ـ سكوت العلماء وكتم العلم.

٨ ـ الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٩ ـ الغلو وهذا من أعظم أسباب انتشار البدع فبه قام الشرك منذ عهد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى وقتنا هذا.

دلالة القرآن على التحذير من البدع:

لقد حذر الله عباده من الإحداث في الدين بعد أن أكمله لهم فقال تعالى في بيان كمال دينه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٠/ ٣٠٠).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «هذه أكبر نعم الله على هذه الأمة حيث أكمل الله تعالى دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحل الله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق لا كذب فيه ولا خلف»[١].

وقال أيضاً: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: «فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السُنَّة، والسُبل هي سبيل أهل الاختلاف الجائرين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع».

وقال أيضاً: «فهذه الآية تشمل النهي عن جميع طرق أهل البدع».

وقال في قوله تعالى: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩]، هؤلاء هم أصحاب الأهواء والضلالات والبدع من هذه الأمة»[٢].

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾. [الشورى: ٢١].

دلالة السُنَّة على التحذير من البدع:

أما السُنَّة فقد جاءت نصوصها صريحة في ذلك نذكر طرفاً منها.

حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**[٣]، وفي رواية لمسلم: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**[٤].

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٦) دار طيبة، تحقيق سامي محمد سلامة.
(٢) الاعتصام للشاطبي (١/١٢٣).
(٣) سبق تخريجه (ص١٣٧٩).
(٤) سبق تخريجه (ص١٣٧٩).

قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم: «قال أهل العربية: إن الرد هنا بمعنى المردود، ومعناه باطل غير معتد به».

وقال: «وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات».

وقال أيضاً: «وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به»[١].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده، فإن معناه من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: **«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ...»**[٣].

وفي رواية النسائي: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَقُولُ: **مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلا هَادِيَ لَهُ إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ وَكُلُّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ»**[٤].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»**[٥].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ١٥٠).
(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٩).
(٣) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (١٤٣٥).
(٤) رواه النسائي، وصححه الألباني في سنن النسائي (٣/ ١٨٨) رقم (١٥٧٨).
(٥) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة (١٦٩١).

قال صاحب تحفة الأحوذي: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» أي: أتى بطريقة مرضية يشهد لها أصل من أصول الدين، «**ومن سن سنة سيئة**»، وفي رواية: «**ومن سن في الإسلام سنة سيئة**» أي: طريقة غير مرضية لا يشهد لها أصل من أصول الدين»[١].

والأحاديث كثيرة جداً في النهي عن البدع، وما ذكرناه فيه كفاية ولله الحمد.

ذكر أقوال السلف في التحذير من البدع:

أما ما جاء عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن تبعهم في النهي عن الإحداث في الدين والأمر باتباع سيد المرسلين ﷺ فهو كثير، ومن ذلك:

ما قاله أبو بكر رضي الله عنه، فقد قال: «أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوّموني»[٢].

وقال عمر رضي الله عنه: «إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا»[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «حُدِّثَ أن ناساً يسبحون بالحصى في المسجد، فأتاهم وقد كوّم كل رجل منهم كومة من حصى، فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد وهو يقول: لقد أحدثتم بدعة ظلماء أو لقد فضلتم أصحاب رسول الله ﷺ علماء، اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، كل بدعة ضلالة»[٤]. وما ذكر عنه رضي الله عنه في مقام شدته على أهل البدع فهو كثير.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه أخذ حجرين، فوضع أحدهما على الآخر، ثم قال لأصحابه: «هل ترون ما بين هذين الحجرين من نور، قالوا يا أبا عبد الله: ما نرى بينهما من النور إلا قليلاً، قال: والذي نفسي بيده لتظهرن

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٣٨).
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٢١١).
(٣) البدع لابن وضاح (ص١٨).
(٤) المرجع السابق (ص١٨).

البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما ترون ما بين هذين الحجرين من النور، والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا: تركت سنة»[(١)].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «فإياكم وما يبتدع فإن ما ابتدع ضلالة»[(٢)].

وقال عثمان بن حاضر: «دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت أوصني: فقال، نعم: عليك بتقوى الله، والاستقامة، اتبع ولا تبتدع»[(٣)].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «أما بعد: فأوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته...»[(٤)].

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: «ما أحدث أحد في العلم شيئاً إلا سئل عنه يوم القيامة، فإن وافق السنة سلم وإلا فلا»[(٥)].

وها هم أئمة الهدى ـ رحمهم الله ـ بعد صحابة النبي ﷺ يحثون على التمسك بالسُنَّة ويحذرون من الركون إلى البدعة:

قال الإمام مالك رحمه الله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً»[(٦)].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «حُكمي في أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويُحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جَزاءُ من ترك الكتاب والسُنَّة وأخذ في الكلام»[(٧)].

---

(١) المرجع السابق (ص٦٥).
(٢) رواه أبو داود (٤٦١١).
(٣) سنن الدارمي (١٤١).
(٤) سبق تخريجه (ص١٤٣٥).
(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٣/ ٢٩٠).
(٦) الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٩).
(٧) أبو نعيم في الحلية (٩/ ١١٦)، تلبيس إبليس لابن الجوزي (ص٨٢).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصول السُّنَّة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدل والخصومات في الدين»[1].

ذكر أدلة أهل البدع والرد عليها:

يستدل أصحاب البدع ومحسنيها بشبه نوردها جملة ثم نرد عليها تفصيلاً:

١ ـ رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ.

٢ ـ ما جاء في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ...**»[2].

٣ ـ ما جاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**نِعْمَتِ الْبِدْعَةِ هَذِه...**»[3].

٤ ـ أذان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الأول يوم الجمعة، وذلك أنه لم يكن في زمان الرسول ﷺ.

فهذه جملة من أدلة محسني البدع، وللرد عليها نقول وبالله التوفيق:

١ ـ احتجاجهم بأثر «ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء» نقول: هذا الأثر لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ، قال ابن نجيم: «قال العلائي: ولم أجده مرفوعاً في شيء من كتب الحديث أصلاً ولا بسند ضعيف بعد طول بحث وكثرة الكشف والسؤال، وإنما

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة للالكائي (١/١٥٦)، طبقات الحنابلة (١/٣١١).

(٢) سبق تخريجه (ص١٣٨٠).

(٣) رواه مالك في الموطأ (١/٣٤٠).

هو من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه»[١].

وقال العجلوني[٢] في كشف الخفاء نقلاً عن الحافظ ابن عبد الهادي: إسناده ساقط، والأصح وقفه على ابن مسعود.

وقال السخاوي[٣] في المقاصد الحسنة: «هو موقوف حسن».

وقال العلامة الألباني[٤]: «لا أصل له مرفوعاً، وإنما ورد موقوفاً على ابن مسعود».

فهذه جملة من كلام أهل العلم على هذا الحديث، وما دام أنه ثبت موقوفاً فسنورد كلام ابن مسعود كاملاً ثم نبين مراده رضي الله عنه.

قال رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العباد فاختار محمداً، فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحاباً، فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ»[٥]. فهذا هو الأثر بتمامه رواه أحمد.

وللإجابة عليه نقول: «أل» في كلمة المسلمون إما أن تكون لمطلق الجنس، وإما أن تكون للعهد، أو تكون للاستغراق، فهذه ثلاث حالات تحتملها «أل» في هذا الأثر.

فإن قلنا بأنها لمطلق الجنس فهذا مناقض لقوله ﷺ: **«ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة»**، والمراد بالأمة هنا أمة الإجابة، وعلى كلام ابن مسعود رضي الله عنه يلزم أن لا تحصل هذه الفرق، بل لا يلزم أن تكون هناك فرقة في النار.

وكذلك بعض المسلمين يرى شيئاً حسناً وبعضهم يراه قبيحاً، فيلزم أن

(١) الأشباه والنظائر لابن نجيم (١/ ١٦٤).
(٢) كشف الخفاء للعجلوني (٢/ ٢٦٣).
(٣) المقاصد الحسنة للسخاوي (١/ ١٩٦).
(٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (٢/ ٦٧).
(٥) رواه أحمد (١/ ٣٧٩)، والطيالسي (ص٢٣).

لا يتميز الحسن من القبيح، كما هو الحال في أكثر البدع وذلك لاختلاف العقول والأهواء والآراء، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون «الألف واللام» في المسلمين لمطلق الجنس لأنه يناقض الحديث الصحيح «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة**»، ووجه المناقضة كما ذكرنا أن الأثر الأول يفيد أن كل مسلم لا يخطئ لأنه يرى أن ما ذهب إليه حسن، فلا يكون في النار، وحديث الافتراق نقيض ذلك.

أما كونها للاستغراق أي: عموم المسلمين، فيدخل في ذلك أهل الاجتهاد، والمقلدة، وهذا لا يمكن لأن تعريف الإجماع هو إجماع أهل العلم.

إذاً فما المراد هنا «بالألف واللام»؟ نقول: إما أن تكون لنوع خاص من المسلمين، وهم الصحابة ﷺ فقط، وعليه فالمراد بهذا الأثر إجماع الصحابة واتفاقهم على أمر، ويدل على ذلك سياق الأثر «..ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد..».

وأيضاً هذا الأثر رواه الحاكم في المستدرك وفيه زيادة، وهي: «.. وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه».

وأما أن تكون لاستغراق خصائص الجنس، فيراد بالمسلمين أهل الاجتهاد الذين هم الكاملون في صفة الإسلام، والمراد به الإجماع، والإجماع حجة لا شك فيخرج من ذلك أهل التقليد، وإذا نظرنا إلى الإجماع نجده يحرم جميع البدع في الدين كما ذكرنا طرفاً من أقوال أهل العلم في ذلك. ثم نقول: كيف نؤول هذا الأثر لتحسين البدع، وقد كان ابن مسعود من أشد الناس عداوة للبدع وأهلها كما ذكرنا طرفاً من أقواله رضي الله عنه.

والخلاصة أن الأثر المراد به جميع المجتهدين فيكون إشارة إلى الإجماع أو خصوص الصحابة كما بينا ذلك.

٢ ـ احتجاجهم بقوله ﷺ: **«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها...»**[(١)]:

وجه الاحتجاج بهذا الحديث عند محسني البدع أن النبي ﷺ نسب الاستنان إلى المكلف ولو كان المراد به من عمل سنة ثابتة في الشرع لما قال **«من سن»**، وإنما يقول «من أحيا، أو من عمل» ويؤيد هذا القول قوله ﷺ: **«لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْماً إلا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»**[(٢)]، فَسَنَّ هنا بمعنى اخترع.

والجواب عن هذا الاستدلال نقول: من نظر إلى أصل الحديث ظهر له المراد من قوله ﷺ: **«من سن في الإسلام سنة حسنة...»** الحديث. فنذكر هنا الحديث بتمامه:

روى مسلم في صحيحه عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَا رَأى بِهِمْ مِنْ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلالاً فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، والآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٨٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (٣٠٨٨)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (٣١٧٧).

رَسُولُ اللهِ ﷺ: **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(١).

فدل الحديث على أن السُنَّة هنا هي مثل ما فعل الصحابي حيث أتى بتلك الصرة، فانفتح بسببه باب الصدقة على الوجه الأبلغ، والصدقة مشروعة بالاتفاق، فظهر أن المراد منه: «**مَنْ عَمِلَ**» وليس معناه «من اخترع» سنة لم تكن ثابتة.

وهناك وجه آخر في الرد على هذا الاستدلال وهو كون السُنَّة حسنة أو سيئة لا يعرف إلا من جهة الشرع؛ لأن التحسين والتقبيح مختص بالشرع لا مدخل للعقل فيه، وهذا مذهب أهل السُنَّة والجماعة، وإنما يقول بالتحسين والتقبيح المبتدعة، فلزم أن تكون السُنَّة في الحديث، أما حسنة في الشرع وإما قبيحة، فلا يصدق إلا على الصدقة المذكورة وغيرها من السنن المشروعة التي قد أميتت.

ثم متى كانت الزيادة في الدين أمراً حسناً، ومن المعلوم أن الدين ينهى عن الاختراع والابتداع فيه، فالعبادات لا يجوز لأحد إطلاقاً أن يزيد فيها شيئاً ولا يبدل كنيتها ونحو ذلك مما جاء به الشرع.

أما الأمور الدنيوية المعيشية فباب الابتداع والاختراع فيها واسع ما دامت تخدم البشر بشرط المحافظة على الأصول العامة، وأن يكون أساس الاختراع درء المفاسد وجلب المصالح، وإقامة العدل، وإماطة الظلم، ورد المظالم إلى أهلها.

٣ ـ احتجاجهم بقول عمر رضي الله عنه «نِعْمَتِ الْبِدْعَةِ هَذِه»(٢):

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٨٠).

(٢) سبق تخريجه (ص١٤٧٦).

والرد عليهم أن هذا من جنس ما قبله، فإن صلاة القيام كانت مشروعة، فقد صلاها النبي ﷺ ثلاث ليال بالصحابة ثم تركها، وصلى في بيته منفرداً مخافة أن تفرض على أمته، فيعجزوا عنها، فلما توفي الرسول ﷺ، وانقطع الوحي علم بالاضطرار أن ما خشيه ﷺ في حياته أصبح آمناً بعد موته، وذلك بانقطاع الوحي، فلما رأى عمر رضي الله عنه أن الناس يصلون متفرقين جمعهم على إمام واحد يصلي بهم، فلما رأى الأمر وأعجبه قال هذه المقالة: «نعمت البدعة هذه»، فلم يخترع عمر رضي الله عنه أمراً جديداً وإنما أحيا سنة من سنن النبي ﷺ.

٤ ـ احتجاجهم بفعل عثمان رضي الله عنه:

نقول إن الأذان الذي زاده عثمان لم يخرج به عن مقصود الشارع منه؛ إذ الأذان بالصلاة هو الإعلام بها بالألفاظ المخصوصة بدون زيادة ولا نقص، فالذي يأتي بألفاظ لم ترد عن النبي ﷺ كزيادة الصلاة خير من العمل، أو أشهد أن علياً ولي الله، وغير ذلك من الألفاظ التي لم ترد في الأذان، أو يضع الأذان في موضع يخرجه عن المقصود منه من الإعلام هو المبتدع.

أما الذي يحافظ على الأذان بألفاظه ولا يخرج به عن الإعلام فلا شيء عليه، وهذا هو ما فعله عثمان رضي الله عنه حيث زاد يوم الجمعة الأذان الأول حينما كثُرَ الناس، وقل تبكيرهم إلى المسجد لعدم سماعهم الأذان الذي كان عند جلوس الإمام على المنبر.

فقد روى البخاري عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «كَانَ النِّدَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ عَلَى الْمِنْبَرِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه وَكَثُرَ النَّاسُ زَادَ النِّدَاءَ الثَّالِثَ عَلَى الزَّوْرَاءِ»[1]، ولم يكن للنبي ﷺ مُؤَذِّنٌ غَيْرَ وَاحِدٍ، فثبت الأمر على ذلك.

ثم نقول أيضاً أن عثمان رضي الله عنه فعل ذلك بمحضر من جميع الصحابة ولم ينكروا عليه فصار الأمر إجماعاً.

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان يوم الجمعة (٨٦١).

ونقول أيضاً بأن عثمان ﷺ من الخلفاء الراشدين الذين أمرنا النبي ﷺ أن نأخذ بسنتهم حيث قال: «**وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...**» فلا حاجة إذاً لمن حسَّن البدع واحتج بهذه الأدلة.

وبهذا يعلم أن من قسَّم البدعة إلى حسنة أو سيئة فهو مخطأٌ ضال مضل لأن النبي ﷺ جعل الابتداع في الدين ضلالاً، فقال «**وكل بدعة ضلالة**» فحكم على البدع كلها بأنها ضلال.

فهذه نصوص الكتاب والسُنَّة وأقوال الصحابة ومن بعدهم مليئة بالنهي عن الابتداع في دين الله والنهي عن سلوك أهل الأهواء الذين جاءوا ببدع من تلقاء أنفسهم فتعبدوا إلى الله بها ودعوا الناس إلى التعبد بها وكل هذا ضلال وكفر.

وليعلم هؤلاء المبتدعون أنهم أعظموا على الله الفرية بعملهم هذا فالمبتدع مشرع والتشريع حق لله تعالى. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

ما يعامل به المبتدعة:

قال شيخنا الشيخ صالح الفوزان ـ حفظه الله ـ: «تحرم زيارة المبتدع ومجالسته إلا على وجه النصيحة له والإنكار عليه؛ لأن مخالطته شر، وتنشر عدواه إلى غيره، ويجب التحذير منهم ومن شرهم إذا لم يمكن الأخذ على أيديهم ومنعهم من مزاولة البدع، وإلا فإنه يجب على علماء المسلمين وولاة أمورهم منع البدع والأخذ على أيدي المبتدعة، وردعهم عن شرهم لأن خطرهم على الإسلام شديد، ثم إنه يجب أن يعلم أن دول الكفر تشجع المبتدعة على نشر بدعهم، وتساعدهم على ذلك بشتى الطرق؛ لأن في ذلك القضاء على الإسلام وتشويه صورته»[1].

قلت: وقد جاء عن السلف ـ رضوان الله عليهم ـ التحذير من الجلوس مع أهل البدع، وخلطتهم، والمشي معهم ونذكر طرفاً من ذلك:

---

(١) انظر في ذلك: رسالة البدعة (ص٣٣، ٣٤).

عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك».

وعن سفيان الثوري قال: «من جالس صاحب بدعة لم يسلم من ثلاث: إما أن يكون فتنة لغيره، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله الله النار، وإما أن يقول: والله ما أبالي ما تكلموا وإني واثق بنفسي فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه».

وقال يحيى بن كثير: «إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر».

وقال أبو قلابة: «لا تجالسوا أهل الأهواء، ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون، وقال أيوب: وكان والله من الفقهاء أولي الألباب».

وعن أيوب قال: «لقيني سعيد بن جبير فقال: ألم أرك مع طلق؟ قلت: بلى، فما له؟ قال: لا تجالسه، فإنه مرجئي، قال أيوب: وما شاورته في ذلك ولكن يحق للرجل المسلم إذا رأى من صاحبه شيئاً يكرهه أن ينصحه»[(١)].

والآثار التي جاءت عن السلف في ذلك كثيرة نكتفي فيها بما ذكرناه.

شروط وضوابط هجر المبتدع:

من الأمور التي قررتها شريعة الإسلام هجر من ابتدع في دين الله تعالى، وهذا الهجر ديانة لله تعالى، فهو عبادة يتعبد بها المسلم الذي يغار على دينه ويدعو للتمسك به، وهذا الهجر له شروطه وضوابطه الشرعية، ومن ذلك:

١ ـ الإخلاص: وهو ميزان الأعمال في باطنها.

٢ ـ المتابعة: وهو ميزان الأعمال في ظاهرها.

فلا بد أن يكون الهجر خالصاً صواباً، فالهجر لهوى النفس ينقص الإخلاص، والهجر على خلاف الأمر ينقص المتابعة.

---

(١) انظر هذه الآثار وغيرها في: كتاب البدع لابن وضاح.

صفة هجر المبتدع:

الأصل في المبتدع هو الإعراض عنه بالكلية، والبراءة منه، ومن مفردات هذا الإعراض:

عدم مجالسته ـ الابتعاد عن مجاورته ـ ترك توقيره ـ ترك مكالمته ـ ترك السلام عليه ـ ترك التسمية له ـ عدم بسط الوجه له ـ عدم سماع كلامه وقراءته ـ عدم مشاورته.

وهكذا من الصفات التي ينادى بها الزجر بالهجر، وتحصل مقاصد الشرع[١].

سبل الوقاية من البدع:

روى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من تصبَّح بسبع تمرات من تمر المدينة لم يصبه سم ولا سحر**»[٢].

فهذا الحديث فيه توجيه نبوي كريم إلى الأخذ بالوسائل التي تقي المسلم من الأمور التي تسبب له الضرر في دنياه، فإذا كان هذا في أمور الدنيا ففي أمور الدين من باب أولى، فلا بد من الأخذ بالوسائل التي نحصن بها الدين من هذه البدع التي توهنه وتضعفه في نفوس حامليه. وهناك وسائل يمكن من خلالها أن تقي هذا الدين من البدع والخرافات التي تدخل عليه، ومن ذلك:

١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فهي سفينة النجاة لأمة الإسلام، فمتى ظهرت البدع فإنه يلزم أهل المعرفة بها أن ينهوا الناس عنها، ويحذرونهم من الوقوع أو التلبث بها وذلك لخطورتها.

٢ ـ نشر السُنَّة والتعريف بها على نطاق واسع: قال ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ**

---

(١) انظر في ذلك: رسالة هجر المبتدع للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله (ص١٤ ـ ١٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب فضل تمر المدينة (٣٨١٤).

مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ»[١]. وقال أيضاً: «**أَلا لِيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ**»[٢]، وقال: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ**»[٣].

فهذه الأحاديث كلها وما جاء في معناها تحث المسلم على إظهار السُنَّة وإبلاغها لمن يجهلها وذلك ليتعبد بها ولتكون أداة لحاملها في مواجهة أضرار وأخطار البدع.

٣ ـ تطبيق السُنَّة في سلوك الفرد والمجتمع، أو الربط بين السُنَّة كمبادىء وتعاليم وبين العمل بهذه المبادىء والاسترشاد بما ترشد إليه في كل مجالات الحياة وهذا من أعظم أبواب نصرة رسول الله ﷺ، فإذا ما قام الفرد والمجتمع بهذه الأمور صارت البدعة نشازاً في المجتمع بارزة بملامحها الشنيعة ومظهرها المظلم.

٤ ـ القضاء على أسباب البدع التي تم ذكرها سابقاً ويكون ذلك بما يلي:

أ ـ عدم قبول الاجتهاد ممن ليس أهلاً له، ورد الاجتهاد غير المقبول.

ب ـ الرد على ما يوجه إلى الدين من حملات ظاهرة أو خفية على أساس من العلم الديني وكشف مظاهر الابتداع، وتسليط الضوء عليها من القرآن والسُنَّة لمنعها من التغلغل والانتشار.

ج ـ نبذ التعصب لرأي من الآراء أو اجتهاد من الاجتهادات، والاهتمام بالوصول إلى الحق من أي طريق.

د ـ الاحتراز من كل خروج من حدود السُنَّة مهما قل أثره أو صغر أمره، والتحرز في الحكم على الأشخاص بالتبديع أو التفسيق أو التكفير لما

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٣٢٠٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع (٤٠٥٤)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال (٣١٧٩).

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٣١٧٩).

يثيره من تعصب باطل وتفريق للأمة، والتسامح لما استند إلى دليل معتمد، وكان مجالاً للأدلة المحتملة، والأخذ بما ترجح في نظر المجتهد.

هـ ـ منع العامة من القول في الدين، وعدم اعتبار آرائهم مهما كانت مناصبهم فيه.

و ـ صد تيارات الفكر العقائدي المثبطة للهمم المربكة للعقول والتي لا حاجة للمسلم بها.

هذه جملة من الوسائل التي من خلالها نستطيع حفظ ديننا الحنيف من الإحداث فيه، وبها نختم هذه الرسالة التي نرجو من الله تعالى أن ينفع بها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



كتاب

حقيقة التوسل بالنبي ﷺ

شبهات وردود



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في محكم التنزيل على لسان نبيه الصادق الأمين: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسول رب العالمين القائل في سنته: **«لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه»**[1]، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه رسالة لطيفة في بيان حقيقة التوسل بالنبي ﷺ، وهي عبارة عن شبهات وردود مما احتج به المبتدعة ممن يجيز التوسل بالنبي ﷺ، نوضح في مقدمتها معنى التوسل والوسيلة، وأنواع التوسل المشروع والممنوع ثم نذكر الشبه التي تعلق بها أهل البدع ممن يجيز التوسل بالنبي ﷺ، ثم نقوم بالرد عليها بالأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

نسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا وعلى من ابتلي بذلك بالهداية والتوفيق، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح إنه سميع قريب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتبه أبو محمد

أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار

ص.ب: ١٨٨ ـ الزلفي: ١١٩٣٢

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾ (٣١٨٩).

معنى الوسيلة

التوسل: الذي جاءت به نصوص كتابنا العزيز، وفي كلام نبينا محمد ﷺ، وهو كذلك عند علماء اللغة والمحدثين والمفسرين، **معناه**: التقرب إلى الله تعالى بما شرعه على لسان نبينا محمد ﷺ.

قال في القاموس المحيط: «الوسيلة»، والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة، ووسل إلى الله تعالى توسيلاً، عمل عملاً يتقرب به إليه.

قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة: ٣٥]. قال: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه، والوسيلة: هي الفعيلة من قول القائل: توسلت إلى فلان بكذا، بمعنى تقربت إليه، ومنه قول عنترة:

إنَّ الـرِّجَالَ لَـهُـمْ إِلَـيْـكِ وَسِيـلَـةٌ ... إِنْ يَأْخُذُوكِ، تكَحَّلِي وتَخَضَّبي

يعني بالوسيلة القربة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[١].

فحاصل ما ذكره رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الوسيلة هي: «التقرب إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه».

وبذلك يمكننا أن نحدد معنى الوسيلة في الشرع فنقول: «قربة مشروعة توصل إلى مرغوب فيه، والتوسل هو التقرب إلى الله بتلك القربة، وتوسل الداعي هو طلبه المبني عل تلك القربة، وليس في الشرع مطلوب ومدعو إلا الله، وليس فيه من قربة إلا ما شرعه في الكتاب والسنة».



(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٩٠).

معنى التوسل بالنبي ﷺ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وحينئذ فلفظ التوسل له معنيان صحيحان باتفاق المسلمين، ويراد به معنى ثالث لم ترد به سنة، فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام، وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته، والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم، فهذان جائزان بإجماع المسلمين».

ومن هذا قول عمر بن الخطاب: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، أي: بدعائه وشفاعته، وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾؛ أي: القربة إليه بطاعته. وطاعة رسوله طاعته، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. فهذا التوسل الأول هو أصل الدين، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

وأما التوسل بدعائه وشفاعته كما قال عمر فإنه توسل بدعائه لا بذاته؛ ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالعباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس، علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة له فإنه مشروع دائماً.

فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

* **أحدها**: التوسل بطاعته، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

* **والثاني**: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

* **والثالث**: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته، والسؤال بذاته،

فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة»[١].



(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/ ٧٢).

أنواع التوسل

التوسل من حيث قسمه ينقسم إلى قسمين:

الأول: توسل مشروع.

الثاني: توسل غير مشروع.

أولاً: التوسل المشروع:

تعريف التوسل المشروع: هو كل توسل ندب إليه الشارع وحث عليه، وبينه لنا نبينا ﷺ؛ أي: ما كان موافقاً لما شرع الله من التقرب إليه بالطاعات والأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها.

أنواع التوسل المشروع:

ينقسم التوسل المشروع إلى أربعة أنواع:

الأول: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته:

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وروى الترمذي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ سَمِعَ رَجُلاً وَهُوَ يَقُولُ: يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، فَقَالَ: **قَدْ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ**»[1].

ومن الأمثلة على هذا النوع:

ما رواه أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الْمَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ... فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:**

(١) رواه الترمذي، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (ج١ رقم ١٠١٨).

أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟ قَالَ: فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(١).

ومن الأمثلة أيضاً ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل قال: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»(٢).

ومن ذلك أيضاً قول النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه حينما طلب منه أن يعلمه دعاء يدعو به في صلاته، قال: «**قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٣).

ومن الأمثلة على التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته قوله ﷺ: «**اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي**»(٤).

فهذا توسل لله تعالى بصفة من صفاته وهي العلم والقدرة.

الثاني: التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به:

من أنواع التوسل المشروع أن يتوسل العبد إلى ربه بالإيمان الصحيح الصادق دليل ذلك ما حكاه الله تعالى عن أولي الألباب في دعائهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وصححه الألباني في سنن النسائي (٣/ ٥٢) رقم (١٣٠٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١٢٨٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة (٥٨٥١)، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤٨٧٦).

(٤) رواه النسائي، وصححه الألباني في سنن النسائي (٣/ ٥٤) رقم (١٣٠٥).

سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ [آل عمران: ١٩٣].

ومن السنة ما رواه الترمذي وغيره عن بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سمع رجلاً يدعو ويقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(١).

فمتى قال العبد: اللهم إني آمنت بك وبرسولك فاغفر لي ووفقني، أو يقول: اللهم بإيماني بك وبرسولك أسألك كذا وكذا جاز له ذلك لأنه توسل إلى الله تعالى بنوع من التوسل المشروع.

الثالث: التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح:

من أنواع التوسل المشروع أن يتوسل العبد إلى الله بطاعته وصالح عمله، دليل ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلاءِ لا يُنْجِيكُمْ إِلا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَراً وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ. فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ آتِيهِمَا**

(١) رواه الترمذي، والنسائي، وأحمد، وصححه الألباني في جامع الترمذي (٥/ ٥١٥) رقم (٣٤٧٥).

كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَم لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنْ الْجُوعِ فَكُنْتُ لا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ. فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فَقَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا»[1].

فهؤلاء الثلاثة نفر توسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم فنجاهم الله تعالى من هذه الصخرة.

الرابع: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح:

ومن التوسل المشروع أيضاً أن يتوسل العبد بدعاء غيره، وهذا النوع على وجهين:

* **الأول**: أن تكتفي عن دعائه بدعاء من سألته الدعاء، كما كان هذا حال بعض الصحابة حينما يسألون الدعاء من النبي ﷺ وذلك لعلمهم أن دعائه عند ربه مستجاب.

* **الثاني**: أن تسأل الدعاء من العبد الحي الحاضر، فيدعو لك وتتوجه أنت إلى الله متوسلاً بدعائه، وهذا مثل حديث الأعمى الذي أُحتج به على جواز التوسل بالنبي ﷺ، وسيأتي الرد على هذه الشبهة.

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٣٢٠٦)، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (٤٩٢٦).

ثانياً: التوسل الغير مشروع:

التوسل غير المشروع هو التقرب إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة؛ أي: بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة شرعية، كالتوسل إلى الله بذوات المخلوقات، كالملائكة، والنبيين، والصالحين، أو بالأمكنة كالكعبة والمشعر الحرام، أو بالأزمنة الفاضلة كشهر رمضان، وليلة القدر، وأشهر الحج.

فهذا النوع من التوسل محرم لأنه من اللغو الباطل المخالف للمنقول والمعقول.

فمتى قال العبد: اللهم إني أتوسل إليك بالنبي الفلاني، أو أتوسل إليك بالكعبة، أو بشهر رمضان، أو ليلة القدر وغير ذلك كل هذا لا يجوز، فهذا كله إما أن يكون شركاً أو وسيلة إلى حصول الشرك، ولهذا جاءت الشريعة بالنهي عن هذا النوع من التوسل.

وهذا النوع من التوسل له ثلاثة أوجه:

* **الأول**: أن يتوسل إلى الله تعالى بذات وشخص المتوسل به، كأن يقول: «اللهم إني أتوسل إليك بفلان ـ يعني بذلك ذاته وشخصه ـ».

* **الثاني**: أن يتوسل إلى الله تعالى بجاه فلان أو حقه أو حرمته أو بركته، كأن يقول المتوسل: «اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان عندك، أو حقه عليك، أو بحرمته أو بركته أن تقضي لي حاجتي».

* **الثالث**: أن يتوسل المتوسل على الله بالمتوسل به: كأن يقول: «اللهم إني أقسم عليك بفلان أن تقضي لي حاجتي».

فهذه ثلاثة أوجه في التوسل بالمخلوق قد أجازها المستحلون للتوسل، والحقيقة أن كل هذه الأنواع باطلة فاسدة مخالفة لأصول الشريعة.

روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: **«اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ»**[١].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٩٥٤).

فهذا الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعدل عن التوسل بالنبي ﷺ بعد موته إلى عمه العباس الذي هو حي بينهم، ففيه إثبات التوسل بالنبي ﷺ في حياته، وبأهل الفضل ولا سيما ذوو قرابته بعد موته، والمقصود بالتوسل بالأحياء بدعائهم إذا كانوا معنا أحياء، أما إن كانوا أمواتاً أو كانوا غائبين فلا يشرع التوسل بهم.




١٥٠٠

ذكر الشبهات التي قذفها الشيطان في قلوب أوليائه مضاهاة للحق وأهله

* الشبهة الأولى والجواب عليها.
* الشبهة الثانية والجواب عليها.
* الشبهة الثالثة والجواب عليها.
* الشبهة الرابعة والجواب عليها.
* الشبهة الخامسة والجواب عليها.

الشبهات التي قذفها الشيطان في قلوب أوليائه
مضاهاة للحق وأهله

هناك بعض الشبه حول بعض الأدلة التي يستخدمها المروجون للبدع في الدعوة لبدعهم المذمومة وسنذكر بعضاً منها ثم نجيب عليها بما تيسر:

الشبهة الأولى:

يقول المبتدعون: أما دليلنا على جواز التوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ فقد جاءت به نصوص الكتاب والسنة ثم يذكرون دليلهم على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. والمعنى عندهم؛ أي: يا أيها الذين آمنوا حققوا التقوى وإذا أردتم دعائي اطلبوا إليّ وسيلة لكي أستجيب لكم ولا وسيلة أفضل من النبي عندنا.

الشبهة الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، ثم يذكرون قصة ذكرها ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية.

الشبهة الثالثة:

من السنة: ما رواه الترمذي في جامعه أنه قال: حدثنا محمود بن غيلان، ثنا عثمان بن عمرو، ثنا شعبة بن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف «أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَنِي قَالَ: **إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** قَالَ: فَادْعُهْ قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ**

وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى لِيَ اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ»[(١)]، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه.

وفي بعض الروايات: «**يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ...**» إلى آخره[(٢)].

الشبهة الرابعة:

ما رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة سهل بن حنيف: «أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه فِي حَاجَةٍ لَهُ وَكَانَ عُثْمَانُ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ: اِئْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ اِئْتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْك بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِك إِلَى رَبِّي فَيَقْضِيَ حَاجَتِي وَتَذْكُرُ حَاجَتَك وَرُحْ إِلَيَّ حَتَّى أَرُوحَ مَعَك، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ فَجَاءَ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفَسَةِ وَقَالَ: مَا حَاجَتُك فَذَكَرَ حَاجَتَهُ فَقَضَاهَا لَهُ ثُمَّ قَالَ: مَا ذَكَرْت حَاجَتَك حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ. وَقَالَ: مَا كَانَتْ لَك مِنْ حَاجَةٍ فَأْتِنَا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ فَقَالَ لَهُ: جَزَاك اللهُ خَيْراً مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْته فِيَّ فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ: وَاللهِ مَا كَلَّمْته وَلَكِنْ شَهِدْت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَتَاهُ رَجُلٌ ضَرِيرٌ فَشَكَا إِلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **أَوْ تَصْبِرُ**؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **اِئْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أُدْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ**، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ: فَوَاللهِ

---

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني في المشكاة (ج٢ رقم ٢٤٩٥).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (ج١ رقم ٤١٥).

مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضُرٌّ قَطُّ»[١].

الشبهة الخامسة:

يروي بعض المبتدعين حديثاً وفيه: «**إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**»[٢]، فهذا عام في حياته وبعد مماته فيجوز على قولهم واحتجاجهم بهذا المدعى التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ.

الجواب على الشبهة الأولى:

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

أولاً: من الأمور المسلم بها عند أهل السنة والجماعة **أن تفسير كلام رب العالمين له ثلاث طرق:**

* **الأولى**: إما أن يفسر القرآن بالقرآن.

* **الثانية**: وإما أن يفسر القرآن بما جاء عن النبي ﷺ.

* **الثالثة**: وإما أن يفسر بما فهمه سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فهم أعلم الناس بمراد الله بعد نبيه ﷺ، فمن عدل عن قولهم وخاض في تفسير كلام رب العالمين دون الرجوع إلى هذه الأصول الثلاثة فقد ضل.

وكذا قال السلف: كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف. فالذي يريد النجاة في الدنيا من الوقوع في الزيغ وفي الآخرة من عذاب رب العالمين عليه أن لا يتجاوز ما ذُكر.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (ج١ رقم ٤١٥).

(٢) قال فيه الألباني تعليقاً على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في كتاب التوسل والوسيلة، (ص١١٧): «هذا باطل لا أصل له في شيء من كتب الحديث البتة وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة».

ثانياً: للإجابة عن هذه الآية نذكر كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ فيها، فإن تفسيره لمعنى الوسيلة والتوسل فريد من نوعه لم يسبقه أحد إليه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا عُرفَ هذا فقد تبين أن لفظ «الوسيلة» و«التوسل» فيه إجمال واشتباه يجب أن يعرف معانيه، ويعطى كل ذي حق حقه، فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك.

فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقوله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء أكان محرماً أم مكروهاً أو مباحاً، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ.

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا بذلك.

والثاني: لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة لقوله ﷺ: «**سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»[1].

وقوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ**

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه (٥٧٧).

وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة، وقد أمرنا ﷺ أن نسأل الله له هذه الوسيلة، وأخبر أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله وهو يرجو أن يكون ذلك العبد، وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول وأخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت له الشفاعة يوم القيامة، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم لأن الجزاء من جنس العم، فإن الشفاعة من جنس الدعاء كما قال ﷺ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْراً»**(٢).

ثم قال رَحِمَهُ اللهُ: «وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقد فيهم الصلاح».

وحينئذ فلفظ التوسل له معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد به معنى ثالث لم ترد به السنة.

فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء:

فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته.

والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم.

فهذان جائزان بإجماع المسلمين ومن هذا قول عمر بن الخطاب: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيُسْقَوْنَ»(٣)؛ أي: بدعائه وشفاعته.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء عند الأذان (٥٧٩)، وزيادة «**إنك لا تخلف الميعاد**» رواها البيهقي (١/ ٤١٠) وصححها ابن باز رَحِمَهُ اللهُ في تحفة الأخيار (ص٣٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، الصلاة على النبي ﷺ (٦١٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٩٥٤).

وقوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]؛ أي: القربة إليه بطاعته، وطاعة رسوله طاعته، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

فهذا التوسل الأول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

وأما التوسل بدعائه وشفاعته ـ كما قال عمر ـ فإنه توسل بدعائه لا بذاته، ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس عُلِمَ أن ما يُفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة فإنه مشروع دائماً.

والخلاصة: أن لفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

* **أحدها**: التوسل بطاعته؛ فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

* **والثاني**: التوسل بدعائه وشفاعته؛ وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة حيث يتوسل الناس بشفاعته.

* **والثالث**: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قوله حجة. انتهى المراد[1]. فما أجمل كلامه وما أحسنه ففيه شفاء للعليل من علله. أسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين.

الجواب على الشبهة الثانية:

وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

هذه الآية احتج بها المبتدعون على جواز بدعتهم في طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته، فتراهم يأتون إلى قبر النبي ﷺ فيقولون: يا رسول الله

(١) التوسل والوسيلة، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/١٩٩ ـ ٢٠٢).

استغفر لنا أو ادعوا الله أن يغفر لنا ونحو ذلك، بل زعموا أن هذه الآية باقية في الحكم في حياة النبي ﷺ وبعد مماته، بل جعلوها من قبيل الناسخ والمنسوخ؛ أي: لم يأت ناسخ لها فينسخها، وهذا جهل مركب بنصوص الكتاب العظيم.

وكما أسلفنا الذكر أنه يجب الرجوع إلى فهم السلف في كل ما يختلط علينا فهمه من كتاب الله ولا نتبين المراد منه، لأنهم عايشوا التنزيل وسمعوا من رسول الله ﷺ.

وسنذكر بعض أقوال أهل العلم ممن فسروا هذه الآية لنبين لأهل الأهواء أنه لم يأت في تفسير واحد منهم جواز الذهاب إلى قبر النبي ﷺ وطلب الاستغفار منه.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره: «يعنى بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف الله صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دُعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدُّوا صدوداً ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها ﴿جَآءُوكَ﴾ جاءوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم ويسأل لهم رسوله ﷺ مثل ذلك وذلك هو معنى قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾.

وأما قوله: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ فإنه يقول: لو كانوا فعلوا ذلك فتابوا من ذنوبهم ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ يقول: راجعاً لهم ما يكرهون إلى ما يحبون ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه» انتهى كلامه رحمه الله[1].

قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾؛ أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾؛ أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ٥١٧).

ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته، لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك»[١].

وممن أجاب على هذه الآية إجابة مستفيضة العلامة الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي، وسنذكر فيما يلي جانباً من رده على السبكي في هذه الآية.

قال السبكي: «الباب الخامس في تقرير كون الزيارة قربة وذلك بالكتاب والسنة والإجماع والقياس: أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

قال السبكي: دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم وذلك وإن كان ورد في حال الحياة فهي رتبة له ﷺ لا تنقطع بموته تعظيماً له.

«فإن قلت»: المجيء إليه في حال الحياة ليستغفر لهم وبعد الموت ليس كذلك (قلت): دلت الآية على تعليق وجدانهم أن الله ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول، فأما استغفار الرسول فإنه حاصل لجميع المؤمنين لأن رسول الله ﷺ استغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، إلى آخر ما قاله السبكي.

فأجاب ابن عبد الهادي رحمه الله عليه فقال: «الجواب أن يقال: قوله: وهي قربة بالكتاب والسنة والإجماع والقياس الكلام عليه من وجوه:

(١) تفسير ابن سعدي تيسير الكريم الرحمٰن، سورة النساء، الآية: ٦٤، (٢/٩٣) المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي.

* **الأول**: مطالبته بتصحيح دعواه وإلا كانت مجردة عما يثبتها.

* **الثاني**: القربة هي ما جعله الله ورسوله قربة، إما بأمره أو بإخباره أنها قربة، وإما بالثناء على فاعلها، وإما بجعل الفعل سبباً لثواب يتعلق عليه أو تكفير سيئة، ونحو ذلك من الوجوه التي يستدل بها على كون الفعل محبوباً لله.

* **الثالث**: أنه لا يكفي أن يكون الفعل محبوباً له في كونه قربة وإنما يكون قربة إذا لم يستلزم أمراً مبغوضاً مكروهاً له أو تفويت أمر هو أحب إليه من ذلك الفعل، وأما إذا استلزم ذلك فلا يكون قربة.

* **الرابع**: أنه يتقرب إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعين ما نهى عنه وحذر منه الأمة بقوله: «**لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً**»[1]، ومعلوم أن جعل الزيارة من أفضل القرب ملزم لجعل القبر من أجل الأعياد.

* **الخامس**: أما استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] الآية فالكلام فيها في مقامين:

* **أحدهما**: عدم دلالته على مطلوبه.

* **الثاني**: بيان دلالتها على نقيضه وإنما يتبين الأمر بفهم الآية ما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم، ولم يفهم أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته يستغفر لهم، وقد ذم الله تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذ ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥﴾ [المنافقون: ٥].

وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم الظلم، ثم لم يجئ إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له.

(١) رواه أحمد، وصححه الألباني في كتاب تلخيص أحكام الجنائز، (ص٨٩).

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقونا إليه ـ يعني: السلف ـ علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو في سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المتأخر.

إلى أن قال رَحِمَهُ اللهُ: أما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه ﷺ صورها بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة، ولم يقل مسلم إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفِّق لها هؤلاء الغلاة العصاة..» إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

أما قوله ـ أي: السبكي ـ: «وكذلك فهم العلماء العموم من الحالتين»: فيقال: من فهم هذا من سلف الأمة وأئمة الإسلام، فاذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من الأئمة وأهل الحديث والتفسير أنه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته أو عمل به وأرشد إليه. فدعواك على العلماء بطريق العموم وهذا الفهم دعوى باطلة»[1].

ومما استدل به السبكي عند تأويله هذه الآية القصة المشهورة التي يدندن عليها المبتدعون لترويج بدعهم وهي ما رواه أبو الحسن بن علي بن محمد بن علي حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال: حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمى بنفسه إلى قبر النبي ﷺ وحثا على رأسه ترابه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٤٢٧ ـ ٤٢٩).

عن الله ﷻ فما وعينا وكان فيما أنزل الله ﷻ عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وقد ظلمت نفسي جئتك تستغفر لي، فنودي من القبر أنه غفر لك[١].

الجواب على هذه القصة: قال ابن عبد الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن هذا خبر منكر موضوع وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير إليه وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض.

والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدي فإن يكن هو فهو متروك كذاب وإلا فهو مجهول[٢].

الجواب على الشبهة الثالثة:

حديث الأعمى الذي رواه الترمذي وفيه: «..**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ...**»[٣].

الجواب على هذا الحديث: هذا الحديث مما تعلق فيه المبتدعون المشركون ممن أجاز التوسل بالنبي ﷺ بعد مماته، فقالوا: فلو كان دعاء غير الله شركاً لم يعلم النبي ﷺ الأعمى هذا الدعاء الذي فيه توسل ونداء غير الله.

فنقول: الجواب عليه من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: هذا الحديث مختلف فيه بين الصحة والضعف. وممن ضعفه صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، فقال: «ووجه عدم ثبوته أنه قد نص أن أبا جعفر الذي عليه مدار هذا الحديث هو غير الخطمي، وإذا كان غيره فهو لا يعرف»[٤].

أما الذين صححوه فهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالته التوسل والوسيلة،

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/٥١٩ ـ ٥٢٠)، الصارم المنكي، (ص٤٣٠).

(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي، (ص٤٢٣ ـ ٤٣١).

(٣) سبق تخريجه، (ص١٥٠٣).

(٤) تيسير العزيز الحميد، (ص٢٤٤).

حيث أفاض فيه إفاضة تامة وبين طرقه الصحيح منها والضعيف فليراجع[١].

ومن صححه أيضاً العلامة الألباني في مشكاة المصابيح حيث قال: وإسناده صحيح، ومن ضعفه من المتأخرين فما أصاب كما لم يصب من استدل به على التوسل بالأشخاص، وإنما هو دليل على التوسل بدعاء الرجل الصالح كما شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة[٢].

الوجه الثاني: أنه على افتراض صحة الحديث فإنه لا يدل على سؤال الغائب ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، ولذا فالحديث فيه التوسل بالنبي ﷺ إلى الله في الدعاء؛ أي: بدعاء النبي ﷺ الذي علمه إياه، فهذا الصحابي لم يطلب من النبي ﷺ إلا ما يقدر عليه وهو طلب الدعاء له فهذا لا إنكار فيه وإن كان هذا الصحابي توجه إلى الله من غير سؤال منه نفسه فهو لم يسأل منه، وإنما سأل من الله به. فالخلاصة أنه توسل بدعاء النبي ﷺ[٣].

الجواب على الشبهة الرابعة:

الجواب عليها من جنس سابقتها إلا أن هذه الشبهة قد تكون دليلاً لمن قال بجواز التوسل بالنبي ﷺ بعد موته، والجواب عليها أن يقال:

* **أولاً**: أنها رواية مختلف فيها بين الصحة والضعف.

* **ثانياً**: على افتراض صحتها فإنها ليس فيها دليل على دعاء الميت والغائب غاية ما فيها أنه توجه إلى الله بنبيه ﷺ بدعائه.

* **ثالثاً**: أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أنه جعل المشروع

(١) التوسل والوسيلة، (ص٩٢ ـ ١٠٠).

(٢) انظر: مشكاة المصابيح للألباني، رقم (٧٦٩٢).

(٣) انظر: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في رسالته، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (ص٩٢ ـ ١٠٠)، وكذا كلام صاحب كتاب الصارم المنكي فإن فيهما كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المستحب أن يتوسل بالنبي ﷺ بعد موته من غير أن يكون النبي ﷺ داعياً له ولا شفيعاً فيه فقد علمنا أن أكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعاً بعد موته كما كان يشرع في حياته فتراهم عند حالة الجدب إذا كانوا في الاستسقاء لا يأتون قبره ولا يتوسلون إلى الله به بل كانوا يعدلون إلى غيره ممن هو حي بينهم كما فعل عمر ومعاوية بن أبي سفيان.

* **رابعاً**: حديث الأعمى حجة لعمر وعامة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي ﷺ ودعائه لا بذاته، وقال في الدعاء «**قل: اللهم فشفعه فيّ**»[1]، وإذا قُدِّر أن بعض الصحابة أمر غيره أن يتوسل بذاته لا بشفاعته ولم يأمر بالدعاء المشروع بل ببعض وترك سائره المتضمن للتوسل بشفاعته كان ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الموافق لسنة الرسول ﷺ وكان المخالف لعمر محجوجاً بسنة رسوله ﷺ وكان الحديث الذي رواه عن النبي ﷺ حجة عليه لا له[2].

الجواب على الشبهة الخامسة:

في التوسل بجاه النبي ﷺ: الجواب عليها ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: «وروى بعض الجهال عن النبي ﷺ أنه قال: ..وذكر الحديث، ثم قال: وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث مع أن جاهه عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين.

إلى أن قال رحمه الله: ولكن جاه المخلوق عند الخالق تعالى ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه»[3].

فالحاصل أن هذا الحديث موضوع وكذب وافتراء على النبي ﷺ.

فسؤال الله بجاه النبي ﷺ لم يعرف عن السلف وأنكره العلماء المحققون

(١) سبق تخريجه، (ص١٥٠٣).
(٢) انظر: التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، (ص٩٥ ـ ١٠٠).
(٣) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، (ص١٢٩ ـ ١٣٠).

وعدوه من الأمور البدعية في الدين ولا ينبغي لأحد أن يسأل الله لا بجاه النبي ﷺ ولا بجاه غيره.

وأحاديث سؤال الله بالمخلوقين أو بجاههم ومنزلتهم واهية وموضوعة ولا يوجد في أئمة الإسلام من احتج بها أو اعتمد عليها إذ أن سؤال الله بسبب لا يناسب إجابة الدعاء فلا يحلف على الله بمخلوق ولا يسأله بجاه مخلوق أو بذاته أو بمنزلته وإنما يسأل الله بالأسباب التي تناسب إجابة الدعاء كسؤال الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وبالعمل الصالح قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ١٦]»(١).



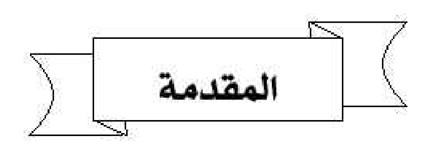
(١) تنبيه زائر المدينة على المشروع والممنوع من الزيارة للشيخ صالح السدلان، (ص٥٠).



كتاب

ضوابط تعبير

الرؤيـــا



المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وبعد:

فلقد كانت الرؤيا ولا زالت في العصور المتقدمة والمتأخرة موضع جد واهتمام لدى أصحابها.

وإذا نظرت إلى القرآن وجدت أن الله تعالى قد قص فيه شيئاً من ذلك وكأنه سبحانه يدعونا إلى الاهتمام بها وبتعبيرها.

وانطلاقاً من هذا التوجيه الإلٰهي المتمثل في الاهتمام بالرؤيا وجدنا الكثير من الناس يهتمون بها حتى أصبحت الرؤيا تمثل شيئاً مهماً في حياتهم.

بل وأصبحت الرؤيا باباً من أبواب الدعوة إلى الخير وترك الشر فكم من أناس كانوا على غير هدى فجاءت الرؤيا لتأخذ بنواصيهم إلى طريق الهدى والنور بل كم من أناس كانوا على الكفر والشرك فجاءت إليهم الرؤيا لتكون سبباً في هدايتهم إلى الإسلام.

فقد روى الحاكم في مستدركه عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول إخوانه أسلم، وكان بدء إسلامه أنه رأى في النوم أنه واقف على شفير النار فذكر من سعتها ما الله به أعلم ويرى في النوم كأن أباه يدفعه فيها ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحقويه لئلا يقع ففزع من نومه فقال: أحلف بالله إن هذه لرؤيا حق فلقي أبا بكر بن قحافة فذكر ذلك له فقال أبو بكر: أريد بك خير، هذا رسول الله ﷺ فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع فيها وأبوك واقع فيها، فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد فقال: يا محمد إلى ما تدعو؟

قال: أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لم يعبده قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فسر النبي ﷺ بإسلامه.

فهذه رؤيا كانت سبباً في إسلام خالد بن سعيد بن العاص ﷺ، وغير خالد الكثير.

ولما كانت الرؤيا بهذه المنزلة العظيمة كان ولا بد من عرضها على أهل الخبرة من معبريها فلا تقص على حسود لدود ولا على جاهل قوله مردود بل تقص على أهل العلم والفضل من العلماء العالمين من أهل الفقه في الدين.

ومما يؤسف له أن الكثير أخطأوا في جانب الرؤيا وأعني بالخطأ هنا الخطأ الناتج من صاحب الرؤيا والناتج من المعبر فإن صاحب الرؤيا تجده لا يتحرى من يعبر له رؤياه بل يعرضها على من هو ليس بأهل للتعبير وبالتالي تضيع الفائدة المرجوة من الرؤيا.

أما الخطأ الناتج عن المعبر فهذا أمر للأسف استشرى في مجتمعاتنا فتجد الرجل الذي لا يصلح للتأويل والتعبير يتجرأ على تعبير الرؤى وهذا مما لا شك فيه جهل بأحكام ديننا الحنيف.

وانطلاقاً من مبدأ النصح لكل مسلم جعلت هذه الرسالة الصغيرة في بيان فضل الرؤيا وخطورة التجرؤ على تعبيرها وبخاصة من غير المجيدين للتعبير، والله أسأل أن ينفع بها وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أبو محمد
أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
الزلفي ص. ب ١٨٨ الرمز ١١٩٣٢

تعريف الرؤيا والحلم

الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر[١].

قلت: وعلى ذلك تكون الرؤيا والحلم من الألفاظ المترادفة يعني أن كلاً منها يؤدي نفس المعنى للآخر.

قال القاسمي: قال التوربتشي: الحلم عند العرب يستعمل استعمال الرؤيا والتفريق بينها من الاصطلاحات التي سنها الشارع للفصل بين الحق والباطل كأنه كره أن يسمى ما كان من الله وما كان من الشيطان باسم واحد، فجعل الرؤيا عبارة عن الصالح منها لما في الرؤيا من الدلالة على المشاهدة بالبصر أو البصيرة، وجعل الحلم عبارة عما كان من الشيطان؛ لأن أصل الكلمة لم يستعمل إلا فيما يخيل للحالم في منامه من قضاء الشهوة مما لا حقيقة له. انتهى[٢].



(١) لسان العرب مادة حلم (١٢/ ١٤٥).
(٢) محاسن التأويل للقاسمي (٩/ ٢٢٠).

حقيقة الرؤيا

اختلفت أقوال الناس في بيان حقيقة الرؤيا بين التفريط والإفراط ولذا قال المازري:

كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالفعل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت أقوالهم. انتهى المراد ذكره[١].

قلت: ولكن حقيقة الرؤيا فيما ذكره ابن حجر حيث قال: وقال الحكيم أيضاً وكل الله بالرؤيا ملكاً اطَّلع على أحوال ابن آدم من اللوح المحفوظ، فينسخ منها ويضرب لكل من قصته مثلاً، فإذا نام مثل تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة، والأولى قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما، فهو يكيده بكل وجه، ويريد إفساد أموره بكل طريق، فيلبس عليه رؤياه، إما بتغليطه فيها، وإما بغفلته عنها[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في بيان حقيقة الرؤيا: إنها أمثال مضروبة يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره ويُعبر منه على شبهه[٣].



(١) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٥٣).
(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٥٤).
(٣) إعلام الموقعين (١/ ٢٥٢).

الفرق بين الرؤيا والحلم والإلهام

لقد ذكرنا طرفاً من ذلك عند تعريفنا للرؤيا والحلم والذي ينبغي معرفته أن نصوص القرآن والسُنة جاءت ببيان التفرقة بينهما وسنذكر طرفاً من ذلك وقبل أن نشرع في بيان الفرق بينهما نقول: إن الإلهام لا يرجع إلى القواعد المعتبرة في الرؤيا والحلم وذلك لأنه لا يقع إلا للخواص بل لا يقع إلا لخواص الخواص فهو وحي باطن خفي ويحرم منه الفاسق العصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه.

أما الفرق بين الرؤيا والحلم:

قال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ۝٤٤﴾ [يوسف: ٤٤].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ: يقول تعالى ذكره: قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤيا: رؤياك هذه ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾ يعنون أنها أخلاط رؤيا كاذبة لا حقيقة لها.

وهي جمع ضغث و(الضغث) أصله الحزمة من الحشيش يشبه بها الأحلام المختلطة التي لا تأويل لها و(الأحلام) جمع (حلم) وهو ما لم يصدق من الرؤيا[١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: ﴿أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ أي: أخلاط أحلام اقتضته رؤياك هذه ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ أي: لو كانت رؤيا صحيحة من أخلاط لما كان لنا معرفة تأويلها وهو تعبيرها[٢].

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١١٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٨٠).

وقال تعالى في الرؤيا: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال: ٤٣]

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قال مجاهد: أراهم الله إياه في منامه قليلاً وأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك فكان تثبيتاً لهم وكذلك قال إسحاق وغير واحد[1].

ومن خلال هاتين الآيتين يتبين لنا الفرق بين الرؤيا والحلم.

إن الرؤيا ليست باخلاط وإنما هي موزونة لا اختلاط فيها ولا إشكال ويمكن تعبيرها وتأويلها. بخلاف الحلم فإنه أخلاط ورؤيا كاذبة لا حقيقة لها؛ أي: لا تأويل لها وهي غالباً تكون من تلاعب الشيطان بالإنسان فللشيطان مكايد يحزن بها بني آدم وصدق ربنا حين قال:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المجادلة: ١٠].

فالشاهد من هذه الآية أن الشيطان يحزن الإنسان أحياناً فيريه في منامه ما يكره.

أما ما جاء في السُنة من التفريق بينهما فمنها:

١ ـ حديث أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: «**الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان**»[2].

٢ ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«**إذا رأى أحدُكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره**»[3].

٣ ـ عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال:

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣).
(٢) فتح الباري (١٢/٣٦٩).
(٣) فتح الباري (١٢/٣٦٩).

«**الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم فليتعوذ منه وليبصق عن شماله فإنها لا تضره**»[١].

وهناك أحاديث أخرى تدل على أن هناك فرقاً بين الرؤيا والحلم وخلاصة الأمر في الفرق بينهما:

أن الرؤيا هي التي تتضمن بشرى للعبد بخير يصيبه دنيا وأخرى أو إنذاراً أو تحذيراً له من الوقوع في شيء قد يعرض له فهذا من لطف الله تعالى بعبده أن ينذره ويحذره قبل أن تعرض عليه هذه الأشياء لينتبه لها.

أما الحلم فهو كما ذكرنا أخلاط لا حقيقة لها بل مداره على الفزع والحزن وغير ذلك مما فيه ما يكرهه الإنسان.

الأمور التي ينبغي مراعاتها في الرؤى والأحلام:

من رحمة الله بعباده أن شرع لهم أموراً عند رؤية ما يحبونه وما يكرهونه فما هو المشروع في حقهم؟

أولاً: الرؤيا الصالحة وما يشرع فيها:

١ ـ أن يعلم أنها من الله، كما قال ﷺ: «**الرؤيا الصالحة من الله...**»[٢].

وقال أيضاً «**إذا رأى أحدُكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله...**»[٣].

وإضافتها إليه إضافة تشريف وإلا فالكل من الله؛ يعني: الحلم.

٢ ـ أن يحمد الله عليها:

ودليل ذلك قوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري السابق وفيه: «.. **فليحمد الله عليها...**».

٣ ـ أن يحدث بها: وهذا ورد أيضاً في حديث أبي سعيد السابق ولكن التحدث بها ليس لكل أحد بل لا يحدث بها إلا من يحب ففي بعض

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٧٣).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.

الروايات: «**فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يخبر إلا من يحب**»[١].

٤ ـ أن لا يقصها إلا على ذي رأي ولب وحكمة وعلم ونصح.

فعن أبي رزين العقيلي قال: قال رسول الله ﷺ: «**رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها، فإذا تحدث بها سقطت**» قال: وأحسبه قال: «**ولا تحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً**»[٢].

وفي رواية أخرى: «**ولا يقصها إلا على وادّ أو ذي رأي**»[٣].

(وادّ) بتشديد الدال اسم فاعل من الود أو ذي رأي وفي رواية أخرى: «**ولا يقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح**»[٤].

فهذه جملة من الأدلة على أنه ينبغي على من رأى رؤيا أن لا يقصها إلا على من هو معروف بالعلم والنصح والحكمة في تعبير رؤياه ولذا قال القاضي أبو بكر بن العربي رَحِمَهُ اللهُ في بيان الحكمة في عرض الرؤيا على أهل العلم والنصح قال:

أما العالم فإنه يؤولها له على الخير مهما أمكنه وأما الناصح فإنه يرشده إلى ما ينفعه ويعينه عليه وأما اللبيب وهو العارف بتأويلها فإنه يعلمه بما يعول عليه في ذلك أو يسكت وأما الحبيب فإن عرف خيراً قاله وإن جهل أو شك سكت[٥].

فنصيحتي لمن رأى رؤيا صالحة حسنة إن أراد تعبيرها فعليه أن يتحرى ويبحث عمن فيه هذه الصفات التي جاءت بها نصوص السنة فإن خالف في ذلك فقد ترك السنة وهذا تنبيه أردت أن أنبه عليه وبخاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الرؤى والأحلام.

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٦٨).
(٢) صحيح سنن الترمذي ـ الألباني (٢/ ٢٦٠) رقم (١٨٥٨).
(٣) رواه أحمد (٤/ ١٠) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٤٧).
(٤) السلسلة الصحيحة (١/ ١٨٦) رقم (١٢٠)، وانظره في: فتح الباري (١٢/ ٣٦٩).
(٥) فتح الباري (١٢/ ٣٦٩).

ثانياً: أما الحلم:

فله ما يخصه من أمور جاءت بها نصوص السنة المباركة تطييباً للنفوس وإذهاباً للأحزان التي قد يصاب بها المرء عند رؤيا حلم يفزعه أو يقلقه.

فمن الأمور التي ينبغي مراعاتها وفعلها لمن رأى حلماً:

أولاً: الاستعاذة من شرها:

والدليل حديث أبي سعيد الخدري السابق وفيه: «**وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها...**»[١].

ثانياً: الاستعاذة من الشيطان:

دليل ذلك حديث أبي قتادة وفيه «.. **والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم فليتعوذ منه...**»[٢].

ثالثاً: أن يبصق عن شماله:

ودليله حديث أبي قتادة «.. وليبصق عن شماله».

رابعاً: الإيقان بأنها لا تضره:

وهذا في غاية الأهمية لارتباطه بجانب مهم وهو جانب الاعتقاد فلا بد أن يعتقد أن كلام النبي ﷺ صدق وأنها حقاً لا تضره، دليل ذلك نفس حديث أبي قتادة وفيه قال ﷺ: «**وليبصق عن شماله فإنها لا تضره**».

خامساً: التحول عن جنبه:

ففي صحيح مسلم عن جابر مرفوعاً: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق على يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً وليتحول عن جنبه الذي كان عليه**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم شرح النووي (١٥/ ١٩).

سادساً: أن يقوم فيصلي:

دليل ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه قال ﷺ: «... **فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل...**»[١].

سابعاً: قراءة آية الكرسي:

دليل ذلك حديث أبي هريرة المشهور والذي فيه تعليم إبليس أبي هريرة لآية إذا قرأها لم يقربه شيطان ثم ذكر هذه الآية فقال ﷺ: «**صدقك وهو كذوب**».

قال ابن حجر رحمه الله: ورأيت في بعض الشروح ذكر سابقة وهي قراءة آية الكرسي ولم يذكر لذلك مستنداً فإن كان أخذه من عموم قوله في حديث أبي هريرة: «**ولا يقربنك شيطان**» فيتجه وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة[٢].

قلت: والصواب والله أعلم أن يقرأها عند إرادته أخذ مضجعه لورود ذلك في النص وإن قرأها في صلاته فلا بأس لكنه خلاف الأولى.

ثامناً: أن لا يحدث بها أحداً:

كما جاء ذلك في حديث أبي سعيد الخدري السابق وفيه «**ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره**»[٣].

أما الحكمة في ذكر هذه الأشياء فقد ذكرها بعض أهل العلم نوردها بإيجاز.

١ ـ أما الاستعاذة من شرها: لأنها مشروعة عند كل أمر يكره.

٢ ـ أما الاستعاذة من الشيطان: لأن هذه الرؤيا منه وأنه يخيل بها بغرض تحزين الآدمي والتهويل عليه كما ذكرنا ذلك سابقاً.

٣ ـ أما البصق أو التفل يساراً: وذلك لطرد الشيطان وإظهار احتقاره

---

(١) صحيح مسلم شرح النووي (١٥/٢١).
(٢) فتح الباري (١٢/٣٧١).
(٣) سبق تخريجه.

واستفزازه وقيل بأن التفل أو البصق للتبرك بتلك الرطوبة والهواء المقارن للذكر الحسن وأما كونها من اليسار أو كون البصق عن اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها. وأما كون البصق ثلاثاً قيل للتأكيد وكونها ثلاثاً لتكون وتراً.

٤ ـ أما كونه يعتقد أنها لا تضره: معناه أن الله جعل ما ذكر سبباً للسلامة من المكروه.

٥ ـ أما الصلاة: لأن فيها لجوءاً إلى الرب ﷻ ولأن في التحريم بها عصمة من السوء وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة لقرب المصلى من ربه عند سجوده.

٦ ـ أما التحول: فهو للتفاءل فإنه به يتفاءل العبد بتحول تلك الحال التي كان عليها.

ولكن هناك تنبيهات لا بد من إيرادها:

التنبيه الأول: ينبغي أن يجمع بين هذه الروايات كلها ويعمل جميع ما تضمنته فإن اقتصر على البعض أجزأه في دفع ضررها بإذن الله، ومعنى قولنا: إن اقتصر على البعض، يعني أن يقتصر على حديث واحد جامعاً بما فيه لأنه لم يأت حديث في الاقتصار على واحدة فقط كما ذكر.

التنبيه الثاني: أن العبد إذا قام فصلى فقد جمع بين جميع ما ذكرناه وذلك لأن في الصلاة تحولاً عن جنبه وبصقاً ونفثاً عند المضمضة في الوضوء والاستعاذة عند إرادة قراءته في الصلاة أما الدعاء فيها فإنه إن شاء الله سيكفيه شرها ولا تضره.

التنبيه الثالث: جاءت بعض النصوص في السُنة تبين لنا صفة التعوذ عند رؤية ما يكرهه الإنسان في منامه.

ففي سنن سعيد بن منصور ومصنف ابن أبي شيبة ومسند عبد الرزاق عن إبراهيم النخعي قال: «إذا رأى أحدكم في منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شر رؤياي هذه أن يصيبني فيها ما أكره في ديني ودنياي»[1].

---

(١) صححه ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٣٧١).

أهمية الرؤيا

قد يسأل سائل فيقول: هل هناك حاجة للرؤيا وما وجه أهميتها ما دامت الأمور بقضاء الله وقدره؟

نقول: لقد جاءت آيات من كتاب رب العالمين وكذا جاءت أحاديث عن النبي ﷺ بذكر الرؤيا والدعوة إلى الاستعاذة منها.

وهذا يدل على عظمها وشرفها فكم من رؤيا صالحة كانت سبباً في هداية عاص وكم من رؤيا حسنة كانت حرزاً من الوقوع في المهلكات وإذا أردنا أن نعدد الجوانب الحسنة التي تدل على فضل الرؤيا وأهميتها لوجدنا الكثير فانظر معي إلى بعض ما جاء في القرآن:

في قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات: ١٠٢].

فقد كانت رؤياه عليه السلام بمثابة التشريع لهذه الأمة ولذا شرع الله لنا الأضحية.

وانظر إلى يوسف عليه السلام ورؤياه تجد فيها من العجب قال تعالى في بيان فضل تعلم تأويلها:

﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

فالعلم بتأويل الرؤيا علم ممدوح شرعاً ولما كان العلم بها ممدوحاً كانت هي كذلك ممدوحة.

وانظر إلى سورة الأنفال حينما تتحدث عن غزوة بدر حيث قال تعالى لنبيه: ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣﴾ [الأنفال: ٤٣].

فقد أرى الله تعالى نبيه أن الكفار قلة مع أن الواقع يدل على خلاف ذلك حيث كان عددهم أكثر من تسعمائة وعدد المسلمين ثلاثمائة مقاتل ومع ذلك أرى نبيه قلتهم ليكون تشجيعاً للمؤمنين وتحريضاً لهم على قتالهم ولذا قال تعالى بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ﴾ [الأنفال: ٦٥].

وانظر إلى رؤياه ﷺ في فتح مكة حين رآها قبل أن يفتح مكة قال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧].

فكانت الرؤيا بمثابة التطمين له صلوات الله وسلامه عليه ولأصحابه بأنه ستفتح لهم مكة وقد كانت كما رأى ﷺ.

ولو أردنا أن نتحدث عن الرؤيا مع أنبياء الله ورسله لوجدنا فيها الكثير ولكن نريد أن ننبه على أمر مهم وهو أن رؤيا الأنبياء ليست كرؤيا سائر البشر لأن رؤيا الأنبياء وحي من الله تعالى.

أما عن أهمية الرؤيا في حق آحاد الناس فهي بمنزلة البشرى والنذارة فالبشرى لصاحبها بما ينفعه في دنياه وآخرته فإن كان على طاعة مثلاً ثبت على هذه الطاعة وجاهد في المحافظة عليها وإن كان على معصية كانت الرؤيا بمثابة التخويف له من عذاب الله وسخطه وإنذاره وتحذيره من البقاء عليها فإن لم يكن فيها إلا ذلك فكفاها فضلاً وتعظيماً، فكم كنا نسمع عن أناس عصاة لا يصلون أو يتعاملون بالربا أو يؤجرون استراحتهم لأصحاب المعاصي والمنكرات وغيرهم. وكم كانت الرؤيا سبباً رادعاً في تحولهم إلى الاستقامة على طاعة الله وانصرافهم عما كانوا عليه.

وخلاصة القول في ذلك أن الرؤيا فيها من المنافع ما الله به عليم وهي من جملة نعم الله على عباده من بشارات المؤمنين وتنبيه الغافلين وتذكرة المعرضين وإقامة الحجة على العائدين قال صاحب التمهيد:

«وعلم تأويل الرؤيا من علوم الأنبياء وأهل الإيمان وحسبك بما أخبر الله

من ذلك عن يوسف عليه السلام وما جاء في الآثار الصحاح فيها عن النبي ﷺ وأجمع أئمة الهدى من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء المسلمين أهل السنة والجماعة على الإيمان بها وعلى أنها حكمة بالغة ونعمة يمن الله بها على من يشاء وهي المبشرات الباقية بعد النبي ﷺ»[١].



(١) التمهيد لابن عبد البر (٢٤/٢٩).

أنواع الرؤيا

جاءت نصوص السُنَّة ببيان أنواع الرؤى ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً**» والرؤيا ثلاثة:

١ ـ رؤيا بشرى من الله ﷻ.

٢ ـ ورؤيا مما يحدث الإنسان نفسه.

٣ ـ ورؤيا من تحزين الشيطان.

«**فإذا رأى أحدكم ما يكره فلا يحدث به ـ وليقم وليصل والقيد في المنام ثبات في الدين والغل أكرهه**»[(١)].

ففي هذا الحديث بيان بأقسام الرؤيا وجاء في سنن ابن ماجه من حديث عوف بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**»[(٢)].

ومن نظر في النصوص التي ذكرت وغيرها مما لم يذكر يجد أن الرؤيا لا تخرج عن هذه الثلاث ونجملها فيما يلي:

١ ـ الرؤيا الصالحة؛ أي: الرؤيا الحسنة التي لا تشتمل على شيء يكرهه الرائي بل فيها مصلحة دينية أو دنيوية.

---

(١) البخاري مع الفتح (١٢/ ٤٢٢)، ومسلم مع النووي (١٥/ ٢٠).

(٢) صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٢٤٠).

٢ ـ الرؤيا التي تسمى رؤيا الخاطر التي سماها ﷺ بما يحدث الإنسان به نفسه وحقيقة هذه أن يكون البال مشغولاً ثم يحصل النوم فيرى هذا الشيء المشغول به فهذا مما لا يضر ولا ينفع.

٣ ـ الرؤيا التي هي بمثابة التحزين للرائي والتي هي من قبل الشيطان وقد تكلمنا عنها فيما سبق.



أقسام الناس في الرؤيا

ذكرنا فيما سبق أقسام الرؤيا هذا باعتبار الرؤيا أما باعتبار الرائي فهي أيضاً أقسام وذلك بحسب صدق الرائي وبهذا الاعتبار ـ أي: اعتبار الرائي ـ قسم أهل العلم أحوال الناس في رؤياهم إلى ثلاثة أقسام:

أقسام الناس باعتبار الرؤيا:

١ ـ أنبياء.

٢ ـ صالحون.

٣ ـ مستورون.

٤ ـ فسقة.

٥ ـ كفار.

أولاً: رؤيا الأنبياء:

وهم أصدق الناس رؤيا بلا شك لأنهم أصدق الناس قولاً وعملاً ولذا كانت رؤيا نبينا ﷺ كفلق الصبح لأنها وحي من الله تعالى إليه. وذكرنا جانباً من جوانب رؤيا الأنبياء فيما سبق.

ثانياً: رؤيا الصالحين:

وهم في المرتبة الثانية بعد أنبياء الله ورسله والغالب على رؤياهم الصدق لكن منها ما يحتاج إلى تعبير ومنها ما لا يحتاج إلى تعبير بل تدل على الأمر دلالة واضحة. قال ﷺ: «... **وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً**»[1]. وقال أيضاً:

---

(١) سبق تخريجه.

«الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»[١].

ثالثاً: رؤيا المستورين:

أي: من حالهم مستور لهم صلاة وزكاة وحج وغيره من الطاعات لكنهم مقصرون في البعض ولهم بعض الذنوب التي هي دون الشرك فهم أيضاً لهم رؤيا ولكن هؤلاء أحياناً تأتيهم الرؤيا التي هي من الله وتأتيهم الرؤيا التي هي من الشيطان فيرون هذه تارة وهذه تارة.

رابعاً: رؤيا الفساق:

ورؤياهم يقل فيها الصدق ويكثر فيها الأضغاث الذي هو من تلاعب الشيطان.

خامساً: رؤيا الكفار:

وهي التي يندر فيها الصدق وذلك لخبثهم وكفرهم بالله ورسله وغالبها من الشيطان لكن قد يرون رؤيا صادقة لكن هل هي من الوحي أو نقول بأنها جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة؟ أجاب الإمام القرطبي عن ذلك فقال: وإن قيل: «إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءاً من النبوة فكيف يكون الكافر والكاذب والمخلط أهلاً لها.

فالجواب أن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون من الوحي ولا من النبوة إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره ذلك نبوة وقد تقدم في (الأنعام) أن الكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق، لكن ذلك على الندور والقلة وكذلك رؤيا هؤلاء[٢].



---

(١) رواه البخاري، فتح الباري (١٢/ ٣٧٨)، ومسلم شرح النووي (١٥/ ٢٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٢٤).

العلامات التي يستدل بها على معرفة الرؤيا

أولاً: علامات الرؤيا الصالحة:

١ ـ أن تكون خالصة من الأضغاث والأوهام المفزعة المقلقة.

٢ ـ أن تكون مما يصلح إدراكه في اليقظة فلا يرى في المنام أمراً يجمع بين متضادين كأن يرى إنساناً قائماً جالساً.

٣ ـ أن لا يكون الإنسان نائماً وباله مشغول بأمر ما فإن الغالب على مثل هذه الرؤيا أن تكون رؤيا تحديث الإنسان بما يقع في نفسه كأن يكون عطشاناً فيرى في المنام أنه شرب أو جوعاناً فيرى أنه يأكل وغير ذلك.

٤ ـ أن تكون هذه الرؤيا قابلة للتأويل وموافقة لما في اللوح المحفوظ فإن كانت رؤيا تارة يرى فيها كذا وتارة يرى فيها كذا وهكذا فهذه لا تسمى رؤيا صالحة صادقة لأن كون الرؤيا صالحة لا بد من تناسقها وترتيبها على الوجه الذي يمكن تأويلها به.

ثانياً: أما عن الرؤيا التي هي من عمل الشيطان:

فهي بخلاف ما ذكرناه تماماً فإن اشتملت على تحزين وأوهام وخوف وغيره فلا ينظر إليها لكونها من عمل الشيطان.

قال العلَّامة عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ: والفرق بين الأحلام التي هي أضغاث أحلام لا تأويل لها مثل ما يراه من يفكر ويطيل تأمله لبعض الأمور فإن كثيراً ما يرى في منامه من جنس ما يفكر في يقظته فهذا النوع الغالب عليه أنه أضغاث أحلام لا تعبير له.

وكذلك نوع آخر ما يلقيه الشيطان على روح النائم من المرائي الكاذبة

والمعاني المتخبطة فهذه أيضاً لا تعبير لها ولا ينبغي للعامل أن يشغل بها فكره، بل ينبغي له أن يلهى عنها وأما الرؤيا الصحيحة فهي إلهامات يلهمها الله للروح عند تجردها عن البدن وقت النوم أو أمثال مضروبة يضربها الملك للإنسان ليفهم بها ما يناسبها وقد يرى الشيء على حقيقته ويكون تعبيره هو ما رآه في منامه[1].



(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي (١/ ١٠٨).

ضوابط تعبير الرؤى

تمهيد:

إن مما يؤسف له في هذه الأزمنة المتأخرة أن كثر المعبرون للرؤى ولا نعني بذلك أهل الخبرة بالتعبير والتأويل ولكن نعني من تجرأ عليها بدون وعي ولا إدراك وظن أن الأمر سهل ونسي أنها ما دامت جزءاً من النبوة فلا يجوز التجرؤ عليها وعلى تأويلها إلا بالعلم وقوة الإدراك فكم سمعنا عن أناس عبروا الرؤيا بأمور غير صحيحة فأفسدت على الرائي أمور دنياه فقطعت الرحم المأمور بإيصالها وتشتت الأسر المأمور باجتماعها كل ذلك بسبب تعبير خاطىء.

ولما كانت الرؤيا تأخذ جانباً كبيراً من جوانب حياة بعض الناس كان ولا بد من وضع ضوابط للتعبير وقبل أن ندخل في بيان ضوابط تعبير الرؤيا نتساءل فيما بيننا لماذا تجرأ البعض على التعبير دون علم؟ هذا سؤال ينبغي أن نجيب عليه نظراً لخطورة هذا الأمر وكثرة من يقع فيه.

فمن الأسباب:

١ ـ ضعف الوازع الديني:

إن الوازع الديني هو المحرك للقلوب وهو العاصم لها بعد توفيق الله من الوقوع فيما لا ينبغي، فلو أن كل عاص تذكر أن دينه لا يسمح له أن يتقوَّل على الله بلا علم ما تجرأ على ذلك بل تحرى ما يصلحه في أمور دينه ودنياه.

٢ ـ الغفلة عن الآخرة:

فإن أهل التأويل المتطفلين؛ أي: الذين لا يعبثون ولا يقدرون الأمور تقديرها هم في الحقيقة غافلون عن الآخرة ووقوفهم بين يدي الله تعالى.

فقد تكون الرؤيا بمثابة دعوة إلى استقامة أو دعوة إلى أن يتخلص صاحبها من أمور منكرة هو واقع فيها فإذا بالمعبر لها يعبرها بطريقة خطأ فما كان من الرائي إلا أن بقي على ما هو عليه وبالتالي لا يستقيم على طاعة ولا يقلع عن معصية وهنا يكون المعبر سبباً في هلاكه وعذابه يوم القيامة وهنا سيسأل المعبر عن تعبيره الخاطىء ما دام أنه ليس أهلاً للتعبير.

ومن الأسباب أيضاً:

٣ ـ حُب الشهرة:

وهذه أعظم آفة يصاب بها بعض معبري زماننا وذلك لكثرة الرؤى في هذه الأزمنة.

٤ ـ قلة العلم:

ونعني بالعلم هنا العلم الشرعي الموصل إلى معرفة الرب سبحانه ومعرفة شرعه. فلو علم هؤلاء حقيقة المعبود وحقيقة شرعه ما تجرؤوا على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وخلاصة هذا الأمر أني أذكِّر إخواني بما قاله الإمام مالك في ذلك حين سُئل:

قيل لمالك: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال أبالنبوة يلعب؟

وقال مالك: لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها فإن رأى خيراً أخبره وإن رأى مكروهاً فليقل خيراً أو ليصمت، فقيل هل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه لقول من قال إنها على ما تأولت عليه؟ فقال: لا ثم قال: الرؤيا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة[1].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٢٦)، التمهيد (١/ ٢٨٨).

الضوابط المعتبرة في تعبير الرؤيا:

إن من محاسن شريعتنا أنها جعلت لكل ما فيه صلاح لأفرادها ومجتمعاتها ضوابط لكي لا ينحرف أفرادها عن الطريق المستقيم حفاظاً على كيان الأفراد والمجتمعات، ولما كانت الرؤيا منزلتها عظيمة في ديننا كان ولا بد من وجود ضوابط معتبرة لكي يهتدي بها أصحابها عند إرادة تعبير رؤياهم، وهذه الضوابط لا شك أنها تخدم المعبر قبل أن تخدم صاحب الرؤيا لأن الخطر الأعظم ليس في حق الرائي وإنما في حق صاحب التأويل وقد ذكرنا ذلك آنفاً، فما هي الضوابط المعتبرة إذاً لكي يسلم الأفراد وتسلم المجتمعات ممن يقومون بتأويل الرؤيا دون علم ولا إدراك؟

نقول وبالله التوفيق: هناك ضوابط معتبرة لصاحب الرؤيا وضوابط معتبرة للمعبر:

أما الضوابط المعتبرة في صاحب الرؤيا:

١ ـ إذا أراد أن تصدق رؤياه فليكن الصدق خلقه وليحذر الكذب والغيبة والنميمة.

٢ ـ يستحب أن ينام على وضوء لتكون رؤياه صالحة.

٣ ـ التزام العفة فإن غير العفيف يرى الرؤيا ولا يذكر شيئاً منها لضعف نيته وكثرة ذنوبه ومعاصيه.

٤ ـ أن لا يقصها على جاهل أو عدو فإن الرؤيا على رجل طائر ما لم يحدث بها فإذا حدث بها وقعت.

٥ ـ أن لا يقصها على معبر وفي بلده أو في وطنه من هو أحذق منه في التعبير ألا ترى ما جاء في ملك مصر حين رأى ما رأى فقص رؤياه على معبري بلده فقالوا له أضغاث أحلام فسأل عنها يوسف فعبرها له.

٦ ـ أن يحترز من الكذب في رؤياه قال ﷺ: **«من كذب في الرؤيا كلف يوم القيامة عقد شعيرتين، ومن كذب على يمينه لا يجد رائحة الجنة وإن أعظم الفرية أن يفترى الرجل على عينيه يقول رأيت ولم ير شيئاً»**.

أما الضوابط المعتبرة في حق المعبر:

١ - أن يكون عالماً حاذقاً بعلم تأويل الرؤى.

٢ - أن لا يؤولها إلا بعلم وإدراك.

٣ - إذا قصت عليه الرؤيا أن يقول خيراً أو يقول خيراً تلقاه وشراً تتوقاه.

٤ - أن يكتم على الناس عوراتهم فلا يذهب فيقول فلان رأى كذا أو كذا مما فيه كشف لعوراته ونحوه.

٥ - أن لا يعبر الرؤيا إلا بعد أن يتعرف ويميز كل جنس وما يليق به.

٦ - أن يكون فطناً ذكياً تقياً نقياً من الفواحش عالماً بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولغة العرب وأمثالها وما يجري على ألسنة الناس.

٧ - أن لا يعبر الرؤيا وقت الاضطرار.

٨ - أن يعبر الرؤيا على مقادير الناس ومذاهبهم وأديانهم وبلدانهم مع الاستعانة بالله ﷻ وسؤاله التوفيق والسداد في تعبيره للرؤيا.

٩ - إذا لم يمكنه تأويلها فإن الأولى أن يحيلها على من هو أعلم منه بالتأويل ولا يتحرج في ذلك.

١٠ - إذا كانت الرؤيا فيها شيء يكرهه صاحبها فإنه يصمت أو ليقل خيراً وذلك بأن يدعو صاحبها إلى التزام تقوى الله ويذكره بوقوفه بين يديه وينصح له وغير ذلك مما فيه مصلحة.

١١ - أن ينوي بتعبيره التقرب إلى الله بذلك لأن هذا كان مسلكاً من مسالك الأنبياء يعني مسلك التعبير فإن نواه على أنه قربة إلى الله أُجر على ذلك.

١٢ - أن لا يعبر الرؤيا حتى يعرف لمن هي ولا يعبرها على المكروه وهي عنده على الخير ولا على الخير وهي عنده على المكروه.

أما عن تعبير الرؤيا وطريقة ذلك، فاعلم أن تأويلها ينقسم إلى أقسام قال ذلك الإمام البغوي رحمه الله:

الأول: قد تكون بدلالة القرآن كتأويل الحبل بالعهد كقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾.

الثاني: قد تكون بدلالة السنة كتعبير القوارير بالنساء كقوله ﷺ: «**يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير**».

الثالث: قد تكون بالأمثال السائرة بين الناس. كالصائغ يعبر بالكذاب لقولهم: أكذب الناس الصواغون.

الرابع: قد يكون مستنداً إلى الأسماء والمعاني: «أي: التفاءل فيها» كمن رأى رجلاً يسمى راشداً فيعبر بالرشد وسالماً يعبر بالسلامة.

الخامس: أنه قد يكون التأويل بالضد والقلب كالخوف في النوم يعبر بالأمن والأمن يعبر بالخوف والضحك بالحزن وهكذا[1].

وهنا أختم هذه الضوابط بما قاله العلّامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكره للفوائد من سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومنها أن علم التعبير من العلوم الشرعية وأنه يثاب الإنسان على تعلمه وتعليمه وأن تعبير الرؤيا داخل في الفتوى لقوله للفتيين: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

وقال الملك: ﴿أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾ وقال الفتى ليوسف: ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ﴾ فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم[2].

قلت: وإذا كان علم التأويل نوعاً من الإفتاء فليعلم المعبر أنه يوقع إمضاء الله على إفتائه كما قال ذلك الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ.

الآثار السلبية لبعض المعبرين ـ من غير المجيدين ـ:

ذكرنا فيما سبق خطورة تأويل الرؤيا على غير مرادها وذكرنا بعض الأسباب التي أدت إلى التجرؤ عليها لكن هل هناك آثار سلبية يؤدي إليها هذا التعبير الخاطئ.

---

(١) شرح السُّنَّة للبغوي (١٢/ ٢٢٠).

(٢) تفسير السعدي (٤/ ٧٧).

نعم هناك سلبيات كثيرة تحدث من جراء التعبير الخاطيء للرؤيا منها:

١ ـ أن بعض الناس يضعف توكلهم على الله تعالى وذلك باعتمادهم على رؤياهم فقد يحدث للإنسان أن يرى رؤيا فتفسر له على حصول شيء له فينظر هذا الشيء دون الأخذ بأسباب تحصيله إن كان خيراً أو الأخذ بأسباب اجتنابه إن كان شراً وهذا أمر مشاهد ومن هنا يضعف التوكل.

٢ ـ ومن الآثار السلبية للرؤيا إثارة الخوف والفزع عند الناس. مما تجده عند تعبير الرؤيا وذلك إذا عبرت من حاذق تجد أن من عبرت له يصاب بخوف ورعب من هذا التعبير ونحوه فلو سكت المعبر عن تعبيره أخذاً بأسباب السلامة له ولصاحبها لكان أولى وأسلم.

٣ ـ ومن الآثار السلبية أيضاً الاعتماد عليها الذي يؤدي إلى الكسل والبطالة عند كثير من الناس فتراهم إذا وجدوا شيئاً فيه خير لهم اعتمدوا عليه مما يؤدي إلى ركونهم إلى هذه الرؤيا وبالتالي يحدث الكسل والبطالة.

٤ ـ ومن الآثار السلبية لبعض المعبرين غير المجيدين: ظلم الآخرين والاعتداء عليهم. فقد يرى بعض الناس رؤيا ثم تعبر له بطريق الخطأ فيقال له هناك بعض الناس عدو لك فإما أنه يخبره به أو يصفه له وبالتالي يحدث هنا الظلم للآخرين الذي يترتب عليه الاعتداء عليهم إما بالضرب أو السب أو ذكرهم بما لم يكن فيهم ونحوه.

٥ ـ ومن الآثار السلبية أيضاً تخريب البيوت وهذا أمر مشاهد ومعروف فقد يرى بعض الناس أمراً ما فيعبر له على أن زوجته أو أحد أقاربه يقولون في حقك كذا أو أن زوجتك يحصل منها كذا مما يكرهه هو وبالتالي يحدث أشياء تؤدي إلى خراب هذا البيت أو قطع صلة رحم.

٦ ـ ومن الآثار السلبية أيضاً تساهل كثير من النساء في الكلمات دون حاجة تذكر وهذا مما يعاني منه الكثير وهذا ناتج بلا شك عن الجهل بأحكام الرؤيا وتعبيرها.

٧ ـ ومنها أيضاً أن بعض الناس قد يصاب بأمر ما فيرى رؤيا فيعبرها له

فلان من الناس الذي هو غير مجيد لها فيقول له إن فلاناً من الناس هو الذي أصابك بهذا السحر أو العين وما شابه ذلك وهذا من أعظم الأمور خطراً فإنه يوقع العداوة والبغضاء بين العشائر والقبائل ويترتب عليه أيضاً أمور لا ينبغي ذكرها وهذا بلا شك ناتج عن جهل المعبر لهذه الرؤيا.

الفوائد المستنبطة من رؤيا يوسف عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف: ٤ ـ ٦].

الفوائد المستنبطة:

الفائدة الأولى:

مشروعية قص الرؤيا على أهل العلم والفضل فيعقوب نبي وهو من أهل العلم والفضل ولذا قصها يوسف عليه ولعلمه بتأويله لها.

الفائدة الثانية:

معرفة يعقوب عليه السلام برؤيا يوسف وغايتها وما تؤول إليه ووسائلها التي تتقدم عليها ففسر الشمس والقمر بأبيه وأمه والأحد عشر كوكباً بإخوته وأن الحال سيكون بأن الجميع سيسجد له.

الفائدة الثالثة:

حصول المكانة العظيمة ليوسف عند أبويه عند رؤياه التي قصها عليه ولذا تراه كان معظماً تعظيماً بليغاً عندهم.

الفائدة الرابعة:

أن حصول الرؤيا الصالحة لا تكون لكل البشر فلا تحصل لأهل العلوم الفاسدة والأعمال الخبيثة الذين ينشرون الرذيلة في المجتمعات بل لا تكون إلا لأهل الاجتباء من الله فلا تحصل إلا لأهل العلوم النافعة والأعمال الصالحة والأخلاق الجميلة. ولذا قال يعقوب ليوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦].

الفائدة الخامسة:

أن من علم أن المكاره والمشقات تفضي إلى الخير والراحات تسلى وهانت عليه مشقتها وسهلت عليه وطأتها وحصل بذلك من اللطف والروح شيء عظيم وهذا من جملة اللطف الذي أشار إليه يوسف في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

فيوسف عليه السلام عند تفسير رؤيا أبيه له علم أنه ستكون له مكانة عظيمة ولكن لا يكون ذلك إلا بعد حصول مكروه له فيجب عليه أن يصبر فكأن يعقوب بذلك يريد أن يسهل على ابنه وطأة ما يحصل له وهكذا ينبغي لكل معبر أنه إذا عبر لإنسان رؤياه وكان مآلها إلى خير لكن بعد حصول مكروه للرائي فإنه يدعو الرائي إلى الاستعداد ولمقابلة ما يحدث له.

الفائدة السادسة:

البشارة العظيمة ليعقوب وأم يوسف وأخوته بحصول الرفعة والصلاح والخير.

الفائدة السابعة:

أنه يتعين على الإنسان أن يعدل بين أولاده وينبغي له إذا كان يحب أحدهم أكثر من غيره أن يخفي ذلك ما أمكنه وأن لا يفضله بما يقتضيه الحب من إيثار بشيء من الأشياء فإنه أقرب إلى صلاح الأولاد وبرهم له واتفاقهم فيما بينهم.

ولهذا لما ظهر لأخوة يوسف من محبة يعقوب الشديدة ليوسف وعدم

صبره عنه وانشغاله به عنهم سعوا في أمر وخيم وهو التفريق بينه وبين أبيه.

الفائدة الثامنة:

في قوله تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف: ٥] ففيها الآتي:

١ ـ أن الأصل أن لا تقص الرؤيا إلا على شفيق أو ناصح ولا تقص إلا على من يحسن تأويلها.

٢ ـ أن يحذر المسلم أخاه المسلم وإن كان أخاه في النسب مما يخاف عليه.

٣ ـ جواز ترك إظهار النعمة عند من يخشى غائلته حسداً وكيداً.

٤ ـ فيها أيضاً دليل واضح على معرفة يعقوب بتأويل الرؤيا فإنه علم من تأويلها أنه سيظهر عليهم.

٥ ـ أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره وهذا لقوله تعالى: ﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ﴾ [يوسف: ٥].

الفائدة التاسعة:

في قول إخوة يوسف لأبيهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٩٧].

أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية لا بنقص البداية فإن أولاد يعقوب جرى منهم ما جرى في أول الأمر مما هو أكبر أسباب النقص واللوم ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح والسماح من يوسف ومن أبيهم الدعاء لهم بالمغفرة.

الفوائد المستنبطة من رؤيا ملك مصر:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف: ٤٣، ٤٤].

الفائدة الأولى:

أن مكانة الرؤيا عظيمة في نفوس أصحابها فكان ولا بد من عرضها على أهل تأويلها ولذا أرسل الملك إلى أهل العلم منهم والبصر بالكهانة والنجامة والعرافة والسحر وأشراف قومه وقص عليهم رؤياه[(١)].

الفائدة الثانية:

أن هذه الآيات أصل في صحة رؤيا الكافر وأنها تخرج على حسب ما رأى لا سيما إذا تعلقت بمؤمن فكيف إذا كانت آية لنبي، ومعجزة لرسول وتصديقاً لمصطفى التبليغ[(٢)].

الفائدة الثالثة:

قال الإمام القرطبي: في الآية دليل على بطلان قول من يقول: إن الرؤيا على أول ما تعبر لأن القوم قالوا: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ ولم تقع كذلك فإن يوسف فسرها على سني الجدب والخصب، فكان كما عبر وفيها دليل على فساد أن الرؤيا على رجل طائر فإذا عبرت وقعت»[(٣)].

قلت: وكلام الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ فيه نظر لأن الذي قال بأن الرؤيا على رجل طائر فإذا عبرت وقعت هو النبي ﷺ.

فقد روى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت»** قال الراوي: وأحسبه قال: **«لا يقصها إلا على وادّ ـ يعني: محب ـ أو ذي رأي»**[(٤)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ١٩٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/ ٢٠٤).

(٣) المرجع السابق (٩/ ٢٠١).

(٤) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٠)، وأبو داود في الأدب باب ما جاء في الرؤيا (٤/ ٣٠٥)، والترمذي كتاب الرؤيا باب ما جاء في تعبير الرؤيا (٧/ ٤٩) وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٤٥٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩٤٧).

الفائدة الرابعة:

قوة يوسف عليه السلام في تعبير الرؤيا فلما عجز الناس عن تفسير رؤيا الملك للبقرات والسنبلات بالسنين الخصبة والسنين الجدبة.

ووجه المناسبة أن الملك به ترتبط أحوال الرعية ومصالحها وبصلاحه تصلح وبفساده تفسد.

وكذلك السنون بها صلاح أحوال الرعية واستقامة أمر الناس أو عدمه. وأما البقر فإنها تحرث الأرض عليها ويستقي عليها الماء. وإذا أخصبت السنة سمنت وإذا أجدبت صارت عجافاً.

وكذلك السنابل في الخصب، تكثر وتخضر وفي الجدب تقل وتيبس وهي أفضل غلال الأرض.

الفائدة الخامسة:

أنه ينبغي للمسؤول أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله ويرشده إلى الطريقة التي ينتفع بها في دينه ودنياه فإن هذا من كمال نصحه وفطنته وحسن إرشاده، فإن يوسف لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك بل دلهم ـ مع ذلك ـ على ما يضعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع وكثرة جبايته[١].

الأصول المتبعة في رؤيا النبي ﷺ في المنام:

كثيراً ما نسمع أن بعض الناس رأى النبي ﷺ وكل هذا لا شك حق ولكن تُرى هل الأمر على إطلاقه بمعنى هل كل من رأى رؤيا وزعم فيها أنه النبي ﷺ نصدقه ابتداءً دون وضع ضوابط لزعمه.

لا شك أنه لا بد من وجود ضوابط معتبرة وهذه الضوابط وضعها النبي ﷺ.

---

(١) انظر في الفوائد المستنبطة من قصة يوسف للإمام العلّامة ابن سعدي رحمه الله في: تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان (٦٦/١ إلى ٨٣) فإن فيها ما يشفي صدور المتقين نسأل الله أن يتغمده برحمته إنه سميع قريب مجيب وكذلك في الجزء الأول من مجموعة مؤلفات الشيخ (١٠٧/١ ـ ١٤٩).

فقد جاء في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**»(١).

وله من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل بي الشيطان**»(٢).

ولمسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإنه لا ينبغي للشيطان أن يتشبه بي**»(٣).

من نظر إلى هذه الأحاديث وجد أنها جاءت بعدة أمور:

الأمر الأول:

ثبوت رؤيا النبي ﷺ في المنام فإذا جاء إليك أحد فقال لك أنه رأى النبي ﷺ لا تكذبه.

الأمر الثاني:

أن رؤيا النبي ﷺ ليست مقصورة على أهل الصلاح بل العصاة كذلك يرونه وذلك لأن الأحاديث لم تخصص بل جاءت عامة ولذا قال الإمام النووي: ورؤيا النبي ﷺ تكون للصالحين وغيرهم.

الأمر الثالث:

أن الشيطان لا يمكنه أن يتشبه بالنبي ﷺ وهذا من تمام حفظ الله تعالى لنبيه ﷺ.

الأمر الرابع:

أنه ينبغي معرفة صفة النبي ﷺ الخَلْقية لكي تعرف هل هو أم لا لأن الشيطان يستطيع أن يكذب ولكنه لا يستطيع أن يتمثل بالنبي ﷺ.

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٣٩٩).
(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٩٩)، مسلم بشرح النووي (١٥/ ٢٦).
(٣) مسلم بشرح النووي (١٥/ ٢٦).

فإذا جاء الرجل وقال: إنه رأى النبي ﷺ، فنقول له: نعم لكن صف لنا ما رأيت فإن قال رأيت رجلاً طويلاً يلبس عمامة كبيرة وثوباً يجرجر على الأرض ليس له لحية وبيده مسبحة طويلة فنقول له هذه ليست رؤيا النبي ﷺ بل هذا شيطان لأن الشيطان يستطيع أن يأتي بهيئته التي جاءت بها نصوص السُنة المعروفة من كونه ﷺ كذا وكذا ولحيته كانت كذا وثوبه كان كذا فإن جاءت بخلاف ذلك فأعلم أنها ليست برؤيا النبي ﷺ.

قال في فتح المنعم[1]:

«لكن لا بد من معرفة صفاته ﷺ لأن الشيطان يلبس على ابن آدم بكل طريقة وفي كل مجال، فقد يخيل للشخص أنه رأى النبي ﷺ وهو لم يره بل من تلبيس الشيطان، ولا يفيد قول المثال المرئي: أنا رسول الله، ولا قول من حضر معه: هذا رسول الله لأن الشيطان يكذب لنفسه ويكذب لغيره وقد ضل في هذا الشأن خلق كثير من الصوفية ونحوهم والعياذ بالله.

وسنذكر هنا بعض صفاته ﷺ الخلقية لكي يتعرف من رآه في منامه هل رآه حقاً أم هو من تلبيس الشيطان له:

١ ـ كان ﷺ ربعة من الرجال «يعني: مربوعاً وهو ما بين الطويل والقصير».

٢ ـ بعيد ما بين المنكبين.

٣ ـ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

٤ ـ ولا بالأبيض الأمهق ولا الآدم «والمعنى أنه ليس كريه البياض كلون الجص ولا شديد السمرة ولكن هو بين ذلك».

٥ ـ أزهر اللون، مشرباً بحمرة في بياض ساطع كأن وجهه القمر حسناً.

٦ ـ ضخم الكراديس: أي ضخم رؤوس العظام أو ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين.

٧ ـ أوطف الأشغار والمعنى طويل أهداب العينين.

---

(١) فتح المنعم شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم (٣/ ١٨٢).

٨ ـ أدعج العينين: أي شديد سواد العينين.

٩ ـ واسع الفم مفلج الأسنان براق الثنايا.

١٠ ـ حسن الأنف.

١١ ـ ضخم اليدين.

١٢ ـ كث اللحية واسعها.

١٣ ـ أسود الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط له شعر يبلغ شحمة أذنيه، لم يبلغ شيب رأسه ولحيته عشرون شيبة.



هل ينبني على الرؤيا حكم شرعي؟

سؤال قد لا يرد على عقول أهل البصيرة والالتزام إذ كيف يسوغ لأحد من البشر أن يجعل أحكام الشريعة مصدرها الرؤى والأحلام، ولكن حين تقرأ كتب الأولين تجد أن هناك من ضل في هذا الجانب وبخاصة غلاة الصوفية الذين يرتكبون المحرمات ويتركون الواجبات بحجة رؤياهم التي هي بلا شك وحي من الشيطان وليست بوحي من الرحمٰن فلا تستغرب من قوم يقولون: «حدثني قلبي عن ربي أن أفعل كذا» أو يقول: «أخذتم علمكم عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت» يعنون أن علمهم جاء عن طريق الإلهام الرباني الذي قذفه الله في قلوبهم ولذا تراهم لا يبالون بفعل محرَّم أو ترك واجب هذا فضلاً عن شركهم وكفرهم القولي والعقدي.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في الاعتصام في رده عليهم:

فلربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي كذا وأمرني بكذا فيعمل بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة وهو خطأ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على أي حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها وإلا وجب تركها والإعراض عنها... إلى أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ: فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المُنَّة أي: ضعيف القوة[1].

وخلاصة القول في ذلك أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يثبت بالرؤيا حكم شرعي حتى ولو رأى النبي ﷺ.

فقد يقول قائل: أنا رأيت النبي ﷺ وأمرني بكذا وهو حكم يخالف

---

(١) الاعتصام (١/٢٦).

الشريعة فهذا مردود وبلا شك لأن الشرع الذي شرعه الله لنا على لسان نبينا محمد ﷺ قد كمله الله تعالى قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣].

لكن هناك أمر مهم وهو أن الرؤيا قد يستأنس بها في بعض الأحكام الشرعية فقد يُفتي بعض الناس بحكم شرعي في مسألة ما ثم يرى في رؤياه صحة قول المفتي الذي أفتاه فهنا نقول بأنه يستأنس بهذه الرؤيا في صحة قول من أفتى وهذا قد حصل.



السؤال عن الرؤيا

مما لا شك فيه أنه يستحب السؤال عن الرؤيا وعن تعبيرها لكي يستفاد بها أما الغفلة عنها وتركها فهذا ليس من هدي سلف الأمة.

فقد كان النبي ﷺ يسأل أصحابه عن الرؤيا فمن كان منهم قد رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ فيعبرها له وكذا نبينا ﷺ كان إذا رأى رؤيا قصها وعبرها لأصحابه وهكذا كان هديه صلوات الله وسلامه عليه وكذا هدي أصحابه فعلم من هديهم أنه يستحب السؤال عن الرؤيا وقصها للاستفادة منها.

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال:

«كان رسول الله ﷺ يعني مما يكثر أن يقول لأصحابه: **هل رأى أحدٌ منكم رؤيا**؟ قال فيقص عليه ما شاء أن يقص» وذكر الحديث بطوله في البخاري[(١)].

لكن ما ذكرناه ليس على إطلاقه بمعنى أنه ليس كل ما يرى في المنام يطلب الإنسان تعبيره فقد ذكرنا فيما سبق أن الأضغاث لا يقصها الإنسان على أحد لكي يعبرها له ولا يلتفت لها وهذا مما نعاني منه كثيراً وبخاصة من النساء هداهن الله.

وخلاصة الأمر: أن من رأى رؤيا صالحة شرع له أن يسأل عنها لكي يستفيد منها ولا يسأل عنها إلا من توفرت فيه الشروط المعتبرة في المعبر التي مر ذكرها أما الرؤيا غير الصالحة التي هي من الشيطان فلا يلتفت إليها ولا يقصها على أحد.

---

(١) فتح الباري (١٢/٤٣٨).

أوقات تعبير الرؤيا

ذهب ابن سيرين إلى القول بأن الرؤيا لا تعبر في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها وهي بعد صلاة الصبح والعصر وقبل الزوال وهذا مما ليس له دليل بل جاء في صحيح البخاري ما يبطل هذه الدعوى يعني دعوى النهي عن تعبير الرؤيا في أوقات النهي.

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح وذكر حديث سمرة بن جندب السابق: قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه إشارة إلى ضعف ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمٰن عن بعض علمائهم قال: لا تقصص رؤياك على امرأة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس وفيه إشارة إلى الرد على من قال من أهل التعبير أن المستحب أن يكون تعبيرها من بعد طلوع الشمس إلى الرابعة ومن العصر إلى قبل الغروب فإن الحديث دال على استحباب التعبير قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها في أوقات كراهة الصلاة[١].

أما عن الحكمة من تعبيرها بعد صلاة الصبح:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قال المهلب: تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولى من غيره من الأوقات لحفظ صاحبها لها ولقرب عهده بها وقبل ما يعرض له نسيانها ولحضور ذهن العابر وقلة شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتأهب لذلك فربما كان في الرؤيا تحذير عن معصية فيكف عنها وربما كانت إنذاراً لأمر فيكون له مترقباً قال فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا أول النهار انتهى ملخصاً[٢].

---

(١) فتح الباري (١٢/ ٤٤٠).

(٢) المرجع السابق (١٢/ ٤٤٠).

التواطؤ على الرؤيا

إذا توافق جماعة على رؤيا ما فهذا يسمى تواطؤاً حتى وإن اختلفت عبارتهم، والتواطؤ على الرؤيا يدل على صدقها وصحتها.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عند شرحه لحديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أن أناساً أروا ليلة القدر في السبع الأواخر...» الحديث.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويستفاد من الحديث أن توافق جماعة على رؤيا واحدة دال على صدقها وصحتها كما تستفاد قوة الخبر من التوارد على الأخبار من جماعة[1].



(١) فتح الباري (١٢/ ٣٨٠).

هل يلزم وقوع الرؤيا بعد تعبيرها مباشرة

بعض الناس ينتظر حصول ما رآه بعد تعبير المعبر له رؤياه وهذا مما لا شك فيه أمر غير صحيح لأن حصول مقصود الرؤيا قد يتأخر سنة أو ثلاثاً أو أكثر ألا ترى أن النبي ﷺ رأى رؤياه لفتح مكة قبل أن يفتحها بعام بل ألا ترى أن يوسف عليه السلام لم تحصل له رؤياه إلا بعد أكثر من ثلاثين عاماً فحصول أمر كوني قدري يحصل بتقدير الله ﷻ له في وقته الذي هو مكتوب عنده في لوحه المحفوظ.

والاستعجال بوقوعها أمر غير مطلوب ولكن ينبغي للإنسان أن يهيىء نفسه لحصول رؤياه إن كان فيها بشرى ينتظرها وإن كان فيها إنذار فليستعد له.



خواطر
حول الرؤى وتفسيرها

خواطر حول الرؤى وتفسيرها

س: كيف يتم تفسير الرؤى؟ وعلى أي أساس يتم التفسير؟ وهل يشمل التفسير كلاً من الرؤى والأحلام أم يقتصر على أحدهما؟ وهل يعني ذلك أن لا تفسير للأحلام؟

س: ما هي الصفات التي عادة ما تكون في مفسر الرؤى؟ وهل هناك رؤى معينة تعتبر رموزاً لأشياء كالموت والحياة والتوفيق والفقر والمصائب والمحاسن؟

س: هل للرؤى معايير يتم على ضوئها تفسيرها أم هي عملية اجتهادية؟ وهل نتائج التفسير للرؤى في الغالب تكون في الدنيا أم في الآخرة؟

س: كيف يعرف الرائي بأن ما رآه في المُنام رؤيا أم حلم؟

س: هل صحيح أن إبلاغ الرؤيا السعيدة والتي يكون مضمونها الخير لأحد لا يحبه الرائي يذهب الخير الذي فيه؟ وهل يلزم تكرار الرؤيا السعيدة أو السيئة حتى تثبت نتيجته أو حقيقته؟ وهل هناك عدد معين للرؤى لذلك؟

س: عندما يقرأ الإنسان الأدعية والأوردة الشرعية قبل النوم هل يعني ذلك أنه لا يحصل له رؤيا؟

س: هل يلزم أن يكون الإنسان مستقيماً حتى يرى الرؤيا أم هي لجميع البشر أن يروا بالمنام رؤياهم؟ وهل هناك صفات يجب توفرها في الرائي؟

س: لماذا تكثر الرؤى والأحلام عند بعض الأشخاص في النوم بحيث أن الإنسان النائم يرى عدة رؤى وتكون متعددة ومتقطعة؟ وهل هناك تفسير لرؤى النهار؟

س: هل الكابوس يعتبر حلماً مزعجاً؟ وما هي حقيقته؟ وما حقيقة

الحلم الذي يطلق عليه (الجاثوم)، والذي عادة ما يخنق الإنسان في نومه؟ وكيف يمكن الوقاية منه؟

س: هل الأحلام أو الرؤى التي يتم تفسيرها لها علاقة بالماضي أم بالحاضر أم بالمستقبل؟ ومتى يكون ذلك؟

س: ما تفسير الرؤى المتقطعة والغير مفهومة؟

س: متى يجوز للإنسان أن يفسر رؤياه أو حلمه ومتى يجب ذلك؟ وهل تنصحون بالتفسير عموماً؟

س: ما هو سبب الرؤى الطويلة والتي عادة ما تكون كالقصة بحيث تستمر فترة من الزمن من النوم وهل لها تفسير؟

س: نسمع ونقرأ عن تفسير الرؤى عند النصارى واليهود فحسب معلوماتك على ماذا يعتمدون في تفسيراتهم؟

س: هناك رؤى تتعلق بماضي الإنسان كطفولته والتي عادة تتكرر كثيراً كمنزل قديم سكنه الرائي في صغره، فهل هذه رؤيا تختلف عن الرؤيا الأخرى، وما هو سببه؟

س: ما هي أغرب الرؤى التي فسرتها؟

س: هل للرائي الذي يرى الموت في منامه صفات معينة كالنزهة والطهارة والطيبة؟ وهل كل ما يصدر عن الموتى حقيقي في الرؤيا كالنهي عن شيء أو طلب شيء؟

س: هل للجن علاقة برؤى الإنسان كأن يرى الإنسان بجماع جنية؟

س: هل ورد في الأثر تفسير للرؤى؟



بسم الله الرحمن الرحيم

خواطر حول الرؤى وتفسيرها

١ ـ الرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في النوم من الأشياء لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح ومنه قوله تعالى: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾.

٢ ـ وقد وكل الله بالرؤيا ملكاً اطلع على أحوال بني آدم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثلاً فإذا نام مثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة وهنا يأتي الشيطان فيلبس عليه رؤياه ويغلطه فيها ليفسد عليه رؤياه.

٣ ـ الرؤيا من الله والحلم من الشيطان.

فإذا رأى المسلم رؤيا يحبها فليحمد الله عليها وليحدث بها من يحب وإذا رأى ما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره بإذن الله.

وقد ورد في بعض النصوص «**وليتحول عن جُنبه الذي كان عليه**».

وقد ثبت في صحيح البخاري «**الرؤيا من الله والحلم من الشيطان**».

إذاً فآداب الرؤيا الصالحة:

أ ـ أن يحمد الله عليها.

ب ـ أن يستبشر بها.

جـ ـ أن يتحدث بها لمن يحب.

وآداب الحلم أربعة:

أ ـ أن يتعوذ بالله من شره ومن الشيطان.

ب ـ أن يتفل عن يساره.

جـ ـ ألا يذكره لأحد.

د ـ أن يتحول عن جنبه.

٤ ـ الرؤيا أقسام منها:

أ ـ إلهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد.

ب ـ مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها.

جـ ـ التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أقاربه وأصحابه.

د ـ رؤيا ما يعتاده الرائي في اليقظة.

هـ ـ تلاعب الشيطان وهذا هو الحلم.

٥ ـ يحرم الكذب في الرؤيا وهو من كبائر الذنوب والعياذ بالله.

وقد جاء الوعيد من رسول الله ﷺ على ذلك ثبت في صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل**».

وقد جاء بلفظ آخر: «**إن أعظم الفرية أن يفترى الرجل على عينيه يقول رأيت ولم ير**».

والعقد بين الشعيرتين أن يفتل إحداهما بالأخرى وهو مما لا يمكن عادة

٦ ـ ينبغي الاحتياط في تعبير الرؤيا فقد ثبت أنها على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت.

وقد وقفت على حديث عند الدارمي وغيره روته عائشة قالت: «كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف فكانت ترى رؤيا كلما غاب عنها زوجها وقلما يغيب إلا تركها حاملاً فتأتي رسول الله ﷺ فتقول: إن زوجي خرج تاجراً فتركني حاملاً فرأيت فيما يرى النائم أن سارية بيتي انكسرت وأني ولدت غلاماً أعور، فقال رسول الله ﷺ: «**خير يرجع زوجك عليك صالحاً وتلدين غلاماً براً**»، وقد رأت ذلك مراراً ثم جاءت ذات مرة ورسول الله غير موجود فقالت لها عائشة: عما تسألين فأخبرتها فقالت عائشة: والله لئن

صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدين غلاماً فاجراً، فقعدت تبكي حتى جاء رسول الله وعلم الخبر فقال: «**مه يا عائشة إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على الخير فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها**»، فمات والله زوجها ولا أراها إلا ولدت غلاماً فاجراً».

٧ ـ النصوص تفيد أنه لا يعبر الرؤيا إلا عالم بأحكامها ومدلولاتها وقد يصيب المعبر وقد يخطئ.

ويجب على المعبر أن يكون ملماً بأقسام التأويل وأدلته من الشرع فهناك أدلة كثيرة في الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة توضح ذلك.

٨ ـ تأويل الرؤيا ينقسم أقساماً فقد يكون بدلالة الكتاب والسنة أو من الأمثال السائرة بين الناس وقد يقع التأويل على الأسماء والمعاني وقد يقع على الضد والقلب ومن أمثلة ذلك.

من دلالة القرآن كالحبل يعبر بالعهد ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾، والسفينة تعبر بالنجاة ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾، والخشب يعبر بالنفاق ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾، والمريض بالنفاق ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

ومن دلالة السنة الغراب يعبر بالرجل الفاسق والفأرة يعبر بالمرأة الفاسقة والضلع يعبر بالمرأة والقوارير تعبر بالنساء لثبوت ذلك عن رسول الله ﷺ.

ومن التأويل بالأمثال كالصائغ يعبر بالكذاب لقولهم أكذب الناس الصواغون، وحفر الحفرة يعبر بالمكر لقولهم من حفر لأخيه حفرة وقع فيها.

ومن التأويل بالأسماء كمن رأى رجلاً يسمى راشداً يعبر بالرشد ومن رأى رجلاً يسمى سالماً يعبر بالسلامة.

ومن التأويل بالمعنى كالأترج يعبر بالنفاق لمخالفة باطنه ظاهره وكالورد والنرجس يعبر بقلة البقاء لسرعة ذهابه.

ومن التأويل بالضد والقلب كالخوف في النوم يعبر بالأمن لقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.

ويعبر البكاء بالفرح ويعبر الضحك بالحزن ولكن هذا كله يحتاج إلى دراية وفراسة لأنه قد لا يكون على اطلاقه فمثلاً قد يعبر الغل للرجل الصالح بقبض اليد عن الشر وهو لغيره قد يكون قيداً ليديه ورجليه كما روي عن ابن سيرين في تأويل من رأى نفسه يؤذن فأحدهما أولها بالحج والثاني بقطع يده في السرقة.

فلما قيل له قال: رأيت الأول على سيما حسنه فأولتها على ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ ولم أرى هيئة الثاني فأولتها على ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾.

٩ ـ مما أخبر به الرسول ﷺ أن من الرؤيا ما يصدق ومنها ما لا يصدق فلا بد من التفريق بين ما جاءه من الله وما كان من أضغاث الشيطان وتلاعبه.

١٠ ـ يتم تفسير الرؤيا بالاستنباط من الكتاب والسنة واستخلاص ما يكون فيها من الأسماء والمعاني والدلالات مع السؤال عن صاحب الرؤيا ومعرفة أحواله فلكل ما يناسبه.

والرؤيا هي التي تفسر وأما الأحلام فهي من الشيطان يحزن بها المؤمنين.

١١ ـ الرؤيا لا تقص على كل أحد بل لا تقص إلا على أهل العلم والفضل والدين الذين يعرفون التأويل ويحسن أن يكون الذي يتولى تأويلها شفيقاً ناصحاً لإنه إن عرف خيراً قاله وإن جهله أو شك فيه سكت وأرشد صاحب الرؤيا إلى ما ينفعه في أمور دينه ودنياه.

قال ﷺ «**إن الرؤيا تقع على ما تعبر به ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحاً أو عالماً**»

نعم هناك أمور ترمز لها الرؤيا يعرفها أهل الاختصاص تستنبط مما يرد في الرؤيا من الأسماء والدلالات والمعاني ويضم إلى ذلك أحوال الرائي وملابساته.

١٢ ـ نتائج التفسير في الغالب في الدنيا وقد يكون منها المبشرات في الآخرة.

الفرق بين الرؤيا والحلم أن الرؤيا من الله والحلم من الشيطان والرؤيا غالباً ما تكون منضبطة والأحلام صور في الخيال حالة النوم ثم إن لها علاقة بحال الرائي من حيث الصلاح والاستقامة.

١٣ ـ الخير لا يذهب إذا قدره الله جل وعلا ودلت عليه الرؤيا لكن لا ينبغي أن تقص الرؤيا إلا على شخص عالم فاهم ناصح مدرك لأن غيره قد يؤل الرؤيا تأويلاً خاطئاً فتقع عليه.

ولا يلزم تكرار الرؤيا وليس لها عدد معين لكن إذا تكررت الرؤيا فهذا علامة على أهميتها وأنه ينبغي لصاحبها السؤال عنها لأن قد تكون مبشرة أو منذرة.

١٤ ـ لا يعني كون الشخص يقرأ الأدعية والأوراد عدم حصول الرؤيا له لكن ذلك بإذن الله عاصم له من الشيطان وحافظ له منه شريطة أن يوقن بأثر هذه الأوراد وأن يزول ما ينافيها من حال الشخص.

١٥ ـ الغالب أن الرؤيا الصالحة للرجل الصالح ولكن قد يرى الرجل الفاسق رؤيا وتكون مبشرة له بصلاحه أو منذرة له عن فسقه.

الناس في الرؤيا على درجات:

أ ـ الأنبياء ورؤياهم وحي وصدق.

ب ـ الصالحون والأغلب على رؤياهم الصدق.

جـ ـ من عداهم ويقع في رؤياهم الصدق والأضغاث.

وهذا القسم منهم المستورون ومنهم الفسقة وغيرهم.

١٦ ـ كثرة الرؤيا وقلتها لا يعني شيئاً بل ذلك راجع لأحوال الشخص وأعماله وتفكيراته واهتمامه بهذا الأمر ولا فرق في صحة الرؤيا وصدقها بين النهار والليل لكن كما قلت سابقاً هناك أمور كثيرة تحف بالرؤيا لها دلالات في تفسيرها وهي الأسماء والمعاني وأحوال الرائي.

١٧ ـ الكابوس عادة يأتي بين النوم واليقظة وهو من الشيطان والوقاية منه بالمحافظة على الأوراد والأدعية التي هي حصن بإذن الله للشخص وأهله من الشيطان وجنوده وقد كان من هديه ﷺ أنه يعوذ الحسن والحسين «**أعيذكما بكلمات الله التامات من شر ما خلق**».

١٨ ـ الأحلام من الشيطان.

والرؤى لها علاقة أحياناً بالماضي وأحياناً بالحاضر وأحياناً تكون مبشرة أو منذرة للمستقبل.

الغالب أنها حلم وليست برؤيا

١٩ ـ الأولى تفسير الرؤيا ولكن تعرض على أهل التعبير أما الأحلام فالأولى نسيانها وعدم السؤال عنها لإنها من الشيطان.

٢٠ ـ الرؤيا المتقطعة قد تكون رؤيا ولها دلالاتها وأهل الاختصاص يعرفون ذلك جيداً.

٢١ ـ هناك تفسيرات قائمة على الخرافة ومناقضه الدين ومما يؤسف له أن بعضهم ربطها بالجنس والواقع أنها خيالات شيطانيَّة فسروها حسب حياتهم العابثة اللاهية بعيداً عن الضوابط الشرعية وليس ذلك بمستغرب عليهم لكن الذي يحز في النفس أن بعض المسلمين نقلوا هذه الخرافات ونشروها عن طريق الترجمة في ديار المسلمين فخُدع بها بعض شباب وفتيات المسلمين وجرَّ ذلك عليهم شراً عظيماً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لا تختلف هذه الرؤيا عن غيرها لكنها في الغالب ترمز للاستقامة والصلاح وسلامة المنهج.

٢٢ ـ ليس له صفات معينة لكن الصلاح والاستقامة والشفافية وسلامة الصدر لها أثر في ذلك ولا يترتب على الرؤيا حكم شرعي لكن قد تكون دالة على أمر مهم.

وقد وقفت على حالات كثيرة مسح فيها الميت على مكان الوجع من

الحي فشفاه الله وأيضاً أرشد الميت إلى سداد دين عليه وبعد التحري والتثبت بين وجود الدين، وأيضاً دل الميت على انحراف إحدى بناته فتنبه الوكيل لذلك وغير ذلك مما هو معروف عند المختصين.

٢٣ ـ الجن لهم علاقة بالأحلام.

نعم وردت نصوص كثيرة في السنة حول الرؤيا وتفسيرها ولعل أجمع ما ورد في ذلك ما كتبه العلامة ابن حجر رحمه الله تعالى فمعظم من كتب في الرؤيا قديماً وحديثاً عُيَّال عليه.

٢٤ ـ والرؤيا فيها من بديع لطف الله وتدبيره ما يزيد المؤمن في إيمانه ومرائي الأنبياء والصالحين لا يحصى ما اشتملت عليه من المنافع المهمة والثمرات الطيبة ففيها البشارات للمؤمنين والتنبيهات للغافلين والتذكرة للمعرضين وإقامة الحجة على المعاندين، قال ابن عبد البر: «وعلم تأويل الرؤيا من علوم الأنبياء وأهل الإيمان. . .».



رسالة في

فضل الصحابة رضي الله عنهم

(تنشر لأول مرة)

فضل الصحابة

تعريف الصحابي لغة:

الصحابة في اللغة مشتق من الصحبة وكل شيء لازم شيئاً فقد استصحبه؛ أي: دعاه إلى الصحبة ولازمه.

وفي الاصطلاح:

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام فيدخل فيمن لقيه:

من طالت مجالسته له أو قصرت.

ومن روى عنه أو لم يرو.

ومن غزا معه أو لم يغز.

ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه.

ومن لم يره لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى.

وقولنا: مؤمناً **به** يخرج من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة مثل بحيرا الراهب وغيره ويدخل في قولنا: **مؤمناً به** كل مكلف من الجن والإنس وخرج بقولنا: **ومات على الإسلام** من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله كعبيد الله بن جحش الذي كان زوج أم حبيبة فإنه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة فتنصر هو ومات على نصرانيته وكعبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة وكربيعة بن أمية بن خلف.

ويدخل في هذا القيد من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا ومن هؤلاء الأشعث بن قيس الذي ارتد وعاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

هذا هو التعريف المختار وقد عرفه بعضهم بتعاريف تشترط طول المجالسة أو الرواية عنه أو الغزو معه أو الاستشهاد بين يديه وشرط بعضهم أن يبلغ الحلم.

وهل يدخل في الصحبة من رأى النبي وهو ميت قبل أن يدفن كأبي ذؤيب الهذلي رجح ابن حجر عدم الدخول والله أعلم.

وقد رجح هذا التعريف الذي اخترناه أحمد بن حنبل والبخاري وابن حجر وأبو حامد الغزالي، والواقدي وأبو نعيم الأصبهاني وعلي ابن المديني وسعيد بن المسيب والخطيب البغدادي.

قال ابن الأثير في أسد الغابة: «أصحاب رسول الله ﷺ على ما شرطوه كثيرون فإن رسول الله شهد حنيناً ومعه اثنا عشر ألفاً سوى الأتباع والنساء وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنقذوا حريمهم وأولادهم. وترك مكة مملوءة ناساً وكذلك المدينة أيضاً وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين فهؤلاء كلهم لهم صحبة وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان، وكذلك حجة الوداع وكلهم لهم صحبة ولم يذكروا إلا هذا القدر... فإن من لم يرو ولا يأتي ذكره في رواية كيف السبيل إلى معرفته...».

الأدلة من القرآن على فضل الصحابة:

قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ﴾.

وقال تعالى: ﴿... لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)﴾.

الأدلة من السنة على فضل الصحابة:

١ ـ في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف شيء فسبَّه خالد فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحداً من أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه...**».

فالنبي ﷺ يقول لخالد ونحوه: «**لا تسبوا أصحابي**» يعني عبد الرحمٰن وأمثاله لأن عبد الرحمٰن ونحوه هم السابقون الأولون وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا وهم أهل بيعة الرضوان فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان.

والمقصود أنه نهى من له صحبة آخراً أن يسب من له صحبة أولاً لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه فإذا كان هذا حال الصحابة فيما بينهم فكيف بمن يأتي بعدهم من غيرهم.

٢ ـ وفي صحيح مسلم عن جابر قال: «قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر فقالت: وما تعجبون من

هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر».

٣ ـ وروى ابن بطة بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: «لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة ـ يعني: مع النبي ﷺ ـ خير من عمل أحدكم أربعين سنة» وفي رواية وكيع: «خير من عبادة أحدكم عمره».

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ـ**» الحديث.

٤ ـ وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة...**».

٥ ـ ولقد صدق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم حيث قال: «إن الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه سيِّئاً فهو عند الله سيء...».

٦ ـ وروى الترمذي بسنده: «**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه**».



حكم سبهم وتجريحهم

عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصره الإسلام وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم.

وقد روي عن أبي زرعة الرازي قوله: «إذا رأيت الرجل ينتقد أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة...».

وقال الإمام أحمد في كتاب السنة: «... ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن الذي جرى بينهم فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم فهو مبتدع... حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآرائهم فضيلة وقال: لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم ولا يطعن على أحد منهم فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته...».

عقيدة أهل السنة في الصحابة

قال الطحاوي: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ والانفراط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان».

إن من أصول أهل السنة الثابتة التي فارقوا بها من عداهم من أهل الزيغ والضلال أنهم لا يزرون بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا يطعنون عليه ولا يحملون له حقداً ولا بغضاً ولا احتقاراً فقلوبهم وألسنتهم من ذلك كله براء ولا يقولون فيهم إلا ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين المفرطين الغالين الذين يرفعون من يعظمون منهم إلى ما لا يليق إلا بالله.

وبين المفرِّطين الجافين الذين ينتقصونهم ويسبونهم فهم وسط بين الإفراط والتفريط يحبونهم جميعاً وينزلونهم منازلهم وما جرى بينهم من خلاف فهم فيه مجتهدون إما مصيبون ولهم أجر الاجتهاد وأجر الإصابة وإما مخطئون ولهم أجر الاجتهاد وخطؤهم مغفور وليسوا معصومين بل هم بشر يخطئون ويصيبون لكن صوابهم أضعاف صواب غيرهم وخطؤهم أقل بكثير من خطأ غيرهم.



الاقتداء بهم في إحياء ليالي رمضان

قال علي بن أبي طالب يصف أصحاب رسول الله ﷺ:

لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم أمثال رُكب المعْزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم إذا ذكر الله مادوا كما تميد الريح في يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين.

كل صحابة رسول الله أوّاه تالٍ بل كلهم متهجد فتعبد كل فرد منهم نسيج وحده في التهجد والعبادة لقد سبقوا على خيل ضُمَّر وأتعبوا من بعدهم.

ووصفتهم هند زوج أبي سفيان صبيحة فتح مكة فقالت: «والله ما رأيت الله تعالى عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة والله إن باتوا إلا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً».

ووصفهم شخص لعظيم الروم بعد خروجه من سورية قائلاً: «... هم فرسان بالنهار رهبان بالليل لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه...

ثم قال: لئن صدقت ليملكن موضع قدميَّ هاتين».

كانوا يقولون: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون وبنهاره إذا الناس يفطرون وبحزنه إذا الناس يفرحون وببكائه إذا الناس يضحكون وبصمته إذا الناس يخلطون وبخشوعه إذا الناس يختالون.

اطلع الصحابة على عبادة رسول الله وخشيته لربه وهذه بمثابة الدروس العملية لهم في عبادة الله والإخلاص له فنشأوا على ذلك محبين للعبادة مقبلين عليها.

وقد جمع صحابة رسول الله ﷺ إلى وفرة علمهم التقى والورع فكانوا يصومون النهار ويقومون الليل فكانت العبادة لا تنقطع في بيوتهم ليلاً ونهاراً.

ولا شك أن من عرف الله جل وعلا وعرف ما يجب له كان خوفه أعظم وورعه أكثر وزهده أدق.

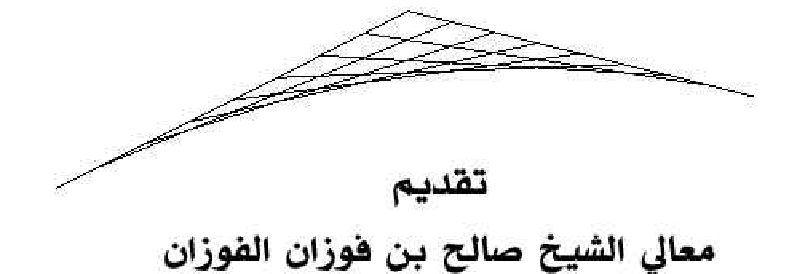
فحري بنا ونحن في هذا الشهر المبارك أن نضاعف العمل الصالح لنتشبه بهم وإن لم نصل إلى ما وصلوا إليه فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح.



كتاب

منهج أهل السنة والجماعة
في
معاملة ولاة أمرهم

ينشر لأول مرة



تقديم

معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان

الحمد لله رب العالمين، أمر بالاجتماع والائتلاف. ونهى عن التفرق والاختلاف.

والصلاة والسلام على نبينا محمد ما من خير إلا دل الأمة عليه وأمرها به.

وما من شر إلا بينه وحذر منه. وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى. ونجوم الدجى. ومن تبعهم بإحسان. وبعد:

فقد اطلعت على الرسالة التي ألفها أخونا الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار بعنوان: «منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاة أمورهم» فوجدتها رسالة قيمة مفيدة في موضوعها تدعو الحاجة إلى مثلها لبيان الحق الذي التبس على كثير من الناس في هذه المسألة بسبب دعاة الضلال وأحزاب الفتنة الذين يريدون أن يفرقوا جماعة المسلمين ويوقعوا الشقاق بينهم على نهج فرقة الخوارج التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في وقت مبكر وهي مكيدة من شياطين الجن والإنس حتى صار الكلام فيها الآن هو الشغل الشاغل خصوصاً في أوساط الشباب الجاهل فكان لا بد من بيان الحق في هذه المسألة.

وإن ما كتبه الشيخ الدكتور عبد الله في هذه الرسالة هو من القيام بهذا الواجب العظيم. فجزاه الله خيراً ونفع بعلمه وبما كتب.

قاله وكتبه:

صالح بن فوزان الفوزان

١٩/١/١٤١٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

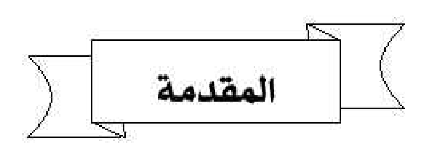
المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء

الرقم: ....
التاريخ: ....
المشفوعات: ....
الموضوع: ....

الحمد لله رب العالمين - أمر بالاجتماع والائتلاف، ونهى عن التفرق والاختلاف.
والصلاة والسلام على نبينا محمد ما من خير إلا دل الأمة عليه وأمرها به،
ولا من شر إلا بينه وحذر منه. وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى، ونجوم
الدجى. ومن تبعهم بإحسان. وبعد: فقد اطلعت على الرسالة التي
ألفها أخونا الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار بعنوان:
منهج أهل السنة والجماعة في معاملة ولاة أمورهم فوجدتها رسالة قيمة
مفيدة في موضوعها تدعو الحاجة إلى مثلها لبيان الحق الذي التبس على
كثير من الناس في هذه المسألة بسبب دعاة الضلال وأحزاب
الفتنة الذين يريدون أن يفرقوا جماعة المسلمين ويوقعوا الشقاق
بينهم على نهج فرقة الخوارج التي ابتليت بها الأمة الإسلامية في وقت
مبكر وهي عقيدة من شياطين الجن والإنس حتى صار الكلام فيها الآن هو
الشغل الشاغل خصوصاً في أوساط الشباب الجاهل فكان لا بد من بيان
الحق في هذه المسألة. وإن ما كتبه الشيخ الدكتور عبد الله في هذه الرسالة
لهو من القيام بهذا الواجب العظيم. فجزاه الله خيراً ونفع بعلمه وبما كتب

قاله وكتبه:
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

١٤١٨/١/١٩هـ



المقدمة

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥ ـ ١٠٧].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، القائل مرغباً ومرهباً: «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً: يرض لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم. ويكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**»[(١)]. وبعد. . .

فالعلاج لعلل المسلمين وأدوائهم هو الاجتماع على الحق والخير والانتصار للسنة ومحاربة البدعة وقمعها.

والاجتماع المنشود والمأمور به ليس مجرد الاجتماع ولو على أي منهج بل على منهج واحد، وطريق واحد هو طريق أهل السنة والجماعة طريق السلف الصالح. ولن يتحقق ذلك إلا بنشر العلم المستمد من الكتاب والسنة والصدور عن علماء الأمة الكبار الموثوق بهم. وتاجهم. في هذا الزمن كبار العلماء في بلاد الحرمين الشريفين، لثقة الناس بهم وعلو مكانتهم، وحرصهم على سلوك طريق سلف الأمة في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها. وهذا المسلك هو طوق النجاة بإذن الله لأمة الإسلام التي لم تصب ـ حسب علمي ـ بعلة أخطر من علة التفرق والاختلاف، وذلك بسبب البعد عن العلماء العاملين وترك منهجهم والصدور عن آراء بعض المتحمسين للإسلام.

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة (٢/ ١٣٤٠) برقم (١٧١٥).

الذين يفهمون النصوص فهماً يتفق مع منهجهم ومشربهم. ولذا حصل من التفرق ما الله به عليم واكتوت الأمة بنار الفرقة ولا تزال. وهذا أمر معلوم من دين الإسلام ولكن في وسط هذا الجو المتكهرب هناك طائفة ثابتة على الحق، تأخذ به وتدعوا إليه ولا يزال الحال كذلك حتى تقوم الساعة. وصدق الحبيب المصطفى ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»(١).

هذه الطائفة هي الطائفة المنصور، الثابتة على الحق، الطالبة لما عند الله. ومن طلب ما عند الله فإنه لا يخيب.

قال محمد بن عبد الله الثقفي: «شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم خرج علينا قبل التروية بيوم وهو محرم فلبى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد.... فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله ﷻ، فحق على الله أن يكرم وفده، فمن كان جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يخيب، فصدقوا قولكم بفعل، فإن ملاك القول الفعل والنية النية، القلوب القلوب، الله الله في أيامكم هذه فإنها أيام تغفر فيها الذنوب»(٢).

نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من هذه الطائفة، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن يرزقنا علماً نافعاً، وعملاً صالحاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
يوم الاثنين: غرة شهر رمضان المبارك
من عام ١٤١٦هـ
ص.ب: ١٨٨ الزلفي

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه الطبراني.

أهمية الدعوة إلى الله

هناك غاية محددة لوجود الجن والإنس تتمثل في أداء مهمة سامية من قام بها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها باتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل. هذه الغاية المحددة هي عبادة الله وحده كما شرع لعباده أن يعبدوه. ولا تستقيم حياة العبد كلها إلا على ضوء هذه المهمة والغاية. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

والدعوة إلى الله ﷻ من أفضل الأعمال وأقرب القربات وأوجب الواجبات، بعث الله تعالى صفوة خلقه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام للقيام بها، ووعد القائمين بها أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً في الدنيا والآخرة، بل إن الله جل وعلا جعلها شعاراً لأتباع خير الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ولقد كان هؤلاء وهم خيار عباد الله تعالى يهتمون بالدعوة أبلغ الاهتمام، ويحرصون على إخراج الناس من الظلمات إلى النور أشد الحرص، وهكذا حال من سلك دربهم من صالحي الأمة ومصلحيها، وهذا الاهتمام الملحوظ يرجع لأسباب منها:

١ ـ أن الله تعالى أعلا منزلة الدعاة، حيث يصيرون بها من أحسن الناس قولاً عند خالقهم ﷻ، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ۝٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

٢ ـ مما يجعل المسلم يحرص على تبليغ الدين إلى الناس دعاء النبي ﷺ لمن بلغ قوله إلى غيره حيث يقول: «**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها، فرب**

حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[١] ومعنى نضر الله هذا دعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة.

٣ ـ الحرص على هداية الناس له فضل عظيم، لا سيما إذا هدى الله على يده أحداً، يدل لذلك ما ثبت عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه لما أعطاه الراية يوم خيبر: **«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، وفوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»**[٢].

وقد بين الرسول ﷺ أن من دل على خير فله مثل أجر فاعله، فقد ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من دل على خير فله مثل أجر فاعله»**[٣] وأكد في سنته أن مما يتبع الشخص بعد موته وينفعه وهو في قبره العلم الذي يبثه في الناس، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»**[٤].

وحينما ننظر إلى سيرة الرسول ﷺ العملية في الجانب الدعوي نجده يدعو في جميع الأماكن والأزمان والأحوال فلم يوجه دعوته عليه الصلاة والسلام لصنف من الناس دون صنف، بل دعا الناس جميعاً من أحبوه ومن أبغضوه، ومن استمع إليه، ومن أعرض عنه، بل يوجه دعوته إلى من آذاه لأن الدعوة تكليف من الله لا بد من القيام به كسائر التكاليف الشرعية.

ولم يخص ﷺ مكاناً دون غيره للدعوة، بل كان يدعو في المسجد والطريق والسوق والحضر والسفر، بل وحتى في المقبرة، وعلى رأس الجبل.

---

(١) رواه ابن ماجه وهو صحيح. انظر: صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٤٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (٧/ ٤٧٦) برقم (٤٢١٠).

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمام (٣/ ١٥٠٦) برقم (١٨٩٣).

(٤) رواه مسلم في الوصية (٣/ ١٢٥٥) برقم (١٦٣١).

لم يترك الدعوة وكان ﷺ يستغل المواسم وأماكن تجمع الناس ليكون ذلك أبلغ في دعوته ولتصل أكبر عدد من الناس. واستمر ﷺ في أداء هذه المهمة الجليلة مشمراً عن ساعديه، باذلاً كل ما في وسعه، مستخدماً كل وسيلة متاحة متحملاً كل أذى في سبيل إبلاغ الدعوة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

وقد امتلأت سيرته وفاضت بالمواقف الدعوية الرائدة التي تتمثل فيه القدوة العملية للدعاة والعلماء والمصلحين، وسبيله في ذلك ومنطلقه وقاعدته العريضة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].



مفهوم أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم المتبعون للسنة في كل شأن، المجتمعون على الهدى. وبهذا يخرج أهل البدع وأصحاب الأهواء لأنهم غير مجتمعين على السنة والهدى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال أهل السنة والجماعة كما يقال أهل البدعة والفرقة»[(١)].

وقال أيضاً: «.. ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[(٢)]. ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سمُّوا أهل الكتاب والسنة، وسمُّوا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين. والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين...»[(٣)].

(١) الاستقامة (١/ ٤٢).
(٢) رواه أبو داود برقم (٤٦٥٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح.
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٥٧).

منهج أهل السنة والجماعة
في معاملة ولاة أمرهم

هناك نصوص صحيحة صريحة توجب طاعة ولاة الأمر والمناصحة لهم، وهذه النصوص ظاهرة كثيرة في القرآن والسنة المطهرة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

قال ابن كثير حول هذه الآيات[١]: فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: اتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: خذوا بسنته، ﴿وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ أي: فيما أمركم به من طاعة الله لا في معصية الله.

وقال العلامة الشوكاني في تفسيره[٢]: «لما أمر سبحانه القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالحق أمر الناس بطاعتهم ها هنا وطاعة الله ﷻ هي امتثال أوامره ونواهيه وطاعة رسوله ﷺ هي فيما أمر به ونهى عنه، وأولي الأمر هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية، لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية...».

وقال العلامة ابن سعدي[٣] في تفسيره حول هذه الآية: «ثم أمر بطاعته

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٨).
(٢) فتح القدير (١/ ٤٨١).
(٣) فتح الكريم المنان (٢/ ٨٩).

وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين. فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم طاعة لله، ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

١ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(١).

٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك**»(٢).

٣ - عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عبدُ حبشي كأن رأسه زبيبة**»(٣).

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(٤).

٥ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(٥).

٦ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**»(٦).

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ١٠٩)، مسلم (١٢/ ٢٢٦).
(٢) رواه مسلم (١٢/ ٢٢٤).
(٣) رواه البخاري (١٣/ ١٠٨)، مسلم (١٢/ ٢٢٥).
(٤) رواه البخاري (١٣/ ٩٩)، مسلم (١٢/ ٢٢٣).
(٥) رواه مسلم (١٢/ ٢٤٠).
(٦) رواه البخاري (١٣/ ٥)، مسلم (١٢/ ٢٤٠).

٧ ـ وعن أبي بكرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أهان السلطان أهانه الله**»[١].

٨ ـ وعن تميم الداري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة... قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢].

هذه النصوص الصحيحة الصريحة تفيد بمجموعها وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله وعدم إثارة الفتن مهما كان الدافع لها، والحرص على الجماعة ولزومها والنهي عن الفرقة لأن فيها خذلان الأمة وضعفها. وهذا هو منهج سلف الأمة الذي ساروا عليه وأكدوه فيما نقل عنهم من كلام حول النصوص السابقة، ومن ذلك ما يأتي:

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من الحاجة إلى رأس»[٣].

وقال في موضوع آخر: «ولهذا روي أن السلطان ظل الله في الأرض». «ويقال: ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان»[٤].

والتجربة تبين ذلك، ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: «لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان» ويقول في موضع آخر: «فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات...»[٥].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٤٢)، والترمذي (٢٢٢٥) وقال: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٣٧).

(٣) السياسة الشرعية (ص١٨٤).

(٤) السياسة الشرعية (ص١٨٥).

(٥) السياسة الشرعية (ص١٧٦).

٢ ـ ويقول ابن القيم رحمه الله:

«.. وقوله: ولزوم جماعتهم هذا أيضاً مما يطهر القلب من الغل والغش فإن صاحبه للزومه جماعة المسلمين يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسؤهم، ويسره ما يسرهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم، واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم لهم...»[١].

٣ ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]: «.. من نصب شخصاً كائناً من كان فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً».

وقد علق الشيخ بكر أبو زيد على هذا الكلام بقوله: «.. وهذه حال كثير من الجماعات والأحزاب اليوم، فإنهم ينصبون أشخاصاً قادة لهم فيوالون أولياءهم ويعادون أعداءهم ويطيعونهم في كل ما يفتون لهم دون الرجوع إلى الكتاب والسنة، ودون أن يسألوهم عن أدلتهم فيما يقولون أو يفتون...»[٣].

إن منهج أهل السنة والجماعة مع ولاة أمرهم منهج وسط عدل، يقوم على أساس الاتباع وعدم الابتداع، والطاعة بالمعروف، وهذا مقتضى الأثر الذي تضافرت حوله النصوص الشرعية التي أشرنا إلى طرف منها سابقاً، وقد أكد ذلك سلف هذه الأمة تطبيقاً عملياً لهذا المنهج.

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر»[٤].

ويقول: «إياكم والتبدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيق»[٥].

ويقول: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة»[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٢).
(٢) الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٣٩، ٢٤٠).
(٣) حكم الانتماء (ص١٢١).
(٤) رواه الألكائي في شرح الاعتقاد (١/ ٨٦).
(٥) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢١).
(٦) رواه ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢٤).

ويقول: «إنها ستكون أمور مشتبهات فعليكم بالتؤدة فإنك أن تكون تابعاً في الخير خير من ان تكون رأساً في الشر»[١].

وسمع الحسن رجلاً يدعو على الحجاج فقال: «لا تفعل ـ رحمك الله ـ إنكم من أنفسكم أوتيتم إنما نخاف إن عُزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنازير»[٢].

إن وجود الحكام للناس أمر لازم لزوم الماء للحياة إذ لا سعادة للبشر إلا بهم ولا عدلاً قائماً ولا حقاً ظاهراً إلا بسلطان الحكام، فالناس فوضى بدونهم، ولن يصلح الناس فوضى لا تقام فيهم أحكام الشرع، ولا تطبق عليهم حدود الإسلام، ولا تنفذ أنظمته ولا يأمن الناس على حياتهم، ولا تحقق رفاهية ولا يدفع عدو طامع مع هذه الفوضى، وقد عبر عن هذا المعنى رسولنا محمد ﷺ بقوله: **«إنما الإمام جُنة يقاتل من ورائه ويتقى به»**[٣].

ومن أجل ذلك بوأ الله للحكام مكاناً وأنزلهم منازل كريمة فكانوا ظل الله في الأرض وأحبابه يوم القيامة. وصدق الحبيب المصطفى ﷺ إذ يقول: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل...»** الحديث[٤].

إن تاريخ العلماء والحكام من سلف الأمة حافل بمواقف الاستبصار ومواطن الذكرى، ومملوء بالدروس النافعة الرائعة، والأمة أحوج ما تكون اليوم إلى الاتعاظ بهذه المواقف والاهتداء بهديها، لئلا تتجاذبها رياح الفتن وتغتالها غوائل الدهر، وتقع في المحذور الذي وقعت فيه فئات من الناس جهلت التاريخ المضيء لأمة الإسلام، وما كان عليه علماء الأمة من معاملة صادقة للحكام وحرص على الخير، وما كان عليه الحكام من تقدير للعلماء ورفع لمكانتهم.

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (١/٣٢٨).

(٢) أدب الحسن البصري لابن الجوزي (ص١١٩).

(٣) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري (٢/ ١١٦)، وصحيح مسلم (١/ ٧١٥).

(٤) رواه البخاري ومسلم، صحيح البخاري (٤/ ٦٠)، وصحيح مسلم الإمارة (٤٣).

وهذه حال أمة الأسلام، وهذا هو هدي سلفنا الصالح، ولذا شعرت الأمة خلال حقب التاريخ بالسعادة والرفاهية والأمن، وتحقق لها من الخير ما بوأها مكانة عالية مرموقة، وها هي بلاد الحرمين تنهج هذا النهج ـ ولله الحمد والمنة ـ يتولى أمرها حكام مسلمون آمنوا بالله واليوم الآخر وحافظوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ووقفوا عند حدودهما، والتزموا بأحكامهما. حضروا المساجد مع الرعية، وفتحوا لهم الأبواب يكرمون الزائر ويحترمون العالم ويجلونه ويسمعون النصح والإرشاد بكل أدب واحترام وهذا ما جعل هذه البلاد تحذو حذو سلف الأمة في العلاقة بين الحكام والمحكومين عامة، وبين الحكام والعلماء خاصة. ولذا لا يوجد في عرف بلاد الحرمين ـ وهو عرف نابع من الإسلام ـ رجال دين ولا رجال دنيا، فكل مسلم هو رجل من رجال الإسلام، ومن يعتقد بالإسلام يسمى مسلماً، والمسلمون جميعاً أمام دين الإسلام سواء ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

لكن يوجد علماء ربانيون يوجهون الناس ويعلمونهم ويدلونهم على الخير والناس بلا علماء هم جهال تتخطفهم شياطين الإنس والجن من كل حدب وصوب، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب.

ومن هنا كان العلماء من نعم الله تعالى على أهل الأرض، فهم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، وحجة الله في أرضه. بهم تمحق الضلالة من الأفكار، وتنقشع غيوم الشك من القلوب والنفوس، فهم غيظ الشيطان، وركيزة الإيمان، وقوام الأمة، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بهم في ظلمات الحياة في البر والبحر.

أخي القارئ. . . إن ما نعيشه في بلاد الحرمين الشريفين من نعمة الأمن والأمان والسلامة والإسلام مرده إلى تحكيم شرع الله، وما تقوم به هذه البلاد المباركة من جهود خيرة تعود على المسلمين جميعاً.

ويأتي في طليعة ذلك العناية بالحرمين الشريفين والقيام على شؤونهما، وبذل الأموال الطائلة على عمارتهما، وتيسير الوصول إليهما، وتأمين طريق الزائرين لهما في موسم الحج وفي سائر العام.

وهذه نعمة تستوجب الشكر والدعاء لولاة أمرنا بالتوفيق والصلاح والفوز والفلاح والعزة والسعادة في الدنيا والآخرة وأن يحفظ الله على هذه البلاد نعمة الأمن والإيمان وأن يزيدها عزاً وتمسكاً بشرعه القويم، ووقوفاً في وجه الباطل وأهله والمفسدين في الأرض الذين لا يريدون لهذه البلاد الاستقرار والأمن والطمأنينة. ولكن الله غالب على أمره يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد.

قال العلامة أحمد شاكر تعليقاً على حديث «**على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره...**» الحديث:

«.. أما الشرع الإسلامي فقد وضع الأساس السليم والتشريع المحكم بهذا الحديث العظيم، فعلى المرء المسلم أن يطيع من له عليه حق الأمر من المسلمين فيما أحب وفيما كره، وهذا واجب عليه يأثم بتركه سواء أعرف الآمر أنه قصر أم لم يعرف فإنه ترك واجباً أوجبه الله عليه، وصار ديناً من دينه إذا قصر فيه كان كما لو قصر في الصلاة أو الزكاة أو نحوهما من واجبات الدين التي أوجب الله...»[١].

وقال مجدد الإسلام وإمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «... وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله»[٢].

نعم إن محبة ولاة الأمر والنصح لهم دليل على الصدق والإخلاص، وهذا ديدن العلماء الصادقين في كل زمان مع ولاتهم الذين يحكمون بالكتاب والسنة. ونحن في بلاد الحرمين الشريفين نعيش في ظل الأمن الوارف وتحكيم الشرع المطهر فحق لولاتنا علينا السمع والطاعة والتعاون معهم في كل سبيل فيه الخير والمصلحة لهذه البلاد ومن يعيش على ثراها.

وإذا كانت الأمة مطالبة في كل وقت أن تكون يداً واحدة وأن تتعاون كل فئات المجتمع على الخير والبر فإنها مطالبة في هذا الوقت أكثر لعظم

---

(١) السمع والطاعة (ص٥، ٦).

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأحمد بن حجر آل بو طامي (٤٧).

الأخطار المحيطة بها. وصدق الحبيب المصطفى ﷺ في قوله: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً** ـ وشبك بين أصابعه ـ»(١).

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢).

إن من تمام شكر النعمة التي نعيش فيها أن نكون يداً واحدة متعاونين على الخير آمرين بالمعروف فاعلين له، ناهين عن المنكر مبتعدين عنه، عملاً بقوله الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢].

ويوم أن تتعاون فئات المجتمع ويصدر الناس عن رأي علمائهم الكبار في أمورهم العامة وقضاياهم المستجدة يتحقق بإذن الله الخير لهذا المجتمع ويتم التمكين له في الأرض، ونتفيأ ظلال المن في ظل تحكيم شرع الله المطهر في هذه البلاد المباركة، ولكي تتضح هذه النعمة ويعرف قدرها يحسن أن ندير أبصارنا إلى من حولنا من البلاد التي تعصف فيها رياح الفتن، ويسرح فيها الباطل، وتعشعش فيها الجريمة بكل أشكالها، ولا يأمن فيها الفرد على نفسه وماله وعرضه، بل لا يؤدي في كثير من الأحيان عبادته إلا بخفية خشية إيذائه من أهل الشر والضلال. فحمداً لك اللهم على نعمة الإسلام والأمن في الأوطان.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يديم على هذه البلاد نعمة تحكيم شرع الله وأن يحفظ لها ولاتها، وأن يزيدهم هدى وصلاحاً، وأن يجمع بهم كلمة المسلمين، وأن يأخذ بأيديهم لما فيه خير هذه البلاد وصلاح رعاياها. كما أسأله سبحانه أن يوفق علماءنا ويسدد على طريق الخير خطاهم، وأن ينفعنا بعلمهم ويجمعنا بهم ووالدينا وأحبابنا في جنات النعيم.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٩٨)، ومسلم (٨/ ٢٠).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٧٧)، ومسلم (٨/ ٢٠).

من حقوق ولاة الأمر

السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين أصل من أصول العقيدة السلفية إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً وبالافتيات عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا وقد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة يقول الفضيل بن عياض: لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان والسمع والطاعة لولي الأمر وحده وليس ذلك لأحد سواه كائناً من كان. فمن نزل نفسه منزلة ولي الأمر الذي له القدرة والسلطان على سياسة الناس فدعا جماعة للسمع والطاعة له أو أعطته تلك الجماعة بيعة تسمع وتطيع له بموجبها وولي المر قائم ظاهر فقد حادَّ الله ورسوله وخالف نصوص الشريعة واتبع غير سبيل المؤمنين.

يقول سهل بن عبد الله التستري: لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم.

ومنهج أهل السنة والجماعة تعظيم أمر السلطان ما دام يعظم أمر الله ويتبع شرعه وأما حصول الأخطاء والتقصير فهذا لا يسلم منه أحد ولم تسلم منه القرون المفضلة والذي ينبغي الحذر منه أن يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور فهذا عين المفسدة وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس كما أن ملء القلوب على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى وكذا ملء القلوب على العلماء يحدث التقليل من شأن العلماء وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها وكم من المصائب والمآسي التي حصلت لمجتمعات كثيرة بسبب هذا الأمر ومتى حصل الخلل في المجتمع أوشك أن تضرب الفتنة أطنابها وبالتالي لا يستقيم للمجتمع بنيان

ولا يقر له قرار وعلى العكس إذا فشت المحبة المتبادلة بين الراعي والرعية وبين العامة وعلمائهم وظهر الدعاء لولاة الأمور وللعلماء فإن ذلك من علامات خيرية الأمة وخيرية الأئمة. وبناءً على ذلك فلا يجوز الوقوع في أعراض الأمراء والعلماء والاشتغال بسبهم وذكر معائبهم لأن ذلك خطيئة كبيرة وجريمة شنيعة نهى عنها الشرع المطهر وذم فاعلها وهي نواة الخروج على ولاة الأمر الذي هو أصل فساد الدين والدنيا معاً. ولا شك أن الوسائل لها أحكام المقاصد فكل نص في تحريم الخروج وذم أهله دليل على تحريم السب وذم فاعله وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[١].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[٢] نسأل الله جل وعلا أن يعصم ألسنتنا من الوقوع في أعراض الخلق وخصوصاً من له الحق من الولاة والعلماء والأساتذة والأقارب ورجال الحسبة وأهل الفضل والدعوة وغيرهم.



(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٤٥ ـ ٥٣١)، فتح، ومسلم (١/ ٦٨).

(٢) رواه البخاري (١/ ٥٤)، فتح، ومسلم (١/ ٦٥).

العلماء وأثرهم على الناس

العلم من المصالح الضرورية التي تقوم عليها حياة الأمة بمجموعها وآحادها فلا يستقيم نظام الحياة مع الإخلال بها بحيث لو فاتت تلك المصالح الضرورية لآلت حال الأمة إلى الفساد ولحادت عن الطريق الذي أراده لها الشارع ولذا جاء الحث على العلم والاهتمام به والترغيب في طلبه في نصوص كثيرة متضافرة قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(١) ولعل سن الشباب هي خير ما يؤهل فيه الشاب لطلب العلم وقد يعجز عن إدراك الشيء بعد ما تتقدم به السن لكثرة العوارض والمشاغل وصدق الحسن إذ يقول: «طلب العلم في الصغر كالنقش على الحجر» وقال علقمة ﷺ: «أمَّا ما حفظت وأنا شاب فكأني أنظر إليه في قرطاسة أو ورقه».

وأوصى لقمان ابنه قائلاً: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء» وقال الشاعر:

نعم المؤانس والجليس كتاب ... تخلو به إن ملَّك الأصحاب
لا مفشياً سرّاً ولا متكبراً ... وتفاد منه حكمة وصواب

وقال آخر:

وأعلم بأن العلم أرفع رتبة ... وأجل مكتسب وأسنى مفخر

---

(١) رواه البخاري ومسلم صحيح البخاري، كتاب العلم (١٠)، وصحيح مسلم كتاب الإمارة (٣/ ١٧٥).

فاسلك سبيل المقتنين له تسد ... إن السيادة تقتنى بالدفتر
والعالم المدعو حبراً إنما ... سماه باسم الحبر حمل المحبر
وبضمَّر الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجياد الضمَّر

وقال ابن الجوزي:

«لما كان العلم أشرف الأشياء لم يحصل إلا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات والراحة».

ولا بد من الأدب مع العلماء واحترامهم وبيان محاسنهم فهم الشموع المضيئة والأعلام الهادية والأدلاء على الخير. هم بحر الأمة الدافق وقلبها النابض وبلسمها الشافي هم أهل الصلاح والتقى أهل الطاعة والعبادة.

وما أحقر بعض الأقزام من أهل الأهواء الذين لا يعرفون للعلماء قدرهم فيغمزونهم ويلمزونهم ويتطاولون عليهم وما علم هؤلاء أنهم يطعنون الأمة في أعز ما تملك بل في رصيدها الحقيقي وهم العلماء الذين يعتبر تقديرهم واحترامهم والأدب معهم من صميم ولوازم عقيدة المسلم ونحن مأمورون حال الاختلاف بالالتفاف حول الكتاب والسنة والرجوع إلى العلماء الربانيين الذين ينهلون من معين الوحيين وكلما ابتعد الشباب عن علمائهم تقاذفتهم الأهواء وفرقتهم الولاءات والانتماءات وابتعدوا عن الصراط المستقيم الذي ندعوا الله صباح مساء أن يهدينا إليه.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾.

فالواجب علينا معاشر المسلمين تجاه علمائنا وهم تاج علماء الأمة الإسلامية في هذا الزمان أن نصدر عن أقوالهم ولا سيما في قضايا الأمة العامة وما يهمها في أمر دينها ودنياها ولا سيما ونحن نرى مؤامرات الأعداء تحيط بنا من كل حدب وصوب كل همهم تفريق صف الأمة وتوهين قوتها والسعي لإبعاد الشباب عن علماءهم.

وما ضلت أمة أعلت قدر علمائها وتمسكت بمنهجهم وجعلتهم في مقدمة

الركب يقودون سفينة المجتمع إلى شاطئ السلامة لئلا تعصف بها رياح الأهواء والاختلافات التي مزقت الأمة وأضعفتها وجعلت ولاءها لغير الله ورسوله والمؤمنين.

ووصيتي لنفسي وأبنائي وطلابي والناس عامة والشباب خاصة أن يلتزموا بأدب الإسلام في انتقاء أطايب الكلام واجتناب الجرح والسب والإيذاء بالغمز والهمز واللمز.

وخير ما يعين على ذلك سلوك طريق العلماء الموثوقين الذين لهم قدم راسخة في العلم وهم في بلاد الحرمين ـ المملكة العربية السعودية ـ، تاج علماء الزمان فليلزم الشاب غرزهم وليسلم من طرائق الأهواء ومزالق الشيطان ومضلات الفتن ويبتعد عن الولاء لغير الله ورسوله والمؤمنين.



نموذج للتعامل الشرعي مع الولاة

يعتبر شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية أحد الأعلام الذين خلد الزمان ذكرهم وأصبح الناس يتتلمذون عليهم على مر العصور وتعاقب الأيام ذلك أنه اجتمعت لهذا العالم صفات لم تجتمع في أحد من أهل عصره فهو الذكي الألمعي وهو الكاتب العبقري وهو الخطيب المصقع وهو الباحث المنقب وهو العالم المطلع الذي درس أقوال السابقين وقد أنضجها الزمان وصقلتها التجارب وفحصتها الاختبارات فنفذت بصيرته إلى لبها وتغلغل في أعماقها وتعرف أسرارها وفحص الروايات ووازن بين الآراء المختلفة وطبقها على عصوره مع إدراك للكليات الجامعة والفروق البديعة والتقاسيم الدقيقة وربط للجزئيات وجمع للأشتات المتفرقة ووضعها في نسق واحد.

لقد كانت لهذا العالم مواقف في غاية الأهمية ملؤها الحزم والشدة في ضوء النصوص الشرعية الثابتة بيَّض بهذه المواقف وجه الإسلام أمام أعدائه من اليهود والنصارى والتتار والملحدين والزنادقة والجهمية المعطلة والمبتدعة وعباد الموتى وغيرهم فقد صمد لهؤلاء جميعاً وآتاه الله من قوة اليقين وشجاعة القلب والنفس وقوة الحجة ما أخرسهم وقطع ألسنتهم وسود وجوههم حتى استعانوا عليه بالزور والافتراء والتحريف لقوله ووصلوا في هذا الجو الجاهل إلى بعض ما أرادوا من حبسه وهذا أمر معروف مشهور لكن بعض المنتسبين للدعوة في زماننا هذا ولغاية في النفوس يحور هذا الأمر ويقول: إن سجن شيخ الإسلام ابن تيمية حدث بسبب مخالفته للسلطان وأن موقفه كان سياسياً بحتاً لأن هؤلاء المنتسبين للدعوة يتعلقون بكل شيء يمت للسياسة والمخالفات السياسية لكن المطلع المنصف المتجرد على سيرة الإسلام يعرف ما حدث لهذا العالم من تسلط الفرق الضالة والمذاهب المنحرفة أهل الأهواء يتبين له بجلاء موقف الشيخ منهم ذلك

الموقف الصلب المتشدد الذي يقوم على قرع الحجة بالحجة وهدم الباطل من أساسه والذي يؤكد لنا أن موقفه لم يكن سياسياً إطلاقاً تلك الرسالة التي تقطر أدباً وتفيض محبة ومودة للسلطان الملك الناصر الذي سجن الشيخ وهذه الرسالة ذكرها تلميذه الشيخ ابن عبد الهادي في ترجمته لشيخه قال فيها[1]:

«.. رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر بسم الله الرحمٰن الرحيم. من الداعي أحمد ابن تيمية إلى السلطان الملك الناصر سلطان المسلمين ومن أيد الله في دولته الدين وأعز به عباده المؤمنين وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين نصره الله ونصر به الإسلام وأصلح له وبه أمور الخاصة والعامة وأحيا به معالم الإيمان وأقام به شرائع القرآن وأذل به أهل الكفر والفسق والعصيان سلام عليكم ورحمة الله وبركاته... أما بعد فقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعماً لم تعهد في القرون الخالية وجدد الإسلام في أيامه تجديداً بانت فضيلته على الدول الماضية وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق أفضل الأولين والآخرين الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رؤوس المئين والله تعالى يوزعه والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين ويتمها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين وذلك أن السلطان ـ أتم الله نعمته ـ حصل للأمة بيمن ولايته وحسن نيته وصحة إسلامه وعقيدته وبركة إيمانه ومعرفته وفضل همته وشجاعته وثمرة تعظيمه للدين وشريعته ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته ما هو شبيه بما كان يجري في أيام الخلفاء الراشدين وما كان يقصده الأئمة العادلون من جهاد أعداء الله المارقين عن الدين.

وهي رسالة مطولة تفيض حباً ومودة وولاءً للسلطان.

فكيف يكون موقف شيخ الإسلام سياسياً وكيف ينازع ولي الأمر حقه.

وهذه رسالة تكشف الحقيقة وتبين الموقف بجلاء فهل يعي الغافلون وينتبه المخدوعون. نرجو ذلك ونتمناه.

---

(١) العقود الدرية (ص١٨٢، ١٨٣).

هل كان موقف الإمام أحمد من فتنة القول بخلق القرآن سياسياً

وقف الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ طوداً شامخاً زمن الفتنة حينما أجبر الناس على القول بخلق القرآن وامتحن الإمام أحمد بسبب ذلك امتحاناً عظيماً ولكنه ثبت وصبر محتسباً الأجر من الله. لقد كان موقف الإمام أحمد موقفاً رائعاً يندر أن يحدث في التاريخ في باب الإصلاح والتجديد والدفاع عن الدين. واستطاع بموقفه المتميز أن يؤثر في عقول الناس وقلوبهم تأثيراً عظيماً وأن يقف طوداً شامخاً وجبلاً راسياً في وجه هذه التيارات التي تجرف بالرجال وتحرك الجبال. لقد كانت الأمة بحاجة ماسة إلى شخصية تمحضها النصح والتوجيه والإرشاد وكان المسلمون في هذه المواقف العصيبة بحاجة إلى إمام يثقون بدينه وأمانته وفقهه يعارض هذه التيارات الفاسدة ويقف في وجهها جاهراً بالحق محتملاً للأذى صابراً على البلاء.

وقد كان ما كان من الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ. وهذا أمر معروف مشهور لكن الذي لفت انتباهي أن بعض المنتسبين للدعوة يحور موقف الإمام أحمد من الفتنة ويجعله موقفاً سياسياً بحتاً ويقرر ـ حسب نظرته ـ أن سجنه كان لمخالفته السياسية وهذا والله هضم لموقف الإمام أحمد وتنقيص من قدره لأن موقفه الشرعي أعلى قدراً وأجل مكانة مما جره إليه هؤلاء المنتسبون للدعوة ولذا لما قيل للإمام أحمد وهو تحت السياط يعذب ما تقول في السلطان؟ قال: لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها إليه بل ثبت عنه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه عفا عن المعتصم رَحِمَهُ اللَّهُ فقد حدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال لي أبي: وجَّه إليَّ الواثق أن اجعل المعتصم في حل من ضربه إياي فقلت: ما خرجت من

داره حتى جعلته في حل[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «.. ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان...»[٢].

وقد كان موقف الإمام أحمد متشدداً مع ابن أبي دؤاد فقد قال إبراهيم الحربي: أحل أحمد بن حنبل من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم وقال: إلا ابن أبي دؤاد داعية لا حللته[٣].

وهذا دليل واضح أن موقف الإمام أحمد كان موقفاً عقدياً وليس منازعة للسلطان ولم يكن موقفاً سياسياً كما يبدو لبعض الناس حيث وظفوا هذا الموقف لصالح ما يدعون إليه ولكن هيهات لهم ذلك فقد نص الإمام أحمد على عدم حله لابن أبي دؤاد لأنه داعية يدعو للبدعة ويعلن ذلك فكان الإمام أحمد يرى أن ابن أبي دؤاد هو السبب في كل ما حصل للمسلمين من الفتنة وما حصل له ـ أحمد ـ خصوصاً من المحنة فرحم الله الإمام أحمد فما أحسن هذا النظر الدقيق وذلك التفريق العجيب وذلك دونما شك نظر العلماء العاملين الحريصين على هداية الناس ودعوتهم للخير.



(١) مناقب أحمد بن حنبل (ص٣٤٤).
(٢) السياسة الشرعية (١٨٥).
(٣) مناقب أحمد بن حنبل (ص٣٤٥).

مفهوم النصيحة وأثرها على الفرد والجماعة

عن تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: **لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[١].

كرر النبي ﷺ هذه الكلمات اهتماماً للمقام وإرشاداً للأمة أن يعلموا حق العلم أن الدين كله ـ من ظاهره وباطنه ـ منحصر في النصيحة، وهي القيام التام بهذه الحقوق الخمسة التي تشمل القيام بحقوق الله وحقوق كتابه وحقوق رسوله وحقوق جميع المسلمين على اختلاف أحوالهم وطبقاتهم، فشمل ذلك الدين كله ولم يبق منه شيء إلا دخل في هذا الكلام الجامع المحيط.

فطوبى للناصحين حقيقة ما أعظم توفيقهم، وما أهدى طريقهم، لا تجد الناصح إلا مشتغلاً بغرض يؤديه، وفي جهاد نفسه عن محارم ربه ونواهيه، وفي دعوة غيره إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. وفي التخلق بالأخلاق الجميلة والآداب المستحسنة إن رأى من أخيه خيراً أذاعه ونشره، وإن اطلع منه على عيب كتمه وستره، إن عاملته وجدته ناصحاً صدوقاً وإن صاحبته رأيته قائماً بحقوق الصحبة على التمام، مأموناً في السر والعلانية، مبارك على الجليس كحامل المسك إما أن يحذيك أو تجد منه رائحة طيبة فمتى وجدت الناصح فاغتنم صحبته، وإذا تشابهت عليك المسالك فاستعن بمشاورته، جاهد نفسك على التخلق بخلق النصح تجد حلاوة الإيمان وتكون من أولياء الرحمٰن أهل البر والإحسان، لو اطلعت على ضمير الناصح لوجدته ممتلئاً نوراً وأمناً ورحمة وشفقة، ولو شاهدت أفكاره لرأيتها تدور حول

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٧).

مصالح المسلمين، مجملة ومفصلة، ولو تأملت أقواله وأعماله لرأيتها كلها صريحة متفقة. أولئك السادة الأخيار وأولئك الصفوة الأبرار. لقد نالوا الخير الكثير بالنيات الصالحة والعمل اليسير. والمنصف الكيس هو الذي يحسن مشاورة الآخرين ويتقبل نصائحهم وليس من الإنصاف وفسحة الصدر رفض المشورة إن خالفت هواه بدعوى أن الآخرين في صدورهم شيء نحوه كما لا يحق للمستشار أن يسيء الظن إن رفضت مشورته.

شاور سواك إذا نابتك نائبة   يوماً وإن كنت من أهل المشورات

ولا ينبغي أن تكون المناصحة للأفراد علانية أمام الملأ لئلا تؤدي إلى مفسدة أعظم. يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير وكان يقال: «من أمر أخاه على رؤوس الملأ فقد عيره»[1].

وكان السلف يكرهون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الوجه، ويحبون أن يكون سراً فيما بين الآمر والمأمور فإن هذا من علامات النصح فإن الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها. فشتان بين من قصده النصيحة وبين من مقصده الفضيحة ولا تلتبس إحداهما بالأخرى إلا على من ليس من ذوي العقول الصحيحة.

قال الخطابي حول هذا الحديث «.. من النصيحة لله سبحانه صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتابه: الإيمان به والعمل بما فيه.

والنصيحة لرسوله: التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: أن يطيعهم في الحق وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا.

والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم»[2].

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعبير لابن رجب (ص٣٩).

(٢) معالم السنن للخطابي (٧/ ٢٤٧).

وقال محمد بن نصر المروزي: «.. قال بعض أهل العلم: جماع تفسير النصيحة هي عناية القلب للمنصوح له كائناً من كان، وهي على وجهين: أحدهما فرض، والآخر نافلة فالنصيحة المفترضة لله هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض ومجانبة ما حرم، وأما النصيحة التي هي نافلة فهي إيثار محبته على محبة نفسه، وذلك أن يعرض له أمران: أحدهما لنفسه والآخر لربه. فيبدأ بما كان لربه ويؤخر ما كان لنفسه فهذا جملة تفسير النصيحة لله الفرض منه، وكذلك تفسير النافلة... إلى أن قال: «وأما النصيحة لكتابه: فشدة حبه وتعظيم قدره إذ هو كلام الخالق وشدة الرغبة في فهمه وشدة العناية في تدبره والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه أو يقوم له بعد ما يفهمه...

وأما النصيحة للرسول ﷺ في حياته فبذل المجهود في طاعته ونصرته ومعاونته وبذل المال إذا أراده والمسارعة إلى محبته. وأما بعد وفاته فالعناية بطلب سنته والبحث عن أخلاقه وآدابه وتعظيم أمره ولزوم القيام به.. وأما النصيحة لأئمة المسلمين فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الأمة عليهم وكراهة افتراق الأمة عليهم والدين بطاعتهم في طاعة الله ﷻ. والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله ﷻ. وأما النصيحة للمسلمين فأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويشفق عليهم، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم، ويحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم وإن ضره ذلك في دنياه..»[١].

وقال أبو عمر بن الصلاح: «.. فالنصيحة لله تعالى: توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال وتنزيهه عما يضادها ويخالفها، وتجنب معاصيه، والقيام بطاعته، ومحابه بوصف الإخلاص والحب فيه، والبغض فيه.

والنصيحة لكتابه: الإيمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته،

---

(١) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٦٩٣، ٦٩٤).

والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله، وتدبر آياته والدعاء إليه، وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه.

والنصيحة لرسوله ﷺ قريب من ذلك: الإيمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله والتمسك بطاعته وإحياء سنته واستنشار علومه ونشرها، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه ووالاها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة آله وأصحابه ونحو ذلك.

والنصيحة لأئمة المسلمين: معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف ومجانبة الوثوب عليهم والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك.

والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ونصرتهم على أعدائهم والذب عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك»[١].

وقال ابن رجب: «.. وقد أخبر النبي ﷺ أن الدين النصيحة، فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وسمي ذلك كله ديناً، فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها وهو مقام الإحسان، فلا يكمل النصح لله بدون ذلك...»[٢].

وقال ابن سعدي: «.. أما النصيحة لله فهي القيام بحقه وعبوديته التامة، وعبوديته تعم ما يجب اعتقاده من أصول الإيمان كلها وأعمال القلوب والجوارح وأقوال اللسان من الفروض والنوافل فعل المقدور منها، ونية القيامة بما يعجز عنه..

وأما النصيحة لكتاب الله: فهي الإقبال بالكلية على تلاوته وتدبره وتعلم

(١) جامع العلوم والحكم (١/١٩٣، ١٩٤).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٨٨).

معانيه وتعليمها، والتخلق بأخلاقه وآدابه، والعمل بأحكامه واجتناب نواهيه، والدعوة إلى ذلك. وأما النصيحة للرسول محمد ﷺ فهو: الإيمان الكامل به وتعظيمه وتوقيره وتقديم محبته وأتباعه على الخلق كلهم، وتحقيق ذلك وتصديقه باتباعه ظاهراً وباطناً في العقائد والأخلاق والأعمال. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] والحرص على تعلم سنته وتعليمها واستخراج معانيها وفوائدها الجليلة وهي شقيقة الكتاب.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين وهم ولاتهم: .. فهؤلاء لما كانت مهماتهم وواجباتهم أعظم من غيرهم وجب لهم من النصيحة بحسب مراتبهم ومقاماتهم، وذلك باعتقاد إمامتهم والاعتراف بولايتهم، ووجوب طاعتهم بالمعروف وعدم الخروج عليهم وحث الرعية على طاعتهم ولزوم أمرهم الذي لا يخالف أمر الله ورسوله، وبذل ما يستطيع الإنسان من نصيحتهم وتوضيح ما خفي عليهم مما يحتاجون إليه في رعايتهم، كل أحد بحسب حاله، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق، فإن صلاحهم صلاح لرعيتهم، واجتناب سبهم والقدح فيهم، وإشاعة مثالبهم، فإن في ذلك شراً وضرراً وفساداً كبيراً، فمن نصيحتهم الحذر والتحذير من ذلك، وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن ينبههم سراً لا علناً بلطف وبعبارة تليق بالمقام، ويحصل بها المقصود فإن هذا مطلوب في حق كل أحد وبالأخص ولاة الأمور، فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص.

واحذر أيها الناصح لهم على هذا الوجه المحمود أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس فتقول لهم إني نصحتهم وقلت وقلت، فإن هذا عنوان الرياء، وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أخرى معروفة وأما النصيحة لعامة المسلمين: فقد وضحها النبي ﷺ بقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وذلك بمحبة الخير لهم والسعي في إيصاله إليهم بحسب الإمكان وكراهية الشر والمكروه لهم، والسعي في دفع ذلك ودفع أسبابه، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، ونصحهم في أمور دينهم ودنياهم، وكل ما تحب أن يفعلوه معك من الإحسان فافعله، معهم، ومعاونتهم على البر

والتقوى، ومساعدتهم على كل ما يحتاجونه، فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه المسلم. وهذه الأمور كلها بحسب القدرة. . .»[1].

وقال شيخنا الشيخ محمد العثيمين: «. . أما النصيحة لله فهي: الإخلاص له وصدق القصد في طلب مرضاته بأن يكون الإنسان عبداً لله حقيقة راضياً بقضائه، قانعاً بعطائه، ممتثلاً لأوامره، مجتنباً لنواهيه، مخلصاً له في ذلك كله، لا يقصد به رياءً ولا سمعةً.

وأما النصيحة لكتاب الله فهي: تلاوته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق أخباره والذب عنه، وحمايته من تحريف المبطلين، وزيغ الملحدين، واعتقاد أنه كلام رب العالمين تكلم به وألقاه على جبريل فنزل به على قلب النبي ﷺ.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فهو صدق الولاء لهم وإرشادهم لما فيه خير الأمة في دينها ودنياها، ومساعدتهم في إقامة ذلك، والسمع والطاعة لأوامرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله واعتقاد أنهم أئمة متبوعون لما أمروا به لأن ضد ذلك هو الغش والعناد لأوامرهم والتفرق والفوضى التي لا نهاية لها ولأنه لو جاز لكل واحد أن يركب رأسه وأن يعتز برأيه ويعتقد أنه هو المسدد للصواب وهو الذي لا يدانيه أحد لزم من ذلك الفوضى والتفرق والتشتيت.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي: أن تحب لهم ما تحب لنفسك وأن تفتح لهم أبواب الخير، وتحثهم عليها، وتغلق دونهم أبواب الشر وتحذرهم منها، وأن تبادل المؤمنين المودة والإخاء. وأن تنشر محاسنهم وتستر مساوئهم، وتنصر ظالمهم ومظلومهم، تنصر ظالمهم بمنعه من الظلم، وتنصر مظلومهم بدفع الظلم عنه. فمتى قام المجتمع على هذه الأسس النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم عاش عيشة راضية حميدة ومات

---

(١) المجموعة الكاملة (١/ ٣٩٨).

ميتة حق سعيدة...»[١].

هذه النقول الموثقة من العلماء الأعلام تبين أهمية النصيحة وكيفيتها واختلافها من شخص لآخر حسب الظروف والملابسات والأحوال والأشخاص، فما يناسب الأمير والعالم غير ما يناسب عامة الناس، وما يناسب القريب والصديق يختلف عما يناسب غيرهما، وما يناسب الصغير خلاف ما يناسب الكبير، وما يناسب من تكرر منه الأذى والمنكر يختلف تماماً عن الشخص الذي يحدث منه لأول مرة... هكذا ومن أهم ذلك وأعظمه قدراً وأكثره نفعاً أن يناصح ولاة الأمر سراً فيما يحدث منهم ولا ينبغي أن يكون ذلك من على المنابر وفي مجامع الناس، لما في ذلك من إثارة للعامة وإشعال للفتنة، وهذا مسلك خاطئ ومخالف لما كان عليه العلماء العاملون مع ولاة الأمر في كل زمان ومكان يحكم فيه بالإسلام وسبيل المؤمنين في ذلك جمع قلوب الناس على ولاة الأمر والدعاء لهم بالخير والصلاح، وهذا منهج أهل السنة والجماعة القيام بالمناصحة لكن بضوابطه الشرعية، وحسب مقتضيات الأحوال، وما يناسب الأشخاص، فيحذر الناصح عن المنكرات عموماً دون تخصيص فاعل، كالتحذير من الزنى عموماً، ومن الربا عموماً ومن الظلم عموماً، ونحو ذلك.

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز: «... ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع. ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليهم أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير، وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل، فينكر الزنى، وينكر الخمر، وينكر الربا من دون ذكر من فعله، ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن فلاناً يفعلها لا حاكم ولا غير حاكم...»[٢].

---

(١) حقوق الراعي والرعية مجموعة خطب للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص٦، ٧، ٨).
(٢) من فتوى للشيخ مطبوعة ضمن رسالة، حقوق الراعي والرعية (ص٢٧).

ويقول في موضوع آخر: «. . . فالواجب على الغيورين لله وعلى دعاة الهدى أن يلتزموا بحدود الشرع، وأن يناصحوا من ولاهم الله الأمور بالكلام الطيب والحكمة والأسلوب الحسن، حتى يكثر الخير ويقل الشر، وحتى يكثر الدعاة إلى الله، وحتى ينشطوا في دعوتهم بالتي هي أحسن لا بالعنف والشدة ويناصحوا من ولاهم الله الأمر بشتى الطرق الطيبة السليمة مع الدعاء للحاكم في ظهر الغيب أن الله يهديه ويوفقه ويعينه على الخير. . .»[1].

أما التشويش وإثارة البلبلة على المنابر والتشهير بالناس وتحجيم الأمور والمبالغة فيها وتهويلها والنقد العلني فليس ذلك من منهج أهل السنة لأن هذا المسلك يوغر الصدور ويثير العامة ويجعلهم يتحدثون في أمور لا علاقة لهم بها وكم جنت هذه الطريقة العقيمة على الناس لأنهم يخرجون من المسجد دون فائدة اللهم إلا إثارة العواطف التي لا فائدة من ورائها وإنما تضر البلاد والعباد. وإن بلادنا ـ بلاد الحرمين الشريفين مرت بتجارب من هذا القبيل حيث كثر في فترة ماضية من يشوشون ويثيرون العوام والشباب دون وعي بالمخاطر التي يؤدي إليها ذلك الأسلوب فحصل من المشاكل والعقبات ما الله به عليم ولا أدل على ذلك من جنوح بعض الشباب وحصول كثير من العوام منهم من التكفير والتفجير. وتجنيهم على العلماء الصادقين وترديدهم كلام الأعداء الحاقدين الذين يريدون ببلادنا شراً. إن أسلوب المناصحة الشرعي يؤدي ثمرته عاجلاً وعلى العكس الأسلوب الأهوج الأعوج ببذر بذرة الشر التي تتنامى حتى تكبر فتفسد على المجتمع أمنه وطمأنينته ومن امثلة ذلك ما يصدر من النشرات التي تروج الكذب وتتهم الأبرياء ولم يسلم من شرها وزيفها حتى العلماء العاملين وولاة الأمر المخلصين. فحريٌ بك أخي القارئ أن تنهج الأسلوب الأمثل وأن تكون عامل بناء وإصلاح وألا تنساق خلف الناعقين والداعين لهدم المجتمع بأساليب ماكرة خبيثة.

---

(١) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري (ص٢٧، ٢٨).

الحزبية خنجر مسموم طعنت به أمة الإسلام

بعث الله تعالى رسوله محمداً ﷺ من جزيرة العرب إلى الإنس والجن عامة ينذرهم عن الشرك ويدعوهم إلى التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة وترك الشرك وأهله والبراءة من الشرك وأهله، والولاء للتوحيد وأهله.

وقد مكث النبي ﷺ عشر سنين يثبت العقيدة في نفوس أصحابه حتى قويت جذورها واشتد أصلها، وبعد ذلك عرج به إلى السماء وفرضت الصلوات الخمس ثم أمر بالهجرة إلى المدينة، ولما استقر بها أمر ببقية الشرائع من الزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وغيرها من شرائع الإسلام.

وعاش المجتمع المدني في أمن وطمأنينة بعد أن أنعم الله عليهم بفضله بالألفة والاجتماع بعد اجتماع القلوب على إخلاص الدين لله ومتابعة رسوله ﷺ. وهذا هو منطلق الإسلام ومبنى جماعة المسلمين ومنهج النبي المصطفى ﷺ التربية على العقيدة وتصديق ذلك بالعمل. وبهذا الأمر أصبح الصحابة سادة العالم ثم لا يزال الأمر كذلك حتى بدأت الفرق والحزاب تنخر في جوف الأمة وتمزقها متخذة كل وسيلة لهدم كيان الأمة المتماسك المبني على عقيدة الإسلام والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

وقد أخبر عن ذلك الصادق المصدوق ﷺ بقوله: «**إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**».

وفي رواية قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[1].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٥٩٧)، والترمذي برقم (٢٦٤٠) وقال: صحيح.

وهذا يؤكد أن الاختلاف واقع لا محالة، وأن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، ذلك أن المختلفين المفترقين خالفوا هدي رسول الله ﷺ وابتعدوا عن سنته واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وصاروا شيعاً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون. واتبع كل فريق وحزب ما في قلوبهم من الهوى المخالف لهدي الرسول ﷺ فحل ما حل بالمسلمين من الكوارث والنكبات التي سببها البعد عن الاعتصام بالكتاب والسنة وسلوك طريق غير طريق المؤمنين وسبيل غير سبيلهم، وكل يغني على ليلاه، وكل يظن أنه يدعو إلى الخير، لكن ميزان الدعوة في الإسلام الذي يعرف به صواب منهاج الدعوة وخطؤه في أي زمان. وعلى أي حال يتلخص بالآتي:

١ ـ مطابقة سبيل رسول الله ﷺ في إبلاغ رسالة ربه.

٢ ـ أن يكون الداعي إلى الله على بصيرة بما يدعو إليه؛ أي: على علم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عليه سلف الأمة.

٣ ـ أن تقوم الدعوة إلى الله على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٤ ـ التزام الداعي إلى الله بما يدعو إليه ليقرن القول بالعمل، ويكون قدوة لمن يدعوهم.

وعلى قدر القرب من هذا الميزان والبعد عنه يكون التوفيق والتسديد للداعي في كل زمان ومكان، وعلى كل حال وهذا من حيث الجملة.

أما بلاد الحرمين الشريفين مهبط الوحي ومتنزل الرسالة ومهوى أفئدة المسلمين فلها شأن آخر لأن الله ميزها بميزات ليست لغيرها منها:

١ ـ وجود البيت العتيق فيها قبلة المسلمين في صلاتهم ومحط رحالهم في حجهم وعمرتهم.

٢ ـ انطلاق رسالة التوحيد منها إلى الثقلين في كل زمان ومكان، فمنها بعث خاتم الأنبياء والمرسلين، ومنها انطلقت جحافل الإيمان تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣ ـ الحكم بتطهيرها من الشرك وأهله حتى لا يجتمع فيها دينان.

وها هي بلاد الحرمين الشريفين تتميز على الدنيا بميزات ظاهرة للعيان منها:

١ ـ قيام دولتها على الدعوة إلى التوحيد ونبذ ما سواه.

٢ ـ تحكيم شرع الله وإقامة حدوده.

٣ ـ شعارها في رايتها الشهادتان، وهذه الراية ترتفع خفاقة حتى ولو نكست الرايات لموت عظيم أو كبير لم تنكس مهما كانت الظروف.

٤ ـ خلو أرضها ولله الحمد والمنة من التماثيل والأوثان والأضرحة والمقامات التي تنتشر في سائر البلاد الإسلامية، ولكن الله حمى هذه البلاد منها لأنها بلد قام على التوحيد الخالص.

٥ ـ خلو المساجد في هذه البلاد المباركة من البدع التي تعج بها المساجد في كثير من الأصقاع الإسلامية.

٦ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعار معلن تفخر به هذه البلاد، وقد وضعت له الأنظمة واللوائح وتصرف من أجله الملايين في كل عام.

٧ ـ الأذان للصلاة شعار يرفع يومياً وتلتزم المؤسسات بإغلاق المحلات التجارية، ويحاسب من يخالف هذه التعليمات كائناً من كان.

٨ ـ فرض الحجاب الشرعي على النساء ومحاسبة من يخالف ذلك

٩ ـ فصل الرجال عن النساء في قاعات الدراسة ومنع الاختلاط في المنتديات والجامعات والمؤسسات الخاصة والعامة.

١٠ ـ لا تمنح جنسية هذه البلاد إلا لمسلم، وهذا أمر تفخر فيه هذه البلاد تنفيذاً لوصية المعصوم ﷺ «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً**»(١).

قال القاضي عياض: «... وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٨٨ ـ ١٧٦٧).

وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس وآيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت وأين فاض عبابها، ومواطن طويت فيها الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى تراثها أن تعظم عرصاتها وتنسَّم نفحاتها...»[(١)].

وقال ابن القيم «... فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده وأحبها إليها ومختاره من البلاد، لما جعل عرصاتها مناسك لعباده، فرض عليهم قصدها وجعل ذلك من آكد فروض الإسلام وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝﴾ [التين: ٣] وقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝﴾ [البلد: ١].

وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني...»[(٢)].

هذه حال بلاد الحرمين ولله الحمد والمنة، والمتأمل لحال كثير من البلاد الإسلامية التي عصفت بها رياح الفتن والاختلافات ودخلها التفرق وتغلغلت بها الحزبيات والجماعات يرى العجب، لقد وصل الحال بالمسلمين نتيجة لتعدد الجماعات والأحزاب والفرق والطوائف إلى أن تعدى بعضهم على بعض بالتهم والإشاعات الكاذبة والسباب حتى اعتدى بعضهم على بعض بل واجه بعضهم بعضاً بالسلاح وهذا واقع مشاهد معروف والعجيب الغريب أن هؤلاء الذين وقف بعضهم في طريق بعض وآذى بعضهم بعضاً يدعي كل منهم أن همهم الأول تجميع الصفوف ووحدة المسلمين. ونحن نقول كيف تتجمع

---

(١) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ١٣٢).

(٢) زاد المعاد (١/ ٤٧، ٤٨).

الصفوف ويتحد المسلمون بواسطة جماعات وطوائف وأحزاب متفرقة كل طرف منها يحاول بكل وسيلة أن يثبت أنه على الحق وغيره على الباطل. كل ما كان يؤدي لخدمة حزبه وجماعته يسارع إليه ويشجع عليه، وما وقف في طريق حزبه أو خالفه يبذل الغالي والنفيس للتخلص منه. أما الموازين الشرعية عند هؤلاء فهي غائبة. فالقرب منهم والبعد والحب والكره كل ذلك منوط بالانضمام معهم والانخراط في حزبهم. وكان الأجدر بهؤلاء أن يتحدوا على السنة لإنها أساس الاتحاد وأصل جمع الصفوف وسفينة النجاة. نعم لأن السنة أمارة الوحدة، والبدعة أمارة الفرقة.

يقول شيخ الإسلام: «البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة. فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة»[١].

ويقول الشيخ بكر أبو زيد: «جزيرة العرب هي بارقة الأمل للمسلمين في نشر عقيدة التوحيد لإنها موئل جماعة المسلمين الأول، وهي السور الحافظ حول الحرمين الشريفين، فينبغي أن تكون كذلك أبداً يسمح لها بحال بقيام أي نشاط عقدي أو دعوي ـ مهما كان ـ تحت مظلة الإسلام مخالفاً منهاج النبوة الذي قامت به جماعة المسلمين الأولى صحابة رسول الله ﷺ وجدد وأعلى مناره الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى.

فالجماعة واحدة جماعة المسلمين تحت علم التوحيد على منهاج النبوة لا تتوازعهم الفرق والأهواء ولا الجماعات والأحزاب...»[٢].

ويقول في موضع آخر: «هذه الجماعات متعددة، بل الجماعة في نفسها متعددة إلى جماعات غالباً، والتعدد دليل على الاختلاف، وتعدد التعدد دليل على ضراوة الخلاف، والاختلاف نتيجة حتمية لاضطراب الأصول التي تنفرد بها كل جماعة وتدعو إليها، وتقييم جماعتها عليها، وهذا يناقض قاعدة الشرع المطردة من أن الحق واحد لا يتعدد وكل واحدة تقيم حرب التشكيك بما لدى

(١) الاستقامة (١/ ٤٢).

(٢) خصائص جزيرة العرب (ص٨٥، ٨٦).

الأخرى مدعية أن ما لديها هو الحق وما لدى الأخرى هو الباطل كلاً أو بعضاً»[(١)].

ويقول عبد الرحمٰن عبد الخالق: «. . . ولكن ما يحز في القلب أن يرى المسلم ـ في أيامنا هذه ـ أن هم جماعات الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ـ إلا من رحم الله منهم ـ قد انصرف إلى هدم بعضهم البعض، وأنهم ينفقون من أوقاتهم وأعمالهم في هذا الهدم أكثر مما ينفقون في البناء. . .»[(٢)].

وقال ابن القيم: «. . . وهذا لإن الطريق الموصل إلى الله واحد وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه ولا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق، ولو أتي الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد فإنه متصل بالله موصل إلى الله. . .»[(٣)].

وقال محمد البشير الإبراهيمي: «. . . أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيّات التي نجم بالشر ناجمها وهجم ـ يفتك بالخير والعلم ـ هاجمها وسجم على الوطن بالملح الأجاج ساجمها أن هذه الأحزاب كالميزاب جمع الماء كدراً وفرقه هدراً، فلا الزلال جمع ولا الأرض نفع. . .»[(٤)].

وقد سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن الفرق والجماعات والجمعيات فأجاب إجابة ضافية نجتزئ منها: «. . . ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً لإن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراك الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم

---

(١) حكم الانتماء (ص١٤٢).
(٢) الشورى في ظل نظام الحكم الإسلامي (ص٣٣).
(٣) التفسير القيم (ص١٤، ١٥).
(٤) عيون البصائر (٢/ ٢٩٢).

وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة المسلمين، وتشتيت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة إنه ولي ذلك والقادر عليه»[(١)].

وسئل العلامة الشيخ صالح الفوزان عن الجماعات وتفرقها فأجاب إجابة ضافية نجتزي منها «... فهذه الجماعات وهذا التفرق الحاصل على الساحة اليوم لا يقره دين الإسلام بل ينهى عنه أشد النهي، ويأمر بالاجتماع على عقيدة التوحيد وعلى منهج الإسلام جماعة واحدة وأمة واحدة كما أمرنا الله ﷻ بذلك، والتفرق وتعدد الجماعات إنما هو من كيد شياطين الجن والإنس لهذه الأمة فما زال الكفار والمنافقين من قديم الزمان يدسون الدسائس لتفريق الأمة...»[(٢)].

«... وعليه فإذا انعقدت فرقة أو جماعة أو حزب إسلامي تحت شعار معين مستحدث يعقد عليه الولاء والبراء. وإذا انعقدت ملتزمة بعضاً مما أمر الله به دون بعض، وإذا انعقدت لا توالي إلا من انتظم في سلكها دون من سواهم. وإذا انعقدت في بلد أهله على منهاج النبوة التي درج عليها السلف الصالح أهل السنة والجماعة مخالفة في أمر كلي أو جزئي أو رسم.

فكل هذه عقود محرمة لا تجوز لما فيها من البغي بغير الحق وهضم لجوانب في الإسلام، وميل عن طريق النبي ﷺ في الدعوة وشذوذ عن الأصل جماعة المسلمين وإيذان بتفرقهم وتشتيت لشملهم وكسر لوحدتهم...»[(٣)].

«... فيا طالب بارك الله فيك وفي علمك اطلب العلم وادع إلى الله تعالى على طريق السلف ولا تكن خراجاً ولّاجا في الجماعات فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهجاً، والمسلمون

(١) مجموعة فتاوى ومقالات متنوعة (٥/ ٢٠٤).
(٢) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري (ص٤٥).
(٣) حكم الانتماء (ص٦٣).

جميعهم هم الجماعة وأن يد الله مع الجماعة فلا طائفية ولا حزبية في الإسلام. . . »[(١)].

والمتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم يرى أن البدن الإسلامي مثخن بمحنة الأحزاب، حيث لا يهضمها ولا يرضاها لبوساً فهو بها يعايش علة انتحار داخلي في الأمة لإنها قضت على حرية الرأي والإبداع في الأمة، وقد تساقطت الفرق في الماضي الواحدة تلو الأخرى، ومن نهج نهجها سيقتفي أثرها في السقوط مهما كانت جذور حزبيته ضاربة في الأرض لإن هذه سنة الله في خلقه.

والحزبية كانت وما تزال حجاباً عن معرفة الحق لداء التعصب المقيت الذي يلازمها وهي كذلك من أسباب ضعف الغيرة على التوحيد الخالص ودليلنا على ذلك سكوت بعض الحزبيين عن أخطاء جوهرية في المعتقد لتأليف القلوب بزعمهم وساء ما يزعمون. والحزبية كذلك سبب للفرقة التي هي من أقوى المعاول التي حطّمت بها الأمة ولا تزال.

فالحزبيون لا يهمهم إلا أنفسهم ومن على شاكلتهم، وأما غيرهم فمهما كان صلاحه وتقاه فهو عقبة في طريقهم. والحزبيون لا يرون الدعاء لولي الأمر، وهذا من جهلهم وفاحش غلطهم.

سُئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله عن من يتمنع عن الدعاء لولي الأمر فأجاب: « . . . هذا من جهله وعدم بصيرته الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات ومن أفضل الطاعات ومن النصيحة لله ولعباده والنبي لما قيل له أن دوساً عصت قال: «**اللهم اهد دوساً وأت بهم**». يدعو للناس بالخير والسلطان أول من يدعى له لإن صلاحه صلاح للأمة فالدعاء له من أهم الدعاء، ومن أهم النصائح أن يوفق للحق وأن يعان عليه وأن يصلح الله له البطانة، وأن يكفيه الله شر نفسه وشر جلساء السوء فالدعاء له بأسباب التوفيق والهداية وبصلاح القلب والعمل من أهم المهمات، ومن أفضل القربات».

---

(١) حكم الانتماء (ص١٠٩).

ويقول فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «أشهد الله تعالى على ما أقول وأشهدكم أيضاً أنني لا أعلم أن في الأرض اليوم من يطبق من شريعة الله ما يطبقه هذا الوطن أعني المملكة العربية السعودية، وهذا بلا شك من نعمة الله علينا فلنكن محافظين على ما نحن عليه اليوم، بل ولنكن مستزيدين من شريعة الله ﷻ أكثر مما نحن عليه اليوم لأنني لا أدعي الكمال وأننا في القمة بالنسبة لتطبيق شريعة الله. . .» إلى أن يقول: «. . . إننا في هذه البلاد نعيش نعمة بعد فقر، وأمناً بعد خوف، وعلماً بعد جهل وعزاً بعد ذل. بفضل التمسك بهذا الدين مما أوغر صدور الحاقدين وأقلق مضاجعهم يتمنون زوال ما نحن فيه، ويجدون من بيننا وللأسف من يستعملونه لهدم هذا الكيان الشامخ بنشر أباطيل وتحسين شرهم للناس. **«يخربون بيوتهم بأيديهم»**. ولقد عجبت لما ذكر من أحد الجهلة هداه الله ورده إلى صوابه يصور النشرات التي ترد من خارج البلاد التي لا تخلو من الكيد والكذب ويطلب توزيعها من بعض الشباب، ويشحذ هممهم بأن يحتسبوا الأجر على الله. سبحان الله هل انقلبت المفاهيم؟ هل يطلب رضى الله في معصيته؟ هل التقرب إلى الله يحصل بنشر الفتن وزرع الفرقة بين المسلمين وولاة أمورهم معاذ الله أن يكون كذلك».

وقال: «لقد انتشر في الآونة الأخيرة نشرات تأتي من خارج هذه البلاد وربما تكتب في داخل البلاد فيها سب ولاة الأمور، والقدح فيهم، وليس فيها ذكر أي خصلة من خصال الخير التي يقومون بها، وهذه بلا شك من الغيبة. وإذا كانت من الغيبة فإن قراءتها حرام وكذلك تداولها حرام، ولا يجوز لأحد أن يتداولها ولا أن ينشرها بين الناس، وعلى من رآها أن يمزقها أو يحرقها لأن هذه تسبب الفتن، وتسبب الشر. . .»[1].

أخي القارئ: إن الذين يمتنعون عن الدعاء لولاة الأمور ويجتهدون في بذر الفرقة. والخلاف بين عامة الناس وولاة أمورهم بنشر الكذب والزور وتضخيم بعض الأمور فوق حجمها وتوزيع المنشورات في كل مكان هم

(١) خطبة الجمعة بتاريخ ١٥/٦/١٤١٥هـ.

الحزبيون الذين أقلقهم ما تعيش فيه هذه البلاد من أمن وطمأنينة وتلاحم بين قيادتها وشعبها، ولكن الله حافظ دينه وناصر كلمته ومعز سلطانه ولو كره الحاقدون.

إن ولاة الأمر في هذه البلاد ـ بلاد الحرمين الشريفين ـ وهم يأخذون على أيدي بعض السفهاء والحاقدين، ويحاسبونهم كل حسب جرمه وخطئه، وينفذون فيهم شرع الله عن طريق المحاكم الشرعية. إنما يستجيبون لتوجيه العلماء ودعوتهم للأخذ على أيدي العابثين والمتربصين بهذه البلاد الدوائر. أما أن يترك الحبل على الغارب.

ويتغلغل إلينا الحزبيون وأصحاب الولاءات فهذا ما لا ترضاه هذه البلاد قيادة وعلماء وشعباً لأن الجميع عاهدوا الله على تحكيم شرعه وبايعوا ولي الأمر على ذلك. وستبقى هذه البلاد بمشيئة الله قوية بإيمانها، متمسكة بشرع الله، يتعاون فيها ولاة الأمر والعلماء وسائر أفراد الشعب على الضرب بيد من حديد على من تسول له نفسه تعكير الصفو أو تمزيق الصف أو بذر الخلاف والفرقة وتكفير الناس وحمل السلاح عليهم وقتل الأبرياء المعصومين، والله غالب على أمره ولو كره المجرمون.



تفرق الأمة
أسبابه وعلاجه

المتأمل في حال أمة الإسلام ـ في عصرنا الحاضر ـ يلحظ أن أمراضها قد تعددت وتشعبت وشملت جوانب كثيرة من شؤون الدين والدنيا، ومع ذلك فالأمة ما زالت ـ ولله الحمد ـ على قيد الحياة، لم تصب منها تلك العلل والأدواء مقتلاً على كثرتها وخطورتها. والسبب في ذلك دونما شك هو وجود الوحيين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وصدق الله العظيم في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

ولعل من أخطر الأمراض التي أصيبت بها أمة الإسلام مرض الإختلاف والتفرق، ذلك المرض الذي شمل مناحي الحياة كلها في كل حقل، وكل مصر وكل مجتمع، حتى خيم شبحه الأسود على نفوس الناس. فتلبد الجو بغيوم أوهام أمطرت وابلها على القلوب المجدبة، فأنبتت لفيفاً من الأقوام المتصارعة المتدابرة وكأن كل ما لدى الأمة من أوامر ونواه وتعاليم يحثها على الاختلاف، ويرغب بالتدابر والتناحر[1].

والإسلام حذر الأمة أشد التحذير من الفرقة والاختلاف، وندد باختلاف الأمة بأساليب مختلفة وردت بها النصوص من الكتاب والسنة. ولعل وحدة الأمة تعتبر القضية الثانية بعد التوحيد التي عالجتها مبادئ الإسلام وكانت حريصة كل الحرص على وحدة الصف وائتلاف القلوب وتظافر الجهود وتساند

(١) آداب الاختلاف في الإسلام (ص٨).

المساعي. ولذا ضرب لنا كتاب الله أمثلة كثيرة عن اختلاف الأمم السابقة، وبين في بعض الأحيان سبب هذا الاختلاف.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٥]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [البينة: ٤].

وقد دلت هذه الآيات على أمرين جامعين:

أولهما: أن الاختلاف في الأمم السابقة كان مع وجود العلم بينهم، وليس في حالة فقرهم. كما قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾.

الثاني: هو تحذير الله ﷻ للمسلمين من عدم التفرق مثلما تفرق الذين من قبلنا. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾.

ورغم ذلك الأمر الشرعي الإلٰهي بعدم التفرق والاختلاف، فقد جاء الأمر القدري التكويني بخلاف ذلك، ودلت الأحاديث الصريحة على وقوع الخلاف قدراً ـ لا محالة ـ بين هذه الأمة، ومن هذه النصوص الكثيرة.

١ ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**تفرق اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**» وفي بعض الروايات «**كلها في النار إلا واحدة**»[1].

٢ ـ ما رواه سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني

---

(١) رواه أبو داود في السنة برقم (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان برقم (٢٦٤٢) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن مختصراً برقم (٣٩٩١)، والحاكم برقم (٦/١) وصححه على شرط مسلم، ورده الذهبي.

واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»[(١)].

٣ ـ ما رواه ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وأني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ـ أو قال: من بين أقطارها ـ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً**»[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على هذه الأحاديث:

«وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة، وكان يحذر أمته لينجوا منه من شاء الله له السلامة، كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلاً قرأ آية، سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهية وقال: «**كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**»[(٣)][(٤)] وبناء على ما سبق يجب أن يكون هدف كل داع إلى الله الاتحاد والألفة واجتماع القلوب والبعد عن الاختلاف والفرقة وكل ما يمزق الأمة ويضعفها ويؤدي إلى فساد ذات البين، لكن هذا الائتلاف المطلوب والوحدة المنشودة يجب أن تكون مبنية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إذ فيهما النجاة من الهلكة والبعد عن تسلط الأعداء والتخلص من تخطيطهم ومؤامراتهم، كما يجب أن يدرك المسلمون

---

(١) رواه مسلم في الفتن (٢٨٩٠).

(٢) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٢٢، ١٢٣).

(٤) الحديث رواه البخاري برقم (٢٤١٠)، فتح الباري (٥/ ٧٠).

أن من أهم الفرائض وأفضل الطاعات الحفاظ على أخوة الإسلام ووحدة الصفوف، ونبذ كل ما يسيء إلى وحدة الأمة أو يضعف من عراها.

ونحن بهذه الوحدة المنشودة نقوى على التصدي لكل العقبات التي تقف في طريق الأمة، ويكفي في ذلك أن الرسول ﷺ أهدر دم المفرق للجماعة.

إن أمة الإسلام اليوم تتداعى عليها الأمم من كل حدب وصوب، تريد أن تطفئ جذوة الإيمان في نفوس المؤمنين. وأخوة الدين ووحدة القلوب بين المسلمين تحتل مرتبة عالية في الدين لأنها شقيقة التوحيد، لكن هذه الوحدة لا بدّ أن تكون مبنية على العقيدة الصحيحة البعيدة عن كل ما يخدش صفاءها ونقاءها.

أما أولئك الذين يبنون وحدتهم على شيء من التساهل في أمور شرعية كثيرة أو الاستهانة بمحرمات معلومة فهؤلاء مآل وحدتهم إلى الانهيار لإن أساسها غير متين. ولعل ما حدث خلال العقود المتأخرة في جسم الأمة الإسلامية من علل وأدواء كان سببها الرئيسي تعصب الحزبيات المقيتة والإنتماء لغير الله ورسوله، والولاء لفئات أو جماعات ترفع شعارات براقة، لكنها من الداخل جوفاء وسرعان ما يضيع المنتمون إليها ويجدون بينهم وبين الآخرين هوة سحيقة بسبب التعصب والولاء لغير المؤمنين.

وهذا الشرخ الذي حدث في الأمة فرقها بعد اجتماع، وشتت شملها بعد الوحدة، وأوهنها بعد القوة، ومكن الأعداء من النيل منها كل حسب مقصده ومشربه، وهؤلاء ـ الحزبيون ـ يظنون أنهم يخدمون الأمة ويحققون لها الخير على حين أنهم يوجهون الطعنات إلى قلبها النابض فيضعفوه، وجسمها الصحيح فيمرضوه، ولكن الله حافظ دينه ومعل كلمته مهما كان تخطيط الماكرين وكيد الكائدين[(١)].

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

يقول الشيخ صالح الفوزان: «ثم إننا نرى هذه الجماعات المنتسبة إلى

(١) تقديم لكتاب منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، فيه الحكمة والعقل (ص١٢).

الدعوة مختلفة فيما بينها، فكل جماعة تختط لنفسها خطة غير خطة الجماعة الأخرى، وتنتهج منهجاً غير منهجها، وهذه نتيجة حتمية لمخالفة منهج الرسول ﷺ، فإن منهج الرسول واحد لا انقسام فيه ولا اختلاف عليه.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

فاتباع الرسول ﷺ على هذه السبيل الواحدة لا يختلفون، وإنما يختلف من خالف هذه السبيل كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

ويقول الشيخ محمد أبو شقرة: «... وزاد من البلاء الذي أرجف الأرض من تحت أقدام المسلمين تفريقهم إلى جماعات وفئات كل جماعة ترفع شعاراً تريد أن يحمله الناس كلهم معها، وكل فئة تخطط لنفسها خطة تأبى على غيرها أن تنازعها إياها، وتدفع الحماسة كل عشرة التقوا على فكرة ما أن يكون لهم خطة وشعار. يريدون أن يكون لهم ما للجماعات والفئات الأخرى... ويكاد أن يحدث هذا كل يوم...»[1].

وكما أن العقيدة توقيفية، فكذلك المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه المسلم توقيفي لا تجوز الزيادة عليه ولا النقصان منه، ولا يجوز استبداله بمنهج مغاير لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام، ومن لم يسعه ما وسع الرسول والصحابة الكرام فلا وسع الله عليه في الدنيا والآخرة، وهذا المنهج بينه القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهو من الثوابت التي لا تتبدل على مر الأيام وكر الدهور، وهذا المنهج هو الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ وهو ملزم لكل مسلم ولا يسع مسلماً يؤمن بالله واليوم الآخر مخالفته بحال من الأحوال. ومن الأدلة على ذلك ما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) تقديم لكتاب الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿... وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

فالنهي والتحذير عن التفرقة والاختلاف يدلان على وجوب التمسك والإلتزام بالمنهج الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ، والآيات في ذلك كثيرة ذكرنا طرفاً منها فقط. أما الأحاديث فنذكر منها ما يأتي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»(١)

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «.. **عليكم**

(١) رواه البخاري (٤/٤٢٢).

بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في حديثه المشهور: «**افترقت اليهود... وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**، قيل ما الواحدة؟ قال: **ما أنا عليه وأصحابي اليوم**»[2].

وهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على أمور كثيرة منها:

١ ـ أن الاختلاف والتفرق كائن في هذه الأمة كما كان كائناً في الأمم السابقة. وصدق الله العظيم ﴿... وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] وقد أراد الله ذلك إرادة كونية قدرية.

٢ ـ نهى الله ورسوله عن التفرق والاختلاف وجاء التحذير منه في نصوص صريحة ذكرنا بعضها من باب التمثيل.

٣ ـ وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف هذه الأمة.

٤ ـ أن هناك منهجاً واحداً يجب اتباعه وهو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾.

٥ ـ أن التفرق والاختلاف مذموم كله ويستثنى من ذلك اختلاف التنوع في الفروع.

٦ ـ أن هذا المنهج هو سبيل المؤمنين ومن لم يتبعه واتبع غيره من السبل فقد سلك غير سبيل المؤمنين وهو من المتوعدين بقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال العلامة القرطبي حول قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان نبيه محمداً ﷺ وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة نجا، ومن يخرج إلى تلك

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٨) وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٥٩٧)، والترمذي برقم (٢٦٤٠) وقال: صحيح.

الطريق أفضت به إلى النار[1].

وقد وصف الإمام أحمد السالكين لهذا الطريق المستقيم والمتساقطين حوله السالكين للطرق المعوجة الملتوية، فقال في رده على الزنادقة والجهمية:

«الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهم العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم. فنعوذ بالله من فتنة المضلين»[2].



---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٣٧).

(٢) أعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٩).

التكفير
أسبابه، أخطاره، أضراره، آثاره

طلب العلم واجب على كل مسلم وذلك بالقدر الذي يتعلم به أمور دينه من عبادات ومعاملات وسلوك وغيرها وقد أكد الله هذا الأمر في كتابه وأكده رسوله ﷺ فيما صح من سنته. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] وهذه الآية بعمومها فيها مدح أهل العلم وأنه يجب الرجوع إليهم في جميع الحوادث وسؤالهم ليخرج الناس من التبعة وفي ضمنها تزكية لأهل العلم وتعديل لهم لأنهم الذين يوجهون المجتمع ويمنعونه بإذن الله من الغرق في الضلالات والجهل.

وقال ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١).

وقال ﷺ: «**إنما شفاء العي السؤال**»(٢).

وهذا الحديث يؤكد ما دلت عليه الآية من أن طلب العلم فيه الشفاء من الجهل وأنه يجب على الجاهل سؤال العلماء ليعبدوا الله على بصيرة. وإذا نكص الجاهل عن هذا المنهج أو رأى في نفسه الكفاءة والقدرة فإن ذلك بداية الانحراف عن الجادة لأن الجهل من أعظم أسباب الفرقة وهو الذي يحرف صاحبه عن الطريق الصحيح ويأخذ بيده لطرق ملتوية معوجة فيسير خلف كل ناعق ويتبع كل صاحب بدعة إذ لا حصانة عنده ولا بصيرة بالطريق الشرعي ومن أعظم البدع وأخطرها على الفرد والمجتمع بدعة التكفير التي نخرت في جسم الأمة الإسلامية منذ العصور الأولى إلى يومنا هذا. والبدعة في أصلها

---

(١) صحيح الترمذي (١/ ٤٤).

(٢) صحيح سنن أبي داود (١/ ٦٩).

ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال فكل ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله ﷺ وجعل ديناً قويماً وصراطاً مستقيماً فهو بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ولهذا حث صحابة رسول الله ﷺ على لزوم السنة وحذروا من البدعة ونفروا منها غاية التنفير فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً قال: **هذا سبيل الله** ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: **هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه** ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

وظاهره التكفير مزلق خطير وقع فيه البعض جهلاً منهم أو محاكاة لأصحاب الأهواء الذين اندسوا في صفوف الأمة وأظهروا أنهم من أهل الصلاح والعلم والدعوة وهم في حقيقة الأمر من أهل البدعة. وتبدأ هذا الظاهرة في الشخص نفسه حين يشدد على نفسه ويحرمها من الطيبات التي أباحها الله تعالى، وقد نهى الباري جل وعلا الإنسان أن يشدد على نفسه فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

كما نهى رسول الله ﷺ عن ذلك بقوله: «**لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم**»[1] وقد نهى الله المؤمنين عن تحريم الطيبات فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧] وقد أنكر الله على من حرم زينته التي جعلها لعباده يقول تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

(١) رواه أبو داود (٣٧٨٤).

ولعل من أخطر المصائب التي ابتلى بها المجتمع المسلم مسألة التكفير والتساهل فيه وإصدار الأحكام على الآخرين دون دليل وبرهان يعتمد عليه من يصدر الحكم وإنما الجهل والتسرع والتأثر بمناهج فكرية بعيدة عن المنهج المستقيم الذي سار عليه السلف الصالح من هذه الأمة ومن تبعهم ممن سار على دربهم إلى يومنا هذا، إن الحكم على شخص ـ ما ـ بالكفر حكم خطير وجريرة عظيمة لها آثارها الوخيمة فلا يجوز لمسلم أن يقدم عليه أو ينساق خلف من يصدرون الأحكام وكأن حظيرة الإسلام ملك لهم يدخلون فيها من شاؤوا ويخرجون منها من شاؤوا. إن إصدار حكم الكفر على شخص معين معناه ردة هذا الشخص وخروجه من ربقة الإسلام وزوال أهليته عن من تحت يده وطلاق زوجته منه وعدم إرثه وهذه أمور من العظائم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما**»[(١)].

وعن أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»[(٢)] وهذا وعيد عظيم لمن كفَّر أحداً من المسلمين وليس كذلك وهي فتنة عظيمة وقع فيها أقوام بتأويلات باطلة تدل على جهلهم وعدم فهمهم للنصوص الشرعية. لقد ظهر في حقل الدعوة الإسلامية في العصور المتأخرة نوع من الشباب أصيبوا بردة فعل خطيرة فصدرت منهم أقوال وأحكام على الآخرين تدل على خلل عقدي وشرخ سلوكي وسطحية في التفكير وعشوائية في التصرفات وهؤلاء النابتة معظم تصرفاتهم فردية وهم حسب ظني ـ يريدون جني الثمرة قبل نضجها لكن متى سبرت حالهم وجدتهم لا علم لهم بكتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ولا بسيرة سلف الأمة ومسلكهم في الدعوة إلى الله. بل يقف هؤلاء عند بعض النصوص ويفهمونها فهماً خاصاً ويتمسكون به ويرفضون غيره مهما كان محل

(١) رواه البخاري (٣٢١٨)، ومسلم (١/ ٧٩).
(٢) رواه البخاري (٨/ ١٨)، ومسلم (١/ ٧٩).

اتفاق بين علماء الأمة في سلفها وخلفها. لذا ترتب على هذا الجنوح الفكري أمور خطيرة من أهمها التساهل في التكفير واطلاقه على الولاة والعلماء بل وعلى سائر الناس لا لشيء إلا لمخالفتهم لهم في المنهج. ومنها استخدام أسلوب القوة والتخريب والتدمير ومصادرة الأموال والممتلكات بحجة أن أفراد المجتمع كفار والكافر حلال الدم والمال ـ وساء ما يزعمون وهذا المسلك سعد به الأعداء وتلقوه بكل فرح وسرور بل وغذوه ونموه وأحيوه في نفوس الشباب وأثنت وسائل إعلامهم على هذا المنهج وهذه النوعية لأنهم يرون أن هؤلاء الشباب أفتك في مجتمعاتهم من أي سلاح وقد تحقق للأعداء ما أرادوا حيث بدأ هؤلاء الشباب ينخرون في مجتمعاتهم ترويعاً وتخريباً وتقتيلاً والمصيبة أنهم ينطلقون ـ حسب فهمهم ـ من منطلقات شرعية وأنَّى لهم ذلك فالإسلام يحرم ترويع المؤمنين ويشدد في تحريم أموالهم وأرواحهم وأعراضهم وقد أعلن هذا الأمر رسولنا ﷺ في حجة الوداع أمام الملأ فقال: «**ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا... اللهم هل بلغت اللهم فاشهد**»[١] وقد أكد علماء الإسلام سلفاً وخلفاً على خطورة فتنة التكفير وأنه لا يجوز لأي مسلم أن يخرج أحداً من الإسلام إلا إذا ثبت أنه ارتكب ما يخرجه من الإسلام وأقيمت الحجة عليه يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «. . . من أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل قول القلب واللسان والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي. . .»[٢].



(١) رواه مسلم (٤/٣٩).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣/١٥١).

الإرهاب

المملكة العربية السعودية مهد الإسلام ومهبط الوحي وبها الكعبة المشرفة قبلة المسلمين وبها المسجد النبوي الذي يقصده المسلمون من كل مكان هذه البلاد المباركة ترعى شرع الله وتعتني بكتابه حفظاً وطباعة.

ومناهجها الدراسية تهتم بالإصلاح الشامل للعقل والعواطف والوجدان وتحقيق التربية الجادة من كل الجوانب وهذه البلاد أيضاً ترعى الخير وتحث عليه وتمد يدها لكل مسلم محتاج توجيهاً ودعماً هذه الأفعال أقضت مضاجع الأعداء فراحوا يبحثون عن الوسائل للتشكيك في هذه البلاد ووصفها بأنها تغذي الإرهاب وتفرِّخ أفراده ولذا اتهموا هذه البلاد ـ المملكة العربية السعودية ـ بتهم كثيرة وما علم هؤلاء وأذنابهم أن هذه البلاد هي البلد الأول الذي حارب الظلم والعنف والطغيان منذ فجر الإسلام إلى اليوم فالإرهاب لا يتفق مع الدين ولا مع الأخلاق ولا مع النخوة والمروءة والشهامة وكل هذه الأمور تنطلق من هذه البلاد المباركة فهي مهد الخير ومنبع الأخلاق الإسلامية وبلاد النخوة والمروءة والشهامة.

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه لماذا تسلط مجموعة من شبابنا على القيام بزعزعة أمن بلادهم وتصديق الأعداء فيما يقولون وهنا نقول إن الأعداء أنفسهم هم الذين سخروا هؤلاء الشباب من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون للقيام بهذه الأفعال المشينة وأصبح هؤلاء الشباب مثل الدمى يتحركون حسب التوجيه ويأخذ بعضهم توجيهات البعض دون نظر أو تمحيص.

لقد قرأنا وسمعنا من مقابلة بعضهم في السجون أنهم يقولون وصلنا إلى حد أننا لو وقف أحد والدينا أو أقاربنا في وجهنا لقتلناه إذاً هذا هو غسل

الدماغ وحقن الفكر الوافد وذلك بتزيين أفكار التكفير والتفجير ووصف المجتمع بأنه متخاذل وأنه مداهن وأنه يخدم الأعداء ولذا أصبح اطلاق الكلمات الخطيرة سهلاً عليهم فيصِفون الناس بالفسق والضلال والطغيان حتى من خالفهم ممن كان معهم يوصف بهذه الصفات.

إن المسؤولية عظيمة والأمر خطير ونحتاج إلى جهود مكثفة لتطهير مجتمعنا من هذه الأفكار.

وهنا نؤكد على مسؤولية البيت والمسجد والمدرسة والجامعة ووسائل الاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة.

إنها مسؤولية الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والعلماء وأئمة المساجد وخطباء الجوامع ورجال الفكر وأرباب القلم لا بد أن يبين الجميع للشباب أن هذه الأعمال الإجرامية لا يقرها الدين ويوضحوا للجيل أن ترويع الآمنين وإخافتهم أمر محرم لأي سبب كان فكيف إذا كان الأمر قتلاً وتفجيراً وتدميراً لا بد من بيان الأمر وتجليته وبيان بعض المصطلحات التي لبَّس الأعداء فيها على الشباب وأهم هذه المصطلحات ـ كلمة الجهاد ـ التي ظلمها هؤلاء الشباب وفهموها فهماً أعوجاً وزعموا أن ما يقومون به من أعمال التفجير والتدمير يعتبر جهاداً والجهاد الحقيقي هو أن تلقى عدوك الكافر المحارب في ساحات القتال عندما يعتدي على وطنك وعرضك ويدمر ممتلكات ويقتل الأبرياء من أبناء أمتك ودينك أما التفجير بين المسلمين والمستأمنين وترويع الآمنين فهذا تخريب وإفساد ومحادة لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝١٩٠﴾.

إن من أفضل الوسائل التي نحمي بها شبابنا من هذه الشرور أن نحرص على تنقية الوسط الذي يعيشون فيه من المعاصي والمفاسد والانحرافات وتطهيرها من الرذائل والإنحلال والفجور وإقامة المجتمع على البر والتقى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بالأخلاق الكريمة وهنا يشعر الفرد أنه يعيش في مجتمع بهمة وسلامته واستقراره وأن يمس هذا المجتمع

يمس هذا الفرد من خلال اطلاع هؤلاء على النصوص الكثيرة في هذا الباب قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ وقال ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**».

وذكر ﷺ في الحديث القدسي عن ربه أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**».

وجاء في الحديث عنه ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ثم شبك بين أصابعه**».

كل هذا أيها المؤمنون ينمي في شبابنا الحرص على مصلحة المجتمع وعدم افزاعهم وإلقاء الرعب في أوساطهم من خلال أي عمل إجرامي يقوم به أي فرد من هذا المجتمع لأنه يدرك أنه يخسر نفسه ويضر أقرب الناس إليه وهنا لا يمكن أن يقدم على ذلك إذا كان عنده فسحة من عقل أو وعي أو دين.

وهنا متى تربى شبابنا على أسس ومبادئ الإسلام ووجدوا المحصن الجيد وتحقق لهم التوازن في تربيتهم عقلياً وروحياً واجتماعياً فلن يستطيع أحد أن يغرر بهم مهما كانت الأعذار والمبررات وهنا بحول الله يكون شبابنا جنوداً مخلصين يدافعون عن الدين والعرض والأمة والبلاد ويدفعون كيد الأعداء إلى نحورهم في كل الميادين ويومذاك يفرح المؤمنون بنصر الله والله ينصر من يشاء.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يرد كيد الأعداء إلى نحورهم.



عظائم التفجير ومخاطره

هذه البلاد المباركة ـ المملكة العربية السعودية ـ بلاد الحرمين الشريفين منطلق الرسالة ومأرز الإيمان ومعقل الدعوة كانت وما زالت ولن تزال بحول الله تنطلق منها جحافل الخير تحمل النور والخير والهداية للبشرية جمعاء فهي المؤهلة لهذا العمل العظيم فكتاب الله تنزل في أراضيها والرسول بعث من بطاحها والحرمان هما قلبها النابض.

لكنها ـ كغيرها ـ ابتليت بالحقد والحسد وقد أخذت نصيباً وافراً من الكيد والمكر من قبل الأعداء لأنهم يريدون لها أن تقف في وسط الطريق أذهلهم تماسكها وخنقهم أمنها وأقلق مضاجعهم الخير المتدفق منها.. فاجتهدوا في التأثير عليها عبر قنوات فاسدة وأفكار مضللة وشبهات واهية يحاول الأعداء تضليل أبناء هذه البلاد بتفريق الصف وخلخلة البناء وقد وجدوا من يعينهم ويخدمهم دون وعي أو بصيرة أو إدراك لمخاطر الأمور.

هذه التفجيرات الخطيرة التي وقعت في جنح الظلام تروع الآمنين وتسفك الدماء الطاهرة من المسلمين تعتدي على الحرمات والممتلكات نساء وأطفال وعجزة وعجائز لا ذنب لهم إطلاقاً ماذا سيقول الفاعلون إذا وقفوا أمام ربهم وجاء من قتلوه تثعب جراحهم يخاصمونهم هل سيحتجون بشبه واهية أو فكر مضلل دخيل.

كيف تتظافر جهودنا جميعاً إذا حكم على شخص بالقصاص ونتعاون لاعتاقه مع أنه أقدم على القتل كل ذلك حرصاً على حياة نفس وهؤلاء يقتلون العشرات دون ذنب أو جريرة.

أليس قتل المسلم من أعظم الذنوب التي يقابل بها العبد ربه يوم القيامة ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾.

رسولنا ﷺ حذر من الظلم وأعلن في حجة الوداع ميثاقاً عجزت المنظمات والهيئات أن تصل إلى ما يدانيه «**إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اللهم هل بلغت**» قالها (ثلاثاً) ها نحن إذا اعتدى شخص أو أشخاص على سرقة مال من بيت أو محل تجاري نعاقبه بقطع اليد رادعاً وزاجراً له وهذا من الرحمة به لأن هذا هو الجزاء المناسب له.

إن أمتنا في بلادنا المباركة أصبح مضرب المثل وهذا ما جعل جهات كثيرة تظهر مكرها وكيدها لخلخلة هذا الأمن الضارب في هذه البلاد لكن هؤلاء لا يعلمون المصدر الحقيقي لهذا الأمن ولذا مهما خططوا ومكروا فلن يصلوا إلى مرادهم.

إن مصدر الأمن في بلادنا هو التمسك بشرع الله ولذا مهما حاول الأعداء الكيد والتآمر فلن يصلوا إلى مطلوبهم ما دامت هذه البلاد تتمسك بشرع الله ومن ذلك:

١ ـ في هذه التفجيرات هتك لحرمات الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة هتك لحرمة الأمن والاستقرار واعتداء على حياة الآمنين في مساكنهم ومعاشهم بل هتك لمصالح الناس التي لا بد لها منها.

٢ ـ هذا العمل يتضمن أنواعاً من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة مثل الغدر والخيانة والبغي والعدوان.

ولعلاج مثل هذه الظواهر في المجتمع يلزم كل مسلم قادر أن يدلي بدلوه بالحوار الهادئ الرزين من العالم والداعية وبالمتابعة الجادة والحراسة الواعية من قبل رجال الأمن ورجال الحسبة والتوجيه الصادق من قبل المعلمين والخطباء وأئمة المساجد والقدوة الصالحة من قبل الآباء والأمهات والمتابعة الدقيقة لأبنائهم وجلسائهم في حلهم وترحالهم.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يحمي بلادنا وأن يحفظ عليها أمنها وأمانها وأن يكفينا شر الأشرار وكيد الفجار وما يخطط له الكفار إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

أسباب الانحراف عند الشباب

بعض الأجسام يكون مصاباً بداء خطير دون أن يظهر شيء من أعراض تراها فتظنها في خير وعافية ثم فجأة يصاب بمضاعفات حادة فيتداعى ذلك الجسم الذي ظاهره الصحة والعافية وهنا يهرع الأطباء إلى تشخيص الداء لمحاولة إنقاذ ذلك الجسم المتداعي ولكن دون جدوى ولو كان الأمر عند بدايته لأمكن في قليل من الجهد والوقت إدراك الداء وتشخيصه ووصف العلاج الناجع له بإذن الله والفرق كبير جداً بين حالة ـ العلاج ـ و ـ الوقاية ـ لأننا في حالة العلاج نطبب جسماً مريضاً يتصارع فيه المرض والداء وأيهما غلب كانت له النهاية أما في حالة الوقاية فإننا نحصن جسماً سليماً صحيحاً فنمنحه قوة إلى قوته فيبقى قوياً متماسكاً إذ لا يمكن أن يغلب ضعف قوتين بإذن الله إن الشباب رصيد الأمة الذي تواجه به مسؤولية المستقبل وأمة تفرط في حسن تربية شبابها تقدم على مستقبلها بغير رصيد فجدير بنا أن نبذل كل ما في وسعنا لتحقيق الإصلاح المنشود وليبدأ البيت المسلم بإعداد بنيه ليكونوا أمناء على مستقبل أمتهم ويعودوا بالخير على وطنهم الذي بذل لهم الكثير ويردوا شيئاً من الجميل الذي خصتهم به قيادتهم وولاة أمورهم حيث وفروا الإمكانات كافة ويسروا سبل الحياة الكريمة الهادئة لجميع فئات المواطنين.

إن أبرز أسباب انحراف الشباب ترجع إلى ما يأتي:

البيت، الشارع، المدرسة، الإعلام، التبرج والاختلاط، الفكر المنكوس، الدعوة على غير بصيرة والولاءات لغير الله ورسوله والمؤمنين ويصاحب هذه الأمور كلها الفراغ القاتل، الذي يمر به الفتيان والفتيات فالبيت هو التربة التي ينبت فيها الطفل ويضرب بجذوره في أعماقها ويرى فيه كل دنياه ساعة يفتح عينيه لأول مرة على مسرح الحياة فوالداه هما كل شيء في حياته.

فالطفل الذي ينشأ بين أبوين صالحين يأتمران بأمر الله وينتهيان بنهيه يشب مثلهما تقياً صالحاً يراهما يصليان فيصلي مثلهما ويصومان فيصوم وترى البنت أمها تستتر عند خروجها خارج البيت وتغطي وجهها وتلبس جلبابها فتفعل مثلها وهكذا.

إن كل طفل يخرج إلى الحياة يحمل معه خصائص الطبع الذي كان مسيطراً على جو البيت إن خيراً فخير وإن شراً فشر فالوالد سر أبيه والبنت سر أمها ووراثة سلوك الآباء والأمهات عند الأبناء والبنات من الحقائق المسلم بها وعلى هذا فإن أي تفكير في إصلاح الناشئة يجب أن يبدأ من البيئة الداخلية ـ البيت ـ والمسؤولية هنا تقع على الآباء والأمهات، وصدق القائل:

وينشأ ناشئ الفتيات منا ... على ما كان عوده أبوه

والخلاصة: أن البيت هو التربة التي يمتص الناشئة منها كل خصائصهم ومقوماتهم فليتق الله فيهم أبواهم.

ومن أسباب انحراف الناشئة الشارع فهو من المزالق الخطيرة لأنه غير متجانس فالناس يلتقون فيه من كل نوع صغار وكبار رجال ونساء فتيان وفتيات عامة وخاصة قد لا يعرف بعضهم بعضاً لا يربطهم إلا الرؤية العابرة التي قد تكون أول مرة وآخر مرة كل يسعى لمطلبه ومبتغاه حوائجهم متعددة يسعون في تحصيلها سعياً حثيثاً. هذه البيئة ـ الشارع ـ أخطر على الناشئة من كل شيء لأنه يخلو من التجانس والتآلف والنظام والانضباط.

والخلاصة: أن الشارع أولى النوافذ التي يرى منها الناشئة مسرح الحياة بعد البيت فينبغي أن نوليه كل العناية والرعاية والاهتمام.

والمدرسة لها شأن كبير في حياة الناشئة إذ هي تستبد بمرحلة طويلة وخصبة من سني حياتهم إذ يقضون فيها أعواماً طويلة كفيلة بأن تربيهم تربية جادة علمياً وثقافياً وخلقياً واجتماعياً ووطنياً ليكونوا عناصر صالحة لأداء رسالتهم في الحياة والقيام بواجبهم والوفاء لأمتهم وولاة أمرهم والدفاع عن مقدساتهم.

والخلاصة: أن المدرسة تضع العلم وتصقل العقل وتنمي العقيدة وتلقن الناشئة خصائص الأمة ومقومات حياتها فينبغي أن تكون المدارس مرآة صدق وسبيل نجاح وأن يكون الأساتذة والمعلمات فيها خير قدوة للفتيان والفتيات.

ومن أسباب انحراف الناشئة: الجفاء والبعد بين الشباب وكبار السن من أهليهم وغيرهم وهذا الأمر يجعل الشباب حيارى يسيرون خلف كل ناعق ويستمر نفورهم من أهليهم ويقعون ضحايا لأصحاب الشر الذين لا يريدون لهم خيراً وعلاج هذا الأمر بإزالة الجفوة والتقارب بين أهل الرأي والحكمة من الكبار وأصحاب الفتوة والنشاط من الصغار ويكون الجميع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ومن الأسباب أيضاً: الإتصال بقوم منحرفين ومصاحبتهم سواءً كان انحرافهم في فكرهم أو سلوكهم وما أكثر هذا النوع في وقتنا الحاضر بحيث يزينون للناشئة أفكارهم ويصبغونها بصبغة الخير وحب الإصلاح وهم أبعد الناس عن الخير لا يريدون للناشئة ولبلادهم إلا الشر والفساد والعياذ بالله وعلاج هذا الأمر أن يختار الشاب لصحبته من كان ذا خير وصلاح وعقل من أجل أن يكتسب من خيره وصلاحه وعقله ويبتعدون عن أهل الشر والفساد أو الذين يتلبسون بلباس الخير من أصحاب الأفكار الشاذة والدعوات المضللة وهذان الصنفان يمثلان طرفي المشكلة المُفْرِطين والمُفَرِّطين والوسط هو الخير وصدق من قال:

إبل الرجال إذا أردت إخاءهم ... وتوسمن أمورهم وتفقد

فإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى ... فيه اليدين قرير عين فاشدد

ومن الأسباب: قراءة بعض الكتب الهدامة من رسائل هابطة وصحف ماجنة ومجلات خليعة تفد إلينا من الخارج والكثير منها يشكك المرء في دينه وعقيدته ويجره إلى هاوية التفسخ والأخلاق الرذيلة.

وعلاج هذا الأمر بأن يبتعد عن قراءة مثل هذه الكتب ويستبدلها بكتب تغرس في قلبه محبة الله ومحبة رسوله ومحبة ولاة الأمر والعلماء والأخيار

والصالحين. ومنها: السفر إلى الخارج: بعض الآباء يتهاون في سفر أبنائه للخارج وهم في سن المراهقة ولذا يعودون وقد تأثروا كثيراً بما في هذه البلاد من تيارات فاسدة وولع بالجريمة وتهاون بفرائض الله وجرأة على المخدرات وغيرها فيصبح هذا الشاب لبنة فاسدة لا ينفع نفسه ولا أسرته ولا أولاده.

بل يعيق هؤلاء وكم من الشباب رجعوا وقد حملوا أمراضاً خطيرة وأفكاراً شاذة فهل يعي الشباب هذا الخطر وهل يعي الآباء هذا الخطر العظيم فيمنعوا أبنائهم من السفر خارج البلاد إلا لحاجة ملحة ويكون معهم من يسددهم ويقوم اعوجاجهم.

ومنها: النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات أو قل المشاكل الأسرية فإذا دب الخلاف بين الزوجين على أمر من الأمور فيحسن أن يكون النقاش بعيداً عن الأولاد لأن اختلاف الوالدين في وجهات النظر أمام الأولاد له آثار عكسية إذ يبحثون عن جو أكثر هدوءاً من جو البيت الذي يعج بالمشكلات وكذلك إذا وقع الطلاق ذلك أن الأب سيعيش في جهة والأم في أخرى والأولاد الضحية فإن تبعوا الأب وجدوا معاملة سيئة من زوجته الجديدة وهذا في الأعم الأغلب وإن تبعوا الأم وجدوا معاملة سيئة من زوجها الجديد وهذا في الأعم الأغلب.

ولذا يبحثون عن جو فيه هدوء وعدم أذية وغالباً ما يلجأون لأصدقاء السوء الذين يدفعونهم لأشكال الجريمة ويستخدمونهم كأدوات يحققون من خلالهم ثراء محرماً عن طريق السرقة والفواحش والمخدرات وغير ذلك من أشكال الجريمة ويلحق بذلك غياب أحد الوالدين أو أحدهما مدة طويلة عن الأولاد مهما كانت مبررات هذا الغياب لأن له آثاراً سلبية على حياته.

وكذلك قسوة الوالدين أو أحدهما وخصوصاً الأب في معاملة أولاده فكل ذلك يدفعهم للجريمة بكل أشكالها ومن ثم ينتهي بهم الأمر إلى السجن وهم في سن لا يميزون خلالها بين النافع والضار بل يعيشون تحت مؤثرات وضغوط نفسية حادة.

وعلاج ذلك كله بأن يخيم جو المحبة والصفاء والوئام على الأسرة وإذا حصل فيها خلل أو شرخ فيعالج بعيداً عن نظر الأولاد. وكذلك إذا تأزمت الأمور ولم يكن إلا الطلاق علاجاً فينبغي مراعاة مسألة الأولاد والعناية بهم وألا يؤثر تفرق الوالدين عليهم سلباً وعلى رجال التعليم وأصحاب الأقلام ووسائل الإعلام مسؤولية كبيرة في توجيه الناشئة والأخذ بأيديهم لخدمة دينهم ووطنهم وولاة أمرهم.

وكذلك خطباء المساجد تقع عليهم مسؤولية كبيرة لأنهم يخاطبون الأولاد والوالدين في وقت واحد فليتقوا الله في المسلمين وليعالجوا ما يحتاج الناس إليه.



الشيخ محمد بن عبد الوهاب
والدعوة إلى التوحيد

الدعوة إلى الله هي سبيل الرسول ﷺ وأتباعه، وقد نوه الله عن ذلك بقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

والدعوة إلى الله مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم جميعاً لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن النار إلى الجنة. وقد بدأ رسل الله جميعاً دعوتهم بالأهم فالأهم فدعوا إلى إصلاح العقيدة بالأمر بإخلاص العبادة لله والنهي عن الشرك، ثم الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الواجبات وترك المحرمات.

والمتأمل في سيرة وطريقة خاتم الرسل محمد ﷺ في الدعوة يرى أنه مكث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعوا الناس إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك قبل أن يأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم والحج. وقبل أن ينهاهم عن الزنا والربا والسرقة وقتل النفس بغير حق. **وهذا المنهج** الواضح هو الذي سار عليه أئمة الدعوة في الجزيرة العربية وعلى رأسهم الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حيث ركز على التوحيد وتصحيح العقيدة لأن غيره من الواجبات من حقوقه ومكملاته وتابع له. لقد تجرد الشيخ رحمه الله للدعوة إلى الله على بصيرة، وجاهد في رد الناس إلى ما كان عليه أهل السنة والجماعة من إفراد الله بالعبادة وترك التعلق بغير الله والاعتقاد فيما دونه متبعاً في ذلك سنة رسول الله ﷺ. وكان من تمام توفيقه وتأييده أن قيض الله له من الأمراء من ينصره ويعينه ويقف معه، إذ عرفوا صدقه وحرصه على الإسلام

وتصحيح عقيدة الناس بنص الوحي وحد السيف، فمن نفع معه الدعوة بالحكمة واللين واقتنع بالحجة فذاك، ومن عاند وجحد ووقف في وجه زحف عقيدة التوحيد استعمل معه حد السيف إذ لا علاج له إلا بالقوة.

وصـــــــدق الله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد استمرت الحال على ذلك في جزيرة العرب أئمة يدعون الناس إلى الهدى والرشاد ويصححون عقائدهم وحكام يساندونهم ويدافعون عنهم بكل قوة، فحصل من الخير والفضل والأمن والأمان في هذه الجزيرة ما لا يعلم مداه إلا الله.

وحد الله أهلها بعد الفرقة، وأطعمهم بعد الجوع، وآمنهم بعد الخوف، وتحولت الدويلات الصغيرة الكثيرة المتناحرة في الجزيرة إلى دولة واحدة مترامية الأطراف مميزة في دينها ودنياها. وأصبحت هذه البلاد مناراً للعلم والمعرفة، ومقصداً لطالب الأمن والمال ممن لا يجد ذلك في بلاده.

يقول الشيخ سعد الحصين: «... واستخلف الله عباده الموحدين في أرض الجزيرة كما استخلف الذين من قبلهم ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونه لا يشركون به شيئاً. وفتح الله لهم خزائن الأرض فجمع لهم خير الدنيا إلى خير الدين، وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ورزقهم من ثمرات الأرض كلها لعلهم يشكرون. وسيبقى الأمر كذلك بإذن الله ما حفظوا عهدهم مع الله ـ ثبتهم الله على ذلك ـ وعادت الدعوة إلى الله على بصيرة تنطلق من جزيرة العرب إلى مشارق الأرض ومغاربها بتوظيف الدعاة وتأسيس معاهد العلم الشرعي ونشر كتبه. وأنتجت بفضل الله أئمة يهدون بأمر الله ويدعون إلى سبيله على النهج الذي ارتضاه لرسله»[(١)].

إن من الحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل أنه متى صحت العقيدة

---

(١) حقيقة الدعوة إلى الله (ص٥١، ٥٢).

صلحت أعمال المسلمين لأن العقيدة الصحيحة تحمل المسلم على الأعمال الصالحة وتوجهه إلى الخير وتمنعه من الشر فتكون أفعاله حميدة وأخلاقه حسنة وتعامله حسب الشرع المطهر أخذاً وعطاءاً لأن المسلم متى شهد أن لا إلٰه إلا الله شهادة مبنية على علم ويقين ومعرفة لمدلولها وفهم لمعناها توجَّه إلى الأعمال الصالحة لأن الشهادة ليست مجرد لفظ باللسان، بل هي عنوان للاعتقاد والعمل ولا تنفع صاحبها إلا إذا قام بمقتضاها فأدى أركان الإسلام وأركان الإيمان وما يتبع ذلك من سائر الواجبات وتشريعات الإسلام وآدابه وأحكامه.

يقول العلامة الشنقيطي: «... والحاصل أن الرابطة الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي راية ـ لا إلٰه إلا الله ـ ألا ترى أن هذه الرابطة التي تجمع المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضاً عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف...».

إلى أن قال: «... وبالجملة فلا خلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض وتربط بين أهل الأرض والسماء هي رابطة ـ لا إلٰه إلا الله ـ فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها...»[1].

وهذه الرابطة هي التي بنى عليها أئمة الدعوة منهاج دعوتهم المتصل بدعوة الأنبياء والرسل سليمة من الأهواء والأوهام والانحراف، مبرأة من مظاهر الشرك وتبعات الغلو، **وقد امتدت** هذه الدعوة ولله الحمد إلى أصقاع كثيرة من العالم تنشر التوحيد النقي وتقدمه للناس بعد أن كدر صفوه كثير من الشوائب في شتى ديار الإسلام، وقد قيض الله هذه الدعوة المباركة في هذه الجزيرة ـ مأرز الإيمان ومهوى أفئدة المسلمين ـ لتكون المنطلق للدعوة الصافية النقية ثابتة على الحق رغم عوادي المعتدين وكيد الكائدين.

يقول الشيخ بكر أبو زيد: «... وفي هذا إشارة وإيماء إلى أن كل فتنة

(١) أضواء البيان (٣/ ٤٤٧، ٤٤٨).

عمياء صماء تجتاح بلاد الإسلام تتحطم على صخرة هذه الجزيرة، وإذا كانت فتنة الدجال هي أعظم فتنة من لدن نوح عليه السلام إلى قيام الساعة، ويكون تحطيمها على يد رجل مؤمن من هذه الجزيرة فإن كل فتنة دونها ستتحطم على يد أبناء هذه الجزيرة بإذن الله»(١).

وهذه الجزيرة في العالم الإسلامي ـ بمثابة ـ مركز القلب في الجسم الإنساني الذي إذا عاش وقوى وأدى رسالته في الجهاز الجسمي والنظام الحيوي الصحي عاش الجسم وقوي، وإذا دب الوهن إلى هذا القلب أو أعتقل وتخلى عن وظيفته ودوره أسرع إليه الموت واستولت عليه الأمراض والعلل وعجز الأطباء الحاذقون من إعادة الحياة إليه بالطرق الصناعية(٢).

إن الدعوة إلى التوحيد هي دعوة الرسل جميعاً من أولهم إلى آخرهم على اختلاف في الأساليب والأمكنة والأزمنة والوسائل. أما المطلب فواحد ذكره الله في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

تلك هي دعوة الأنبياء جميعاً وعلى رأسهم أولو العزم منهم الأنبياء الذين يبلغ تعدادهم أربعة وعشرين ألفاً ومئة ألف يسيرون في دعوتهم في منهج واحد، وينطلقون من منطلق واحد هو التوحيد أعظم القضايا والمبادئ التي حملوها إلى الإنسانية جميعاً في جميع أجيالهم ومختلف بيئاتهم وبلدانهم وأزمانهم.

وها هو نوح عليه الصلاة والسلام يدعو قومه دعوة جادة إلى توحيد الله وعبادته وحده في جهد دائب، ما ترك وسيلة تمكنه إلا استخدمها لاقناعهم بدعوته سراً وجهاراً وترغيباً وترهيباً ووعيداً واحتجاجاً واستدلالاً بالأدلة

---

(١) خصائص جزيرة العرب (ص٧٤).

(٢) كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب للندوي (ص٣ ـ ٥).

العقلية والحسية من واقع أنفسهم وحياتهم، ومما بين أيديهم من السماء والأرض وما فيهما من آيات وعبر ومثله خاتم الأنبياء وسيدهم محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، حيث بدأ بما بدأ به كل الأنبياء وانطلق من حيث انطلقوا بدعواتهم من عقيدة التوحيد والدعوة إلى هذا المبدأ الأسمى والمطلب الأعلى طيلة العهد المكي من رسالته ثلاثة عشر عاماً لا يكل ولا يمل، صابراً على كل ألوان الأذى في سبيل نشر المبدأ فلم يفرض عليه من التشريعات وأركان الإسلام إلا الصلاة في السنة العاشرة من البعثة[١].

يقول الشيخ أحمد بن حجر: «... ولا زالت الدعوة تزداد نفوذاً وقوة وانتشاراً ما كرت الليالي والأيام ورد الله كيد الأعداء في نحورهم وعاملهم بنقيض قصدهم فانتشرت دعوت الشيخ في سائر الأقطار وعرف كثير من الناس صحتها وحقيقتها، وأنها لا تخرج عن نطاق الكتاب والسنة، فاعتنقها كثيرون وألف جمع من المعتنقين لها كتباً في تأييدها والدفاع عنها...»[٢].

وقد بارك الله في هذه الدعوة، وكان لها من الآثار الإيجابية ما جعل الكثيرين يحسدون أئمتها ويضيقون عليهم، ولكن الله قيض لهم آل سعود فاجتمعت القوة والحكمة والسلطان والعلم، وانتشرت بفضل الله الدعوة الصادقة الخالصة من شوائب الشرك، ولعل من أبرز آثار هذه الدعوة المباركة ما يأتي:

١ ـ قضت هذه الدعوة المباركة قضاءاً تاماً على ما كان شائعاً في «نجد» من الخرافات وتعظيم القبور والنذر لها والاعتقاد في بعض الأشجار، وأحيت معالم الشريعة بعد اندثارها.

٢ ـ أعادت هذه الدعوة الذين انضموا تحت لوائها إلى التوحيد الخالص من شوائب الشرك والوثنية، كما أعادتهم إلى الكتاب والسنة المطهرة وتحكيمها في كل الأمور.

---

(١) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل (ص٤٣، ٥٢، ٧٢).
(٢) الشيخ محمد عبد الوهاب (ص٦٥) بتصرف يسير.

٣ ـ نشرت هذه الدعوة المذهب الحنبلي ـ مدرسة الأثر ـ وهي المدرسة التي تعني بالسنة وتستند عليها في أقوالها ويكفي أن إمام هذا المذهب هو إمام أهل السنة في زمانه، ولا تزال هذه المدرسة ترتفع معالمها في المملكة العربية السعودية دون تعصب أو استخفاف بالآخرين، بل الرائد لأهلها الدليل الصحيح متى وجدوه فهم أسعد الناس به ولله الحمد والمنة.

٤ ـ وحدت هذه الدعوة أتباعها بعد أن كانوا متفرقين لا تجمعهم رابطة ولا يجمعهم حكم شرعي وقد وفق إمام الدعوة المجدد لجمع المدعوين تحت رابطة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فخضعوا لها وأصبحوا تحت سلطان واحد يسوسهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٥ ـ نشرت هذه الدعوة علوم الشريعة من التفسير والحديث والتوحيد والفقه والسير والتواريخ وما يحتاج إليه من علوم العربية بعد أن كان الجهل يخيم على هؤلاء ويضرب أطنابه في ديارهم، وقد ظهرت آثار الدعوة جلية في هذا الجانب فانتشرت العلوم والمعارف وفتحت المدارس والجامعات وأصبحت بلاد هذه الدعوة مصدراً للإشعاع ومنطلقاً للمعرفة ألا ترى أنها خرجت فطاحلة العلماء الذين كان لهم الأثر الكبير في النهضة العلمية المعاصرة.

٦ ـ استتب الأمن ورفرفت أعلامه في جزيرة العرب بفضل الله ثم بفضل هذه الدعوة المباركة والقائمين عليها فأصبح المسلم يقطع المسافات الطويلة لا يخاف إلا الله يحمل ماله معه بعد أن كان النهب والسلب والقتل والخوف مضرب المثل في هذه الجزيرة فانقلبت الحال ولله الحمد وأصبحت مضرب المثل في الأمن ورغد العيش والاستقرار في شتى مناحي الحياة.

٧ ـ انبثق من هذه الدعوة دولة الكتاب والسنة والتوحيد الخالص، دولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ بقيت المملكة العربية السعودية في العصر الحاضر شامة في جبين العالم تتمتع بالعدل والأمن والسلام، فينتشر العلم فيها ويصل لكل مواطن ومقيم، كما يصل إليه الماء والهواء دون عناء أو تعب أو خسارة مادية أو معنوية، وهذا الفضل من الله، والله ذو الفضل العظيم.

يقول الشيخ أحمد بن حجر: «... دولة نشرت العدل والأمن والسلام، دولة عززت من مركز العلم وقامت بنشره بين جميع أفراد الرعية وكل من يفد إليها... دولة تمثل الصدر الأول والسلف الصالح في أحكامها وهيمنتها على الأخلاق وتحكيمها للكتاب والسنة... دولة تسهر على مصالح الرعية وتعمل لرفاهية الشعب ومحاربة الفقر... وتسهر على راحة الحجاج وبذل جميع الوسائل لرفاهيتهم وتذليل جميع العقبات أمامهم. وبالجملة فهي أحسن الدول العربية في تحكيم الشرع ونشر الأمن والعدل والعلم ومحاربة أهل البدع والضلال والأخذ على أيدي السفهاء والعابثين بالأخلاق والمنتهكين الحرمات... أيدها الله ووفقها للخير والنفع العام...»[1].



(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص١٠١، ١٠٢).



الخاتمة

بعد نهاية هذا البحث يطيب لي أن أدون بعض النتائج التي انتهيت إليها من خلاله وبسطت غالبها خلال صفحاته السابقة فأقول.

أولاً: الدعوة إلى الله ﷻ من أفضل الأعمال وأقرب القربات وأوجب الواجبات بعث الله تعالى صفوة خلقه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام للقيام بها ووعد القائمين بها أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً في الدنيا والآخرة.

ثانياً: أهل السنة والجماعة هم المتبعون للسنة في كل شأن المجتمعون على الهدى وبهذا يخرج أهل البدع وأصحاب الأهواء لأنهم غير مجتمعين على السنة والهدى.

ثالثاً: منهج أهل السنة والجماعة المناصحة للعام والخاص كل حسب مكانته ومنزلته مع مراعاة الظروف والملابسات وأسلوب المناصحة الشرعي يؤدي ثمرته عاجلاً وعلى العكس الأسلوب الأهوج الأعوج يبذر بذرة الشر التي تتنامى حتى تكبر فتفسد على المجتمع أمنه وطمأنينته وأسلوب التشويش والإثارة وذكر الأخطاء على المنابر أسلوب غير شرعي لأنه تعيير وليس بنصيحة وكم من شخص نصح بالسر فأثمر ذلك استجابة فورية والعكس صحيح فكم من أشخاص عنف عليهم في أسلوب المناصحة وحجمت أخطاؤهم وأعلنت على الناس فأحدث ذلك ردة فعل عندهم وزادهم ذلك صلفاً وعناداً فلم يستجيبوا وهنا يبؤ هذا الناصح بإثمهم.

والنصيحة إذا كانت للعلماء أو لولاة الأمر فينبغي أن تأخذ طابع السرية التامة لأن هؤلاء لهم ولاية على الناس ولهم مكانة عظيمة في قلوبهم فإذا تمت مناصحتهم علانية وأعلنت هفواتهم فإن ذلك يقلل من مكانتهم في أعين

الناس وبالتالي تقل هيبتهم ويقل احترام العلم الذي يحملونه فلينتبه لهذا المزلق الخطير.

رابعاً: من أخطر الأمراض التي أصيبت بها أمة الإسلام مرض الاختلاف والتفرق ذلك المرض الذي شمل مناحي الحياة كلها في كل حقل وكل مصر وكل مجتمع حتى خيم شبحه الأسود على نفوس الناس وأصبح الكثيرون لا يعبأون بالنصوص الشرعية التي تدعو لتوحيد الصف وجمع الشمل بل كل يغني على ليلاه ويزعم أن الحق بجانبه وأن غيره مهما كان على الحق فهو مخطئ وهذا ما أثلج صدور الأعداء إذ طعنوا الأمة بسلاح منها وهذا السلاح هو أمضى الأسلحة وأفتكها فإنا لله وإنا إليه راجعون.

خامساً: ثبتت النصوص الصحيحة الصريحة التي تفيد وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله وعدم إثارة الفتن مهما كان الدافع لها والحرص على الجماعة ولزومها والنهي عن الفرقة لأن فيها خذلان الأمة وضعفها وهذا هو منهج سلف الأمة الذي ساروا عليه وأكدوه فيما نقل عنهم فمن كان في رقبته بيعة لولي الأمر وجب عليه أن يحافظ عليها وأن يؤدي حقوقها وأن يشكر الله جل وعلا الذي أنعم عليه بنعمة الإسلام وتحكيم شرع الله في هذه البلاد المباركة فكم من المسلمين حرموا هذه النعمة العظيمة في بلادهم وأصبحوا ينظرون لبلاد الحرمين ـ بلاد التوحيد ـ على أنها المثل الذي يحتذى في هذا الجانب وهذا من فضل الله ومنته على بلادنا فنحمده ونشكره على هذه النعمة ونسأله المزيد من فضله.

سادساً: عاش المجتمع المدني في أمن وطمأنينة بعد أن أنعم الله عليهم بفضله بالألفة والاجتماع وسارت الأمور على هذه النحو أمن في الأوطان وتحكيم لشريعة الرحمٰن ولكن أعداء الإسلام لم يهدأ لهم بال وهم يرون المسلمين على هذه الحال فحاولوا بكل وسيلة أن يقضوا على وحدة الأمة وكان من أخبث وسائلهم بث الفرق والأحزاب التي بدأت تنخر في جوف الأمة وتمزقها متخذة كل وسيلة متاحة لهدم كيان الأمة المتماسك المبني على عقيدة الإسلام والولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والمتأمل في حال الأمة

الإسلامية اليوم يرى أن البدن الإسلامي مثخن بمحنة الأحزاب التي فرقت الشمل وأضعفت البنيان الكبير ولكن سنة الله في خلقه جارية فقد تساقطت الفرق في الماضي الواحدة تلو الأخرى ومن نهج نهجها سيقتفي أثرها في السقوط بمشيئة الله مهما كانت جذور حزبيته ضاربة في الأرض.

سابعاً: أحيا الله بالإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الدعوة إلى التوحيد حيث ركز في دعوته على تصحيح عقيدة الناس وردهم إلى التوحيد حيث ركز في دعوته على تصحيح عقيدة الناس وردهم إلى التوحيد الخالص لأن غيره من واجبات الدين من حقوقه ومكملاته وتابع له. لقد تجرد الشيخ رحمه الله للدعوة إلى الله على بصيرة وجاهد في رد الناس إلى ما كان عليه أهل السنة والجماعة من إفراد الله بالعبادة وترك التعلق بغير الله والاعتقاد فيما دونه متبعاً في ذلك سنة رسول الله ﷺ وكان من تمام توفيقه وتأييده أن قيض الله له من الأمراء من ينصره ويعينه ويقف معه ولذا تعاهد مع الأمير محمد بن سعود على نصرة شرع الله وتحكيمه في الأرض مهما كلفهم ذلك من تضحيات وقد تحقق لهم ما أرادوا فأظهر الله دينه وأعلا شريعته وقد استمرت الحال على ذلك في هذه البلاد المباركة أئمة يدعون الناس إلى الهدى والرشاد ويصححون عقائدهم وحكام يساعدونهم ويدافعون عنهم بكل قوة فحصل من الخير والفضل والأمن والأمان في هذه الديار ما لا يعلم مداه إلا الله وأصبحت على حال لا يوجد له نظير في سائر أقطار الدنيا ولله الحمد والمنة.

وحد الله أهلها بعد الفرقة وأطعمهم بعد الجوع وأمنهم بعد الخوف وتحولت الدويلات الصغيرة الكثيرة المتناحرة في هذه الجزيرة إلى دولة واحدة مترامية الأطراف متميزة في دينها ودنياها.

ثامناً: المملكة العربية السعودية هي البلد الوحيد في الدنيا الذي يعلن شرع الله ويفاخر في ذلك في كل المحافل الدولية بل إن نظام هذه البلاد لا يسمح بما يتعارض مع شريعة الله. وبلاد الحرمين هي البلد الوحيد الذي يطبق الحدود الشرعية رغم ما واجه هذه البلاد من الصيحات واتهامها بالرجعية والتخلف والهمجية ولكن ولاة الأمر عاهدوا الله أن يعلنوا شرعه ويحكموه في

أرضه وهكذا تمت البيعة على ذلك في هذه البلاد المباركة ولذا فلا يجوز شرعاً أن توجد في هذه البلاد أحزاب سياسية أو حزبيات دينية يكون ولاؤها لغير ولاة الأمر لأن في أعناق المسلمين بيعة شرعية لا يجوز المساس بها أو عمل ما يناقضها وقيام هذه الأحزاب أو تلك الحزبيات أو الجماعات التي تعطي ولاءها للأعداء خارج هذه البلاد كل ذلك يناقض ما في رقبة المسلم من البيعة الشرعية لولي الأمر.

وبناء على هذه القاعدة العامة فلولي الأمر أن ينظم أمور الناس وشئونهم وليس لأحد أن يفتات عليه في هذا المجال وبالتالي فلو منع ولي الأمر أحداً من الخطابة أو الوعظ أو التدريس فإن من حقه ذلك ما دام يرى في ذلك المصلحة للشخص وللمسلمين أو يغلب جانباً على جانب ولقد سمعت من شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين حفظه الله ـ وهو كما هو معلوم من كبار علماء هذه البلاد ـ قوله: لو منعني ولي الأمر لامتنعت ولما تكلمت في درس أو في لقاء وهذا هو الفقه الشرعي لطاعة ولاة الأمر.

تاسعاً: بعض الناس يهتم بكثرة الأتباع أكثر من اهتمامه بنوعية المطروح وكيفية الطرح ولذا تجد هؤلاء يجاملون أتباعهم بل ويخادعونهم أحياناً بالتمويه وذلك عن طريق الألفاظ المجملة والعبارات المحتملة وتأويل بعض النصوص لمسايرة الواقع الذي يعيشون فيه وأكبر دليل على ذلك أنهم يتغاضون عن أخطاء الآخرين ويقبلونها منهم ويعتبرون ذلك ضمن المرحلية في الدعوة بل إن بعض هؤلاء يسكت عن المنكر العلني بحجة التأليف والتقريب زعموا ـ وساء ما يزعمون ـ ولذا لا غرابة أن يكثر الأتباع من الغوغائيين والرعاع الذين يتبعون كل ناعق ويسيرون خلف كل بارق والعبرة بالمنهج الصحيح وإن قل الأتباع وأصحاب الحق وإن كانوا قليلاً ما هم إلا أن معهم الحق وهو غالب وصدق الله العظيم: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧٣] وهؤلاء هم أصحاب الصراط المستقيم والمنهج القويم وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥].

عاشراً: وقف الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ طوداً شامخاً زمن الفتنة حينما أجبر الناس على القول بخلق القرآن. وامتحن الإمام أحمد بسبب ذلك امتحاناً عظيماً ولكنه ثبت وصبر واحتسب الأجر من الله. والبعض يحور موقف الإمام أحمد من الفتنة ويجعله سياسياً بحتاً وهذا هضم لموقف الإمام وتنقيص من قدره فموقفه الشرعي أعلا قدراً. ولذا لما قيل للإمام أحمد: ما تقول في السلطان قال: لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها إليه.

وثبت عنه رَحِمَهُ اللَّهُ أنه عفا عن المعتصم. حتى قيل أن الإمام أحمد بن حنبل أحلَّ كل من ضربه وشايع فيه وكذلك المعتصم إلا ابن أبي دؤاد حيث يقول الإمام: إلا ابن أبي دؤاد لا حللته فإنه داعية.

ويقصد الإمام أحمد بذلك أن ابن دؤاد داعية للبدعة وأنه السبب في كل ما حدث للمسلمين في هذه الفتنة. وبذا يتضح أن موقفه من الفتنة كان موقفاً شرعياً يريد منه الدفاع عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

أحد عشر: يعتبر شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية أحد الأعلام الذين خلد الزمان ذكرهم وأصبح الناس يتتلمذون عليهم على مر العصور لما اجتمع في هذا العالم من صفات لم تجتمع في غيره من أهل عصره فهو الذكي الألمعي وهو الكاتب العبقري وهو الخطيب المصقع والباحث المنقب الذي درس أقوال السابقين وفحص الروايات بين الآراء المختلفة وطبقها على عصره مع إدراك للكليات الجامعة والفروق البديعية والتقاسيم الدقيقة وربط للجزئيات وجمع للأشتات المتفرقة ووضعها في نسق واحد. وأبلى بلاءاً حسناً في الذب عن شريعة الله ومقارعة أهل الزيغ والضلال من الفرق الضالة فلما عجزوا عن قرع الحجة بالحجة تعرضوا له بصنوف الأذى والسب ووشوا به إلى السلطان في وقته فكان أن سجن عدة مرات وهذا معروف مشهور لكن البعض يحوز هذا الأمر ويقول: إنه سجن لمخالفته للسلطان وأن موقفه هذا كان موقفاً سياسياً. علماً أن شيخ الإسلام أرسل رسالة إلى الملك الناصر الذي سجنه

رسالة تفيض حباً ومودة وولاءاً للسلطان وهذه الرسالة تكشف الحقيقة وتبين الموقف بجلاء وأن موقفه لم يكن سياسياً إطلاقاً.

اثنا عشر: يدعي البعض أنهم هم العلماء وأنهم وحدهم هم الذين يجب أن تصدر عنهم الفتوى والآراء والمشورة لإلمامهم بواقع الناس وبيئتهم وظروفهم وملابسات ما يسألون عنه. ويتهمون العلماء الربانيين الذين يستقون الأحكام والفتاوى من القرآن والسنة بأنهم لا يفهمون. كيف ذلك وهم قوارب النجاة لهذه الأمة وهم الذين يبينون للناس الحلال والحرام والحق والباطل والطيب والخبيث والصواب والخطأ.

وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين حين واجهتهم بعض المعضلات والمستجدات ردوا الأمر لصحابة رسول الله ﷺ فهم أعلم الناس في هذا الوقت وكان الصحابة هم المرجع في علاج ما يشكل من المسائل مثل مسألة القدر بعد ما خاض فيها من خاض وبما خاض وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

فهل يفيق هؤلاء الشباب ويلتفون حول العلماء يستقون منهم الحكمة ويتعلمون منهم العلم الصحيح المستمد من الكتاب والسنة.

ثلاثة عشر: يقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم» وظاهرة التكفير مزلق خطير وقع فيه البعض جهلاً منهم أو محاكاة لأصحاب الأهواء الذين اندسوا في صفوف الأمة وأظهروا أنهم من أهل الصلاح والعلم والدعوة وهم في حقيقة الأمر من أهل البدعة.

إن إصدار حكم الكفر على شخص معين معناه ردة هذا الشخص وخروجه من ربقة الإسلام وزوال أهليته وطلاق زوجته منه وعدم إرثه وهذه من الأمور العظام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما**»[١].

أربعة عشر: العلم من المصالح الضرورية التي تقوم عليها حياة الأمة بمجموعها وآحادها فلا يستقيم نظام الحياة مع الإخلال بها.

وسن الشباب هي خير ما يؤهل الشاب لطلب العلم وصدق الحسن إذ يقول: «طلب العلم في الصغر كالنقش على الحجر». وقد جاء الحث على العلم والاهتمام به والترغيب في طلبه في نصوص كثيرة متضافرة. قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

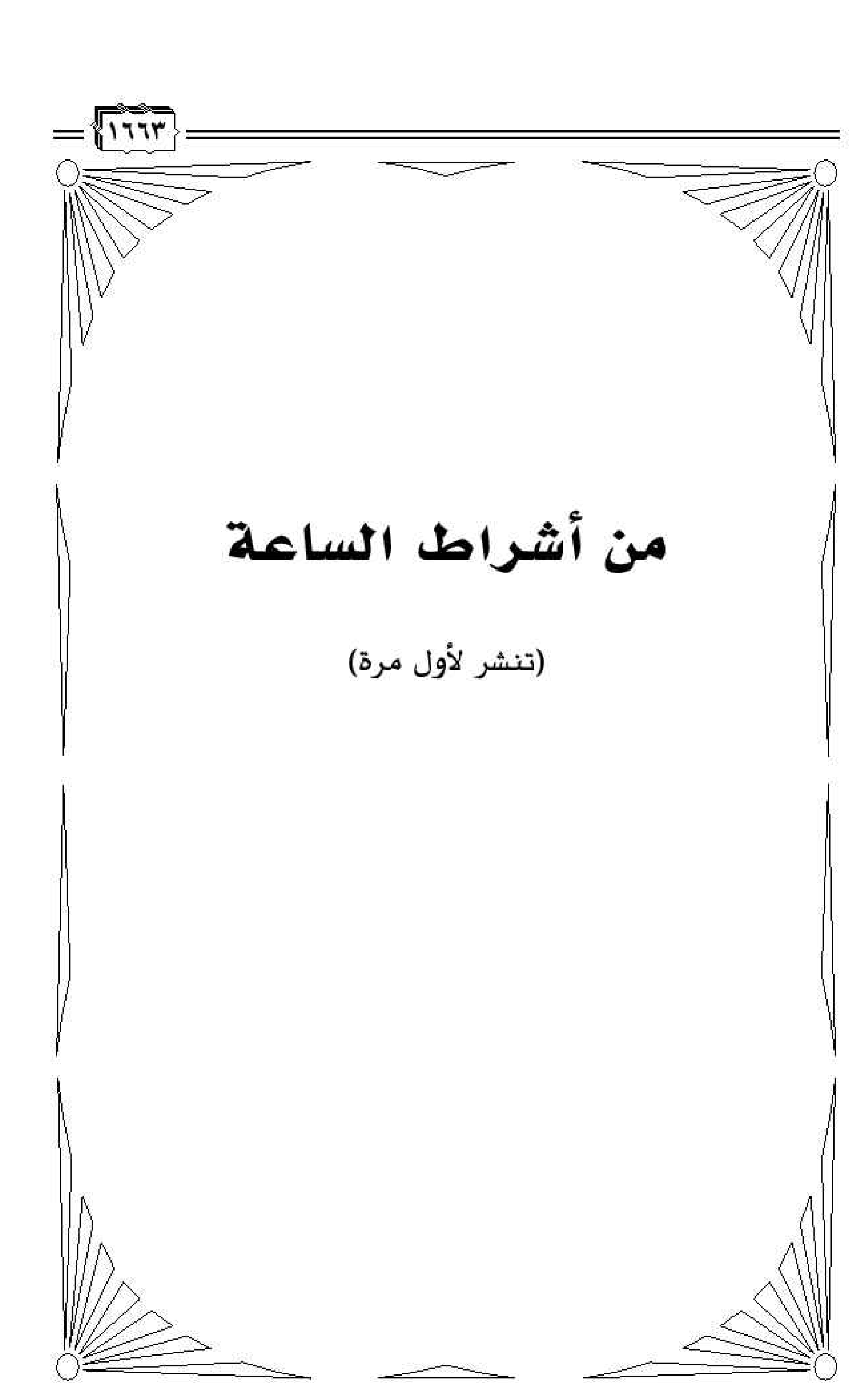
وقال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**».

ومن أهم ما يجب أن يتحلى به طالب العلم: الأدب مع العلماء واحترامهم وبيان محاسنهم فهم الشموع المضيئة والأعلام الهادية والأدلاء على الخير وهم بحر الأمة الدافق وقلبها النابض وبلسمها الشافي وهم أهل الصلاح والتقى وهم أهل الطاعة والعبادة وهؤلاء هم العلماء الأثبات الموثوقون الذين لهم قدم راسخة في العلم.



(١) رواه البخاري. انظر: صحيح البخاري، كتاب العلم (١٠)، رواه مسلم. انظر: صحيح مسلم، كتاب الإمارة (٣/ ١٧٥).





من أشراط الساعة

(تنشر لأول مرة)

من أشراط الساعة الكبرى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾.

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨﴾.

أولاً: من خصائص هذه الأمة أنها آخر الأمم...

وقد خصها بظهور أشراط الساعة وبينها رسولنا ﷺ أتم بيان فليس بعد محمد ﷺ نبي ولذا كان هو من علامات الساعة.

ثانياً: من تمام معتقد المسلم أن يؤمن باليوم الآخر ويعمل له والناس يتكالبون في أمر الدنيا وينسون هذا اليوم العظيم وما قيل من عظائم وأهوال ولذا جعل الله بين يديه أمارات وعلامات تدل عليه تنبيهاً للناس وإيقاظاً لقلوبهم وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**».

ثالثاً: هناك فريقان أخطأوا في أشراط الساعة وأماراتها وقد ظهر ذلك جلياً في أوقاتنا هذه.

الأول: أنكروا هذه الأمارات والبعض أولها تأويلاً باطلاً وضلوا في هذا الباب وأضلوا غيرهم.

ولا زلنا نسمع بين الفينة والأخرى عبر القنوات الفاضحة الداعرة بعض

الموتورين المحسوبين على الإسلام وأهله يتكلم في الغيبيات ويتخبط في الظلمات دون وازع من ضمير أو رادع من حياء أو خوف من الله.

الثاني: أقوام نزلوا هذه الأمارات والأشراط تنزيلاً خاطئاً وتخبطوا فيها وزعموا أموراً خطيرة فيها جرأة على الله وقول عليه بغير علم مثل دعوى المهدي التي تتكرر في أوقات وبلدان مختلفة.

رابعاً: تفسير الآيات: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ۝٩ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦﴾.

خامساً: ومن أشراط الساعة الكبرى [الدخان] يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة.

دل على هذه العلامة من علامات الساعة الكتاب والسنة.

من الكتاب قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١﴾.

وهذا الدخان من أشراط الساعة وهذا ما رجحه ابن كثير وغيره من أهل العلم.

وقيل: إنه ما وقع للمشركين من الجوع والضيق حتى كان يخيل لهم الدخان بين السماء والأرض من شدة ما أصابهم.

وقيل هما دخانان أحدهما ما أصاب قريشاً والثاني يقع يوم القيامة.

ومن السنة ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بادروا بالأعمال ستاً الدجال والدخان**».

وما روي أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه**».

وما ثبت «**لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات (الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها) ويأجوج ومأجوج وخروج عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عرين، وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب**» وما ورد «**يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه**».

وما ورد «**فأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره**».



من أشراط الساعة

١ ـ الإيمان باليوم الآخر له آثاره الكبيرة على العمل والاستعداد للحساب.

٢ ـ الحياة تمتد طولاً في الزمان إلى بدء الخليفة وتمتد في المكان إلى دار أخرى فيها الجنة أو النار.

٣ ـ ولهذا كل حياة المسلم عبادة «قل إن صلاتي، عجب لأمر المؤمن إن أمره كله له خير...».

٤ ـ لفت القرآن النظر إلى اليوم الآخر وأكد على البعث والحساب ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٧﴾.

٥ ـ أكد القرآن البعث ودلل عليه بأمور كثيرة منها:

أ ـ لفت النظر إلى النشأة الأولى فالذي خلق قادر على أن يعيد ما خلق.

ب ـ الذي يحيي الأرض بعد موتها قادر أن يحيي الأموات.

جـ ـ الذي خلق السماوات والأرض والجبال قادر على أن يخلق مثلهم...

٦ ـ ولذا جاءت أسماء اليوم الآخر كثيرة منها:

الساعة، يوم البعث، يوم الدين، يوم الحسرة، الدار الآخرة، يوم التناد، دار القرار، يوم الفصل، يوم الجمع، يوم الحساب، يوم الوعيد، يوم الخلود، يوم الخروج، الواقعة، الحاقة، الطامة الكبرى، الصاخة، الآزفة، القارعة.

٧ ـ علم الساعة غيب طواه الله عن الخلق ولا يعلمه أحد من البشر لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا أحد من الخلق...

٨ ـ وكل حديث روي في تحديد الساعة أو زمانها فهو كذب لأنه يصادم صريح القرآن وصحيح السنة.

٩ ـ الساعة قريبة وعلاماتها الصغرى ظهر بعضها وبقي بعضها.

وأما الكبرى فلم يظهر منها شيء حتى الآن.

١٠ ـ أشراط الساعة أوائلها وأشراط الساعة علاماتها التي سبقتها وتدل على قربها وهي ما تنكره الناس من صغار أمور الساعة.

١١ ـ من علامات الساعة.

أ ـ بعثة النبي ﷺ.

قال ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بإصبعيه فيمدهما**» رواه البخاري، وفي رواية وضم السبابة والوسطى فبعثة الرسول ﷺ أول أشراط الساعة وهو النبي الأخير فلا نبي بعده وتليه القيامة كما تلي الوسطى السبابة. وليس بينهما أصبع آخر.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

ب ـ موت النبي ﷺ أحد أشراط الساعة قال ﷺ: «**أعدد ستاً بين يدي الساعة** وذكر منها **موتي**».

لقد كان موت رسول الله من أعظم المصائب التي وقعت على الأمة فقد أظلمت الدنيا في عيون الصحابة وذهلوا.

قال أنس بن مالك: «لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفعنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا».

قال ابن حجر: «يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الألفة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأديب».

فبموته ﷺ انقطع الوحي من السماء كما في جواب أم أيمن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عندما زاراها بعد موت النبي ﷺ فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها ما

يبكيك ما عند الله خير لرسول الله ﷺ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ولكني أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها».

مات رسول الله كما يموت سائر الناس لأن الله لم يكتب الخلود لأحد من البشر لو كانت الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول الله حياً مخلداً.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.

فبموت رسول الله انقطع الوحي وماتت النبوة وظهر الشر حيث ارتدت العرب وموته أول انقطاع الخير ونقصانه ولئن أظهر الصديق رضي الله عنه رباطة جأشٍ وثباتاً وقوةً أمام المسلمين عندما خرج عليهم ليؤكد لهم موت النبي ﷺ ولئن صرخ فيهم قائلاً: «**من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت**».

فإنه لم يستطع أن يثبت أو يتمالك نفسه أمام ذلك الجسد الطاهر وقد تمدد أمامه لا يستطيع حراكاً فأكب عليه باكياً وقبل ما بين عينيه مودعاً».

وروي أنه «كشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليه موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متَّها».

وحق للكتاب أن يكتبوا ذهول العقول بوفاة الرسول لقد طاشت عقول الصحابة وذهلوا وهال الأمر وعظم الخطب حتى أن عمر أنكر وفاة رسول الله وهدد من قال أن الرسول قد مات ولكن الله قيض أبا بكر فثبت ثبوت الجبال حتى أدرك سائر الصحابة وفاة رسول الله ﷺ.

وصدق الحبيب ﷺ: «فقد قال البخاري في صحيحه ٦/ ١٢٤ عن عوف بن مالك قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أَدَم فقال: **أعْدُد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم انتفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنه تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية ـ راية ـ تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً**».

فتح بيت المقدس

جاء في حديث عوف بن مالك: «**أعدد ستاً بين يدي الساعة** فذكر منها **فتح بيت المقدس**» وقد تم ذلك في عهد عمر بن الخطاب سنة ست عشرة من الهجرة.

وقد ذهب عمر رضي الله عنه بنفسه وصالح أهلها وفتحها وطهرها من اليهود والنصارى وبنى بها مسجداً في قبلة بيت المقدس.



طاعون عمواس

عمواس بلدة في فلسطين تبعد حوالي عشرة كيلومتر من الرملة على طريق بيت المقدس.

جاء في حديث عوف بن مالك: «**أعدد ستاً بين يدي الساعة** فذكر منها «**ثم مُوتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم**»».

قال ابن حجر يقال: إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس في السنة الثامنة عشرة (١٨هـ) وقع هذا الطاعون في عمواس وانتشر في الشام كلها فمات فيه خلق عظيم قيل: يزيد على خمسة وعشرين ألفاً من المسلمين وممن مات أبو عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الأمة الذي فتح الله على يديه أرض الشام.



استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم ربُّ المال من يقبله منه صدقة ويدعى إليه الرجل فيقول: لا أرى لي فيه**».

وعن أبي موسى ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه**».

وأخبر رسولنا ﷺ أن الله سيعطي هذه الأمة ويفتح عليها من كنوز الأرض وأن ملك أمته سيبلغ مشارق الأرض ومغاربها ففي الحديث عن ثوبان ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله زوي لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**».

وجاء في الحديث: «**وأعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض**».

وجاء في حديث عدي بن حاتم: «حينما جاء رجل يشكو الفاقة ثم آخر قال الرسول: يا عدي هل رأيت الميرة... إن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الميرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله... ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى بن هرمز... وإن طالت بك حياة ليخرجن الرجل ملء كفه بالذهب يطلب أحداً يقبله منه فلا يجد».

قال عدي: «فرأيت الظعينة تخرج...».

وكنت فيمن فتح كنوز كسرى...

ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم من خروج الرجل ملء كفه ذهباً.

وقد تحقق ذلك فقد كثرت الأموال في عهد الصحابة. . .

وخصوصاً في عهد عمر بن عبد العزيز حيث لا يوجد من يقبل الزكاة فصرفت في إعتاق الأرقاء.

وقيل: إن الاستغناء عن العمل يقع في آخر الزمان في وقت عيسى والمهدي لانشغال الناس في أمر الحشر والذي يظهر والله أعلم أن الاستغناء يكون في أزمان مختلفة وبأسباب متفاوتة ومنها ما وقع في عهد عمر بن عبد العزيز.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس إجمالي للكتب